

الإمام علي
من الكتب المعتبرة

تأليف

السيد خضر السيد الطيفي الموسوي

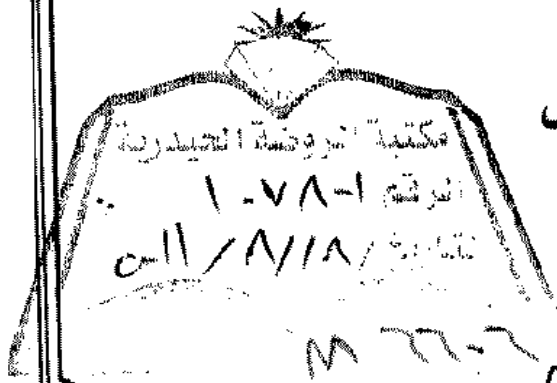
جلد الأول



www.haydarya.com

الامام علي عليه السلام من الكعبة إلى المحراب

تأليف
السيد خضر السيد لطيف الموسوي



المجلد الأول

[يهدى ولا يباع]

موسوى، خضر لطيف، ١٣١٧ -
الامام على عليه السلام من الكعبة الى المحراب / تأليف السيد خضر السيد لطيف
الموسوى . - قم : آيه حيات، ١٤٣١ ق. = ١٣٨٩ -
ج.: نمونه
- . (دوره) ISBN ٩٧٨ - ٩٦٤ - ٢٦٢٥ - ٣١٢
... ريال: (ج. ١) ISBN ٩٧٨ - ٩٦٤ - ٢٦٢٥ - ٣٠٥
فهرست نویسی بر اساس اطلاعات فیما.
کتابنامه.
١. على بن ابى طالب (ع)، امام اول، ٢٣ قبل از هجرت - ٤٠ ق.
الف. عنوان.
٨ الف م / BP ٣٧/٣٥ ٢٩٧/٩٥١

هوية الكتاب

الكتاب: الامام علي عليه السلام من الكعبة إلى المحراب

المؤلف: السيد خضر السيد لطيف الموسوي

الناشر: آيه حيات

التنضيد والخراج الفني: كومبيوتر المجتبي عليه السلام

المطبعة: ثامن الحجج عليه السلام

الطبعة: الاولى ١٤٣١ هـ . ق - ١٣٨٩ هـ . ش

الكمية: ١٠٠٠ نسخة

شابك: ٩٧٨ - ٩٦٤ - ٢٦٢٥ - ٣٠٥

شابك الدورة: ٩٧٨ - ٩٦٤ - ٢٦٢٥ - ٣١٢

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

[يُهدى ولا يُباع]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا
وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ
وَمَا يَرْزُقْهُ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا
يُضَاعِفْ لَهُ أَثَرَهُ إِنَّ اللَّهَ
يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ

مقدمة سماحة آية الله العظمى

السيد محمد صادق الحسيني الروحاني دامت بركاته

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأفضل صلواته على أشرف الأنبياء والمرسلين ومن تنتهي الفضائل والمناقب والمفاخر اليه سيدنا محمد المصطفى وآله الطيبين الطاهرين واللعن الدائم والعذاب الأليم الخالد على أعدائهم أجمعين.

وبعد فقد قدم لي حجة الاسلام والمسلمين جناب السيد خضر السيد لطيف الموسوي دامت تأييداته كتابه المبارك (الامام علي من الكعبة الى المحراب) فوجدته بحمد الله سبحانه جامعاً بين القديم والحديث سلس التعبير سهل التناول كاشفاً عن عظيم ما تجسمه السيد من عناء المطالعة والتتبع وقد وفقه الله تعالى لجمع كثير مما في كتب الفريقين المعتمدة المعتمدة عندهم من أحوال وفضائل أمير المؤمنين عليه آلاف التحية والثناء والتسليم - واني اذ اضرع الى الله سبحانه العلي القدير في قبول عمله وطول عمره اضرع الى الله سبحانه أن ينتفع به إخواننا المؤمنون أنه سميع الدعاء سريع الاجابة والحمد لله رب العالمين.

٢١ جمادى الأولى سنة ١٤٣١

الروحاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وافضل صلواته على أشرف الأنبياء والمرسلين ومن
تنتهى الفضائل والنائب والمفاخر اليه سيدنا محمد المصطفى وآله الطيبين الطاهرين
واللعن الدائم والعذاب الاليم الخالد على أعدائهم اجمعين
وبعد فقد قدم الى حجة الاسلام والمسلمين جناب السيد خضر السيد لطيف الموسوي
دامت بآيادته كتابه المبارك (الامام علي بن الكعبه الى الخراب) فوجدته بحمد الله
سبحانه جامعاً بين القديم والحديث سلس التعبير سهل المتناول كما استفاد
عن عظيم ما تحبسه السيد من عفاء المطلقة والبتبع وقد وفقه الله تعالى لجمع
كثير مما في كتب الفريقين المعتره المعتمده عندهم من احوال وفضائل
امير المؤمنين عليه آلاف التحية والثناء والتسليم - وانه اذا اضرع الى الله سبحانه
الى العذير في قبول محله وطول عمره اضرع الى الله سبحانه ان ينتفع به
اخواننا المؤمنين انه سميع الدعاء سريع الاجابة والحمد لله رب العالمين
٢١ جمادى الاولى ١٤٤١ هـ المودع



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطاهرين.

وبعد يجب على كل مسلم مؤمن أن يلتزم بدينه وأن يرتبط به ارتباط الحياة بوجوده فكما لا يعيش الإنسان إلا بالحياة، كذلك لا ينبغي أن يعيش إلا بالإسلام، ولا يمكن أن تتركز في نفسه هذه الغريزة إلا بالوعي الإسلامي، وهذا لا يحصل إلا بمعرفة معاني الإسلام ومفاهيمه السامية من مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) وإن صعب على الكثير من الناس معرفته لأن تاريخ الفكر الإسلامي حصل فيه انقسام وتشتت بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) بين مدرستين متعارضتين مدرسة السلطة الحاكمة بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) إلى آخر الخلفاء العثمانيين ومدرسة أهل

البيت (عليهم السلام) وفي زمن سلطتهم أوجبوا السب للإمام علي عليه السلام زمان قيادتهم، ولم يزل الخلاف باقياً إلى عصرنا الحاضر، وكانت مدرسة أهل البيت مطاردة من قبل السلطة الحاكمة إلى زمان العباسيين وغيرهم من طواغيت زمانهم.

واعلم ان الإمامة تنحصر في علي وأولاده الأحد عشر (عليهم السلام) وهم أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله) الذي أنزل الله بحقهم في كتابه العظيم ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(١)، والذي قرنهم النبي (صلى الله عليه وآله) بالقرآن في القيادة والهداية فقال (صلى الله عليه وآله): «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعثري أهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما» والقيادة لن تظهر إلا بهما. فالكتاب لا يفهم إلا بالامام والإمام لا يستحق الامامة إلا ببيان الكتاب ونظمه وعقائده فهما مرتبطان ارتباطاً المبتدأ والخبر، فلا يفهم الأول دون الثاني، وقيادتهما دائمة بنص حديث النبي المتقدم «حتى يردا علي الحوض» لأن القيادة الظاهرية لا تؤثر بقيادتهم المعنوية لأنهم اصحاب الطاقات والتصرفات في النظام الطبيعي المعتاد، وهم الذين بيدهم مفاتيح ومغاليق الآيات والأحاديث وعندهم العلم الذي يحتاجه الإسلام كعقيدة ونظام، فإذا هوجم الإسلام من أعدائه فإنهم كانوا يقفون في وجه الهجوم ويردون كيده إلى نحره ويذودون عن

حدوده ومفاهيمه كما وأن الاسلام إذا احتاج إلى خرق النظام الطبيعي بالمعجزة والكرامة فإنهم كانوا يقومون بذلك ويتصرفون بالقوى الطبيعية لأن قيادته سماوية حقيقية بمعناها الصحيح لا تزال ويدهم إلى يوم القيامة ولا يمكن ان يسلبها منهم أحد لأنها غير قابلة للسلب أما القيادة الظاهرية والخلافة الصورية التي تحوم عليها المطامع والاهواء فانها كانت لا تهمهم ولا يؤثر وجودها ولا عدمها في أقدارهم ومقاماتهم المعنوية، لأن تلك الزعامة الدنيوية التي تصارع عليها أبناء الشهوات والمطامع الزائلة هي لا خير فيها.

ولما ثبتت إمامة علي (عليه السلام) بما ذكرناه من الأدلة وانحصرت به (عليه السلام) دون غيره من رجال الإسلام صارت مكانته من القيادة مكانة النبي (صلى الله عليه وآله) منها فكما أن القيادة بعده لم تثبت لأحد من المسلمين بتعين خاص إلا النبي (صلى الله عليه وآله) كذلك تنحصر القيادة بعلي وأهل بيته الأحد عشر إمام ومن الواضح عقلاً ونقلاً أنّ الإمامة وهي الخلافة والولاية، كالنبوة والرسالة منصب إلهي ولا يخول به أحد من عباده إلا من يصطفيه من عباده الصالحين ليقوم بذلك الدور الخطير وهي قيادة العالم بعد النبي (صلى الله عليه وآله) وعلى هذا امر الله نبيه (صلى الله عليه وآله) أن ينصب علياً (عليه السلام) إماماً للناس كافة كما كان محمد (صلى الله عليه وآله) رسولاً للناس كافة، وكما للإمامة من الأهمية الكبرى والخطورة العظمى وهي قيادة العالم كله، وما تقوم عليها القيادة من فضائل عديدة وكمالات نفسانية وخصائص فريدة، والإمامة أصل من أصول الدين

١٠ الإمام علي (عليه السلام) من الكعبة إلى المحراب

عند الشيعة الإمامية كسائر الأصول الاعتقادية من التوحيد والعدل والنبوة والمعاد على حد سواء.

وأن الامامة أرفع منالاً واعظم شأنًا ان تختار باختيار بشر ولا اقتراح أرضي ولا مجال لاستتاب العقل في مجار اختيار الرسل والاصياء ولم يختار بنو اسرائيل موسى (عليه السلام) ولا هو اختار هارون دون سابق علم الله تعالى، والهامة، ولا عيسى (عليه السلام) انتخب الحواريون ولا محمد (صلى الله عليه وآله) نصب أوصيائه (صلى الله عليه وآله) من عنده كورثة عرش ولكن الله فعل ذلك كله، وجعلهم حاملين موارث النبوات عبر التاريخ والراد على ذلك راد على الله، لا على ناقل الحق ومبلغه للناس.

والحديث عن الإمام علي (عليه السلام) حديث عن حياته والتحقيق عنها، ثم ان عبقرية الإمام علي (عليه السلام) أوسع من أن تحيط به نطاق البحث ويجول في هذا المضمار واحد من الناس فبقدر الميسور يمكن تحليل بعض المناقب والفضائل وسيرته (عليه السلام) في نفسه وفي الأمور الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية وغير ذلك مما تحتاج إليه الأمة الإسلامية.

وهذا الكتاب الذي بين يديك يبحث عن الإمام بحثاً مفصلاً ليس عن طريقنا فحسب بل عن طرق العامة وما ثبت عندهم وخلفه أعلامهم. هذا ومن الله نستمد العون والموفقية انه نعم المولى ونعم النصير.

الفاني خضر السيد لطيف الموسوي

الفصل الأول

وفيه أبواب: الباب الأول

تاريخ ولادته وحليته وشمائله (عليه السلام)

في مناقب ابن شهر آشوب ج ٣ ص ٩١، عن ابن إسحاق وابن شهاب أنه كتب حلية علي (عليه السلام) عن ثيب الخادم فأخذها عمرو بن العاص فزَمَّ بأنفه^(١) فقطعها، وكتب أن أبا تراب كان شديد الأدمة عظيم البطن حمش الساقين، فلذلك وقع الخلاف في حليته (عليه السلام).

وفي كشف الغمة^(٢): قال الخطيب الخوارزمي عن أبي إسحاق قال : لقد رأيت علياً أبيض الرأس واللحية ضخم البطن ربعة من الرجال ، وذكر ابن مندة انه عليه السلام كان شديد الأدمة ثقيل العينين عظيمهما ، ذا بطن ، وهو إلى القصر أقرب ، أبيض الرأس واللحية ، وزاد محمد بن حبيب

(١) زَمَّ بأنفه يعني شمع وتكبر، وحمش الساقين، أي دقيقتها، راجع البحار للمجلسي: ج ٣٥

ص ٢.

(٢) كشف الغمة: ج ١ ص ٧٤ وفي الفصول المهمة للمالكي: ج ١ ص ٥٩٧.

البغدادي صاحب المحبر الكبير في صفاته: آدم اللون حسن الوجه ، ضخم الكراديس^(١) واشتهر عليه السلام بالأنزع البطين اما في الصورة فيقال: رجل أنزع بين النزع، وهو الذي انحسر الشعر عن جانبي جبهته وموضعه النزعة وهما النزعتان ولا يقال لامرأة: نزعاء ولكن زعراء ، والبطين: الكبير البطن ، واما المعنى فان نفسه نزعت ، يقال نزع إلى أهله ينزع نزاعاً: اشتاق ونزع عن الأمور نزوعاً انتهى عنها ، أي نزعت نفسه عن ارتكاب الشهوات فاجتنبها ، ونزعت إلى اجتناب السيئات فسد عليه مذهبها ، ونزعت إلى اكتساب الطاعات فادركها حين طلبها ، ونزعت إلى استصحاب الحسنات فارتدى بها وتجلببها وامتلاً علماً فلقب بالبطين وأظهر بعضاً وأبطن بعضاً حسب ما اقتضاه علمه الذي عرف به الحق اليقين . اما ما ظهر من علومه فأشهر من الصباح وأسير في الآفاق من سرى الرياح . واما ما بطن فقد قال (عليه السلام): «بل اندمجت علي مكنون علم لو بحث به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطوى البعيدة»^(٢) .

وأما نسبه الشريف

هو علي بن أبي طالب (واسمه عبد مناف) بن عبد المطلب (واسمه

(١) الأدمة السمرة وكل عظيمين التقيا في مفصل فهو كردوس نحو المنكبين والركبتين والوركين والجمع كراديس.

(٢) اندمجت أي انطويت على علم والتفتت عليه، والأرشية جمع رشاء يعني الحبل، والطوى جمع طويه وهي البثر، والبعيدة بمعنى العميقة.

شيبه الحمد) بن هاشم (واسمه عمرو) بن عبد مناف (واسمه المغيرة) بن قصي بن كلاب بن مرة بن لوي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان:

ولد يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب على قول أكثر علماء المسلمين ، في الفصول المهمة^(١) ليلة الاحد الثالث والعشرين منه بعد عام الفيل بثلاثين سنة وقيل بتسع وعشرين بعد مولد النبي (صلى الله عليه وآله) وقيل بثمانية وعشرين قبل النبوة، وقيل بأثني عشر سنة وقيل بعشر سنين وهو الذي صححه في الإصابة قبل الهجرة بثلاث وعشرين سنة وقيل بخمس وعشرين وكانت ولادته بمكة المكرمة في الكعبة المشرفة كما في الفصول المهمة^(٢) لابن الصباغ المالكي ومروج الذهب للمسعودي^(٣) وارشاد المفيد^(٤) والسيرة الحلبية^(٥) لعلي بن برهان الدين الحلبي الشافعي.

قال الشيخ المفيد في الارشاد: ج ١ ص ٥ ولم يولد قبله ولا بعده مولود في بيت الله تعالى اكراماً من الله جلّ اسمه واجلالاً لمحلّه في التعظيم له، وقال الالوسي في شرح عينية عبد الباقي^(٦) وكون امير المؤمنين علي كرم

(١) الفصول المهمة: ج ١ ص ١٧٢.

(٢) الفصول المهمة: ج ١ ص ١٧٣.

(٣) مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٥٨.

(٤) ارشاد المفيد: ج ١ ص ٥.

(٥) السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٤٨٨.

(٦) شرح القصيدة العينية لعبد الباقي: ص ١٥ والغدير للأميني: ج ٦ ص ٢٢.

١٤ الامام علي (عليه السلام) من الكعبة إلى الحراب

الله وجه ولد في البيت أمر مشهور وذكر في كتب الفريقين السنة والشيعة،
وفي ذلك يقول السيد الحميري:

ولدته في حرم الإله وامنه والبيت حيث فناؤه والمسجد
بيضاء طاهرة الثياب كريمة طابت وطاب وليدها والمولد
في ليلة غابت نحوس نجومها وبدت مع القمر المنير الاسعد
مالف في خرق القوابل مثله إلا ابن آمنة النبي محمّد

ويقول عبد الباقي العمري في عينته المشهورة:

أنت العلي الذي فوق العلى رفعا ببطن مكة وسط البيت إذ وضعا

ويقال أنه لما ولد سمته أمه حيدر باسم أبيها أسد بن هاشم لأن حيدر
من اسماء الأسد فلما جاء أبوه سماه علياً وقال:

سميته بعلي كي يدوم له عن العار وفخر العزادومه

وقال علي (عليه السلام):

أنا الذي سمّني أمي حيدره كليث غابات شديد قسورة

أبوه اسمه عبد مناف كما مر وأبو طالب كنيته كني بأكبر أولاده وله
ترجمة مفصلة في بابها من هذا الكتاب في عبد مناف ويدل على أن اسم
أبي طالب عبد مناف ان أباه عبد المطلب لما أوصاه بالنبي (صلى الله عليه
وآله) قال:

أوصيك يا عبد مناف بعدي بموحد بعد أبيه فرد

وقال:

وصيت من كنيته بطالب عبد مناف وهو ذو التجارب
بابن الحبيب أكرم الاقارب يابن الذي قد غاب غير آئب

وهو أخو عبد الله أبي النبي (صلى الله عليه وآله) لأمه وأبيه والى ذلك يشير أبو طالب بقوله في الآيات الآتية (أخي لأمي من بينهم وأبي) وأبو طالب هو الذي كفل رسول الله صغيراً وقام بنصره وحام عنه وذبح عنه وحاطه وتحمل الأذى في سبيله من مشركي قريش ومنعه منهم ولقي لاجله عناء عظيماً وقاسى بلا شديداً وصبر على نصره والقيام بأمره حتى ان قريشاً لم تطمع في رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكانت كاعة عنه حتى توفي أبو طالب ولم يؤمر بالهجرة إلا بعد وفاته، وكان أبو طالب مسلماً ولا يجاهر باسلامه ولو جاهر لم يمكنه ما أمكنه من نصر رسول الله (صلى الله عليه وآله) على وآله) على انه قد جاهر بالاقرار بصحة نبوته في شعره مراراً مثل قوله:

ودعوتني وعلمت أنك صادق ولقد صدقت وكنت قبل أميناً
ولقد علمت بان دين محمد من خير أديان البرية دينا

وقوله الذي مدى مدحه فيه بما لا ينطق به غير مسلم فقال:

كذبتهم وبيت الله نبزى محمد ولما نطاعن دونه وناضل
ونصره حتى نصرع حوله وندهل عن ابنائنا والحلائل

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة الارامل
تلوذ به الهلاك من آل هاشم
فهم عنده في نعمة وفواضل
وميزان حق لا يبخر شعيرة
ووزان صدق وزنة غير غائل
ألم تعلموا ان ابننا لا مكذب
لدينا ولا يعاب بقول الأباطل

وقوله:

لقد أكرم الله النبي محمداً
فأكرم خلق الله في الناس أحمد
وشق له من اسمه ليجله
فذو العرش محمود وهذا محمد

وروي الصدوق في الأمالي^(١) بسنده عن الصادق جعفر بن محمد
(عليه السلام) أنه قال أول جماعة كانت، إن رسول الله (صلى الله عليه وآله)
كان يصلي وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب معه يصلي إذ مرّ أبو طالب به
وجعفر معه قال يا بني صل جناح ابن عمك فلما أحسه رسول الله (صلى الله
عليه وآله) تقدمهما وانصرف أبو طالب مسروراً وهو يقول:

ان علياً وجعفرأ ثقتي
عند ملسم الزمان والكرب
والله لا أخذل النبي ولا
يخذله من بني ذو حسب
لا تخذلا وانصر ابن عمكما
أخي لأمي من بينهم وأبي

فكانت أول جماعة جمعت وذكره أبو هلال العسكري أيضاً في

(١) أمالي الصدوق: ص ٥٩٧ وراجع أيضاً وسائل الشيعة: ج ٨ ص ٢٨٨.

كتاب الاوائل وروي عن علي (عليه السلام) أنه قال: لي أبي يا بني الزم ابن عمك فانك تسلم به من كل بأس عاجل وآجل ثم قال لي:

ان الوثيقة في لزوم محمّد فاشدد بصحبته على يديك

وقال أبو طالب يخاطب حمزة حين أسلم من أبيات:

صبراً أبا يعلى على دين أحمد وكن ظهيراً للدين وفقت صابراً

إلى غير ذلك مما يطول الكلام باستقصائه ومع ذلك فلا يزال بعض من لا يروق لهم ان يضاف إلى علي (عليه السلام) شيء من المحاسن حتى باسلام أبيه ويصرون على أنه مات كافراً لرويات رويت في عصر الملك العضوض وفيه يقول أحد الشعراء:

أبوه حمى دين النبي وحاطه
واسلامه أخفى وأجهر تارة
لمن خير أديان الورى دين أحمد
ليمكنه نصر النبي ولو غدا
دعا جعفرأ لكن لابن عمك واصلا
ولولاه لم يصبح لراياته نشر
باسلامه من حيث امكنه الجهر
علمت الذي جاءت به الرسل النذر
به جاهراً ما كان يمكنه النصر
جناحا إذا ما صلى الظهر والعصر

فاطمة بنت أسد بن هاشم. في الاغاني أمه هي أول هاشمية تزوجها هاشمي وأم سائر ولد أبي طالب وكانت لرسول الله (صلى الله عليه وآله) بمنزلة الأم ربي في حجرها وكان شاكراً لبرها وكان يسميها أمي وكانت تفضله على أولادها في البر، كان أولادها يصبحون شعثاً رمصاً ويصبح

رسول الله كحيلة دهيماً، روى الحاكم في المستدرک^(١) بسنده أنها كانت بمحل عظيم من الايمان في عهد رسول الله وسبقت إلى الإسلام وهاجرت إلى المدينة ولما توفيت كفنها رسول الله (صلى الله عليه وآله) في قميصه وأمر من يحضر قبرها فلما بلغوا لحدّها حفروه بيده واضطجع فيه وقال اللهم اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ولقنها حجتها ووسع عليها مدخلها فقيل يا رسول الله رأيتك صنعت شيئاً لم تكن تصنع باحد قبلها فقال البستها القميص لتلبس من ثياب الجنة وهو أمان لها يوم القيامة واليدراً عنها هوام الأرض. واضطجت في قبرها ليوسعه الله عليها وتأمين ضغطة القبر أنها كانت من أحسن خلق الله صنعاً إلي بعد أبي طالب، وروى الحاكم في المستدرک^(٢) بسنده عن سعيد بن المسيب عن علي بن الحسين (عليه السلام) عن أبيه عن جده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال لما ماتت فاطمة بنت أسد كفنها رسول الله (صلى الله عليه وآله) في قميصه وصلى عليها وكبر عليها سبعين تكبيرة، لأن زيادة التكبير بعد الواجب مستحب على أهل الإيمان ونزل في قبرها فجعل يومي في نواحي القبر كأنه يوسعه عليها وخرج من قبرها وعيناه تذرّفان وجثا في قبرها، فقال له عمر بن الخطاب يا رسول الله رأيتك فعلت علي هذه المرأة شيئاً لم تفعله علي أحد فقال له أن هذه المرأة كانت أمي بعد أمي التي ولدتني ولها الحق علي لأنها تقدمني علي كل شيء.

(١) المستدرک علي الصحيحين: ج ٣ ص ١٠٨.

(٢) المصدر السابق. وراجع أيضاً مجمع الزوائد للهيثمى: ج ٩ ص ٢٥٦.

يقول أحد الشعراء:

له فاطم أم وكانت لأحمد
فيغدو دهيناً عندها متكحلاً
به أمنت في مكة ثم هاجرت
وكفنها خير الورى في قميصه
ولقنها القول السديد الذي به
لخير أب ينمى وأكرم حرة
هما الهاشميان اللذان تفرعا
له نسب من شية الحمد باهر
بير واشفاق هي الأم والظئر
وأولادها شعث شعورهم غير
إلى يشرب ما شاب إيمانها نكر
وفي قبرها نام منذ حفر القبر
لدى الحشر تنجو حين يجمعها الحشر
بذاك سمت عدنان وافتخرت فهر
على خير فرع اصله هاشم عمرو
جلي فمن سماه أقعده البهر

كنيته

يكنى أبا الحسن وأبا الحسين، وكان الحسن في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله) يدعوه أبا الحسين والحسن يدعوه أبا الحسن ويدعوان رسول الله (صلى الله عليه وآله) أباهما فلما توفي النبي (صلى الله عليه وآله) دعوا علياً أباهما وكان يكنى أيضاً بأبي تراب كناه به رسول الله (صلى الله عليه وآله) وفي الاستيعاب^(١) بسنده قيل لسهل بن سعد ان أمير المدينة يريد ان يبعث إليك لتسب علياً عند المنبر قال كيف أقول قال تقول أبا تراب فقال والله ما سماه بذلك إلا رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال وكيف

(١) الأستيعاب: ج ٣ ص ١١١٨. وراجع أيضاً صحيح ابن حبان: ج ١٥ ص ٣٦٨.

ذلك يا أبا العباس قال دخل علي فاطمة (عليها السلام) ثم خرج من عندها فاضطجع في صحن المسجد فدخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) علي فاطمة فقال أين ابن عمك قالت هو ذاك مضطجع في المسجد فوجده قد سقط رداؤه عن ظهره وخلص التراب إلى ظهره فجعل يمسح التراب عن ظهره ويقول أجلس أبا تراب فوالله ما سماه به إلا رسول الله (صلى الله عليه وآله) والله ما كان اسم أحب إليه منه.

وروى النسائي في الخصائص^(١) بسنده عن عمار بن ياسر كنت أنا وعلي بن أبي طالب رفيقين في غزوة العشيرة من بطن ينبع إلى أن قال ثم غشنا النوم فانطلقت انا وعلي حتى اضطجعنا في ظل صور من النخل وفي دقعاء من التراب فمنا فوالله ما أهبنا إلا رسول الله (صلى الله عليه وآله) يحركنا برجله وقد تربنا من تلك الدقعاء التي نمنا عليها فيومئذ قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعلي ما لك يا أبا تراب لما يرى عليه من التراب أقول تعدد الواقعة ممكن وقيل لما رآه ساجدا معفرا وجهه في التراب أو كان يعفر خديه وهو ساجد فكان إذ رآه والتراب بوجهه يقول يا أبا تراب افعل كذا وقيل كني به لان النبي (صلى الله عليه وآله) قال يا علي أول من ينفذ التراب عن رأسه أنت . وكانت هذه الكنية أحب كناه إليه لكون النبي (صلى الله عليه وآله) كناه بها وكان أعداؤه من بني أمية وأتباعهم لا يطلقون عليه غيرها . كأنهم يعيرونه بها مع أنها موضع الفخر ودعوا

(١) خصائص أمير المؤمنين (عليه السلام): ص ١٢٩.

خطباءهم ان يسبوه بها على المنابر وجعلوها نقيصة له فكانما كسوه بها الحلي والحلل كما قال الحسن البصري كما أنهم كانوا لا يطلقون على شيعة وأتباعه الا الترابي والترابية حتى صار علما لهم قال الكميث :
وقالوا ترابي هواء ودينه بذلك ادعى بينهم وألقب

ولما قال كثير عزة : ضحى آل أبي سفيان بالدين يوم الطف وضحى
بنو مروان بالكرم يوم العقر قال له يزيد بن عبد الملك عليك بهلة الله أ ترابية
وعصية وفي ذلك يقول أحد الشعراء :

وكنيت بالسبطين شبليك واغتدى لنسل النبي المصطفى فيهما حصر
وكناك خير الرسل في دعوة أبا تراب وقد عابوا به وهو الفخر

وأما لقبه ذكرناه في أول البحث.

بوابه

في الفصول المهمة^(١) بوابه سلمان الفارسي (رض)

شاعره

في الفصول المهمة^(٢) شاعره حسان بن ثابت، وشاعره بصفين
النجاشي والأعور وغيرهما.

(١) الفصول المهمة للمالكي: ج ١ ص ٩٠٧.

(٢) المصدر السابق.

نقش خاتمه

قال سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص كان نقش خاتمه الله الملك علي عبده وكان يتختم في اليمين وكذا الحسن والحسين (عليهما السلام) وقال أبو الحسن علي بن زيد البيهقي المشهور بفريد خراسان عنوان الحكمة المعروف بتاريخ حكماء الإسلام في ترجمة يحيى النحوي الديلمي الملقب بالطريق كان يحيى نصرانيا فيلسوفا فأراد عامل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ازعاجه عن فارس فكتب يحيى قصته إلى أمير المؤمنين وطلب منه الأمان فكتب محمد بن الحنفية له الأمان بأمر أمير المؤمنين وقد رأيت نسخة هذا الكتاب في يدي الحكيم أبي الفتح المستوفي النصراني الطوسي وكان توقيع أمير المؤمنين عليه بخطه الله الملك وعلي عبده فالسبط جعله نقش خاتمه والبيهقي قال إنه توقيع بيده ولعل كلام البيهقي أثبت ويمكن أنه كان يوقع به ونقشه على الخاتم والله أعلم وقال علي بن محمد بن أحمد المالكي المكي الشهير بابن الصباغ في كتاب الفصول المهمة في معرفة الأئمة^(١): نقش خاتمه أسندت ظهري إلى الله وقيل حسبي الله وقال الكفعمي في كتابه المعروف بالمصباح نقش خاتمه الملك لله الواحد القهار ولعله كان له عدة خواتيم بعدة نقوش .

زوجاته

أول زوجاته فاطمة الزهراء سيدة النساء (عليها السلام) بنت رسول الله

(١) الفصول المهمة للمالكي: ج ١ ص ٦٠٧.

سيد المرسلين (صلى الله عليه وآله) لم يتزوج عليها حتى توفيت عنده ثم تزوج بعدها امامة بنت أبي العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس وأمها زينب بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم تزوج أم البنين بنت حرام بن دارم الكلابية وتزوج ليلى بنت مسعود بن خالد النهشلية التيممة الدرامية وتزوج أسماء بنت عميس الخثعمية كانت تحت جعفر بن أبي طالب فقتل عنها ثم تزوجها أبو بكر فتوفي عنها ثم تزوجها أمير المؤمنين . وتزوج أم حبيب بنت ربيعة التغلبية واسمها الصهباء من السبي الذين أغار عليهم خالد بن الوليد بعين التمر وتزوج خولة بنت جعفر بن قيس بن مسلمة الحنفية وقيل خولة بنت اياس . وتزوج أم سعد أو سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفية . وتزوج مخبأة بنت امرئ القيس بن عدي الكلابية.

أولاده

عدهم المسعودي في مروج الذهب خمسة وعشرين وقال المفيد في الارشاد^(١) انهم سبعة وعشرون ما بين ذكر وأنثى ثم قال : وفي الشيعة من يذكر أن فاطمة (عليها السلام) أسقطت بعد النبي (صلى الله عليه وآله) ذكرا كان سما رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو حمل محسنا فعلى قول هذه الطائفة هم ثمانية وعشرون ، وقال ابن الأثير المحسن توفي صغيرا والمسعودي والمفيد عدهم مع المحسن فزاد محمدا الأوسط وأم كلثوم الصغرى والبنت الصغيرة ورملة الصغرى والذي وصل إلينا من كلام

(١) الارشاد: ج ١ ص ٣٥٥.

المؤرخين والنسابين وغيرهم يقتضي انهم ثلاثة وثلاثون ويمكن كون هذه الزيادة من عد الاسم واللقب اثنين مع أنهما واحد وهم :

١ الحسن ٢ الحسين ٣ زينب الكبرى ٤ زينب الصغرى المكناة أم

كلثوم قال المفيد أمهم فاطمة البتول سيدة نساء العالمين بنت سيد المرسلين

وخاتم النبيين ٥ أم كلثوم الكبرى ذكرها ابن الأثير مع زينب الكبرى وقال

المسعودي الحسن والحسين ومحسن وأم كلثوم الكبرى وزينب الكبرى

أمهم فاطمة الزهراء بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويمكن الجمع بين

قول المفيد زينب الصغرى المكناة أم كلثوم وقول ابن الأثير والمسعودي

انها أم كلثوم الكبرى بأنها زينب الصغرى بالنسبة إلى زينب الكبرى وأم

كلثوم الكبرى بالنسبة إلى أم كلثوم الصغرى الآتية التي هي من غير فاطمة

٦ محمد الأوسط أمه امامة بنت أبي العاص لم يذكره المفيد ولا المسعودي

٧ و ٨ و ٩ و ١٠ العباس وجعفر وعبد الله وعثمان الشهداء بكر بلا أمهم أم

البنين الكلابية وقال المسعودي أمهم أم البنين بنت حزام الوحيدية ولم

يذكر معهم عثمان ١١ محمد الأكبر المكنى بأبي القاسم المعروف بابن

الحنفية أمه خولة الحنفية ١٢ محمد الأصغر المكنى بأبي بكر وبعضهم عد

أبا بكر ومحمدا الأصغر اثنين والظاهر أنهما واحد ١٣ عبد الله أو عبيد الله

الشهيد بن بكر بلا أمهما ليلي بنت مسعود النهشيلة ١٤ يحيى أمه أسماء بنت

عميس ١٥ و ١٦ عمر ورقية توأمان أمهما أم حبيب الصهباء بنت ربيعة

التغلبية وعمر عمر خمسا وثمانين سنة ١٧ و ١٨ و ١٩ أم الحسن ورملة

الكبرى وأم كلثوم الصغرى أمهم أم سعد بنت عروة بن مسعود الثقفية

صفته عليه السلام في أخلاقه وأطواره وسيرته ٢٥

واقترصر المفيد والمسعودي على أم الحسن ورملة ولم يصفها بالكبرى ٢٠
بنت ماتت صغيرة أمها مخبأة الكلبية ولم يذكرها المفيد والمسعودي ٢١ أم
هاني ٢٢ ميمونة ٢٣ زينب الصغرى في عمدة الطالب أمها أم ولد وكانت
تحت محمد بن عقيل بن أبي طالب ٢٤ رملة الصغرى ولم يذكرها المفيد
ولا المسعودي ٢٥ رقية الصغرى ولم يذكرها المسعودي ٢٦ فاطمة ٢٧
امامة ٢٨ خديجة ٢٩ أم الكرام وقال المسعودي ان أم الكرام هي فاطمة ٣٠
أم سلمة ٣١ أم أبيها ذكرها المسعودي ٣٢ جمانة المكناة أم جعفر ٣٣
نفسية.

صفته عليه السلام في أخلاقه وأطواره وسيرته

روى جماعة منهم أبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء^(١) وابن عبد
البر المالكي في الاستيعاب^(٢) وابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة^(٣)
ومحمد بن طلحة الشافعي في مطالب السؤول وغيرهم بأسانيدهم أنه دخل
ضرار بن ضمرة الكناني وفي الاستيعاب الصدائي بدل الكناني على معاوية
فقال له صف لي عليا قال اعفني قال لتصفنه قال أما إذا لا بد من وصفه فإنه:
كان والله بعيد المدى شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلا يتفجر العلم
من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويأنس

(١) حلية الأولياء: ج ١ ص ٨٤

(٢) الاستيعاب: ج ٣ ص ١٠٧.

(٣) الفصول المهمة: ج ١ ص ٥٩٨.

بالليل ووحشته وكان غزير الدمعة طويل الفكرة يقلب كفه ويخاطب نفسه يعجبه من اللباس ما خشن ومن الطعام ما جشِب وكان فينا كأحدنا يدنينا إذا أتيناه ويجيبنا إذا سألناه ويأتينا إذا دعوناه وينبئنا إذا استنبأناه ونحن والله مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبة له فان تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم يعظم أهل الدين ويقرب المساكين لا يطمع القوي في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله وأشهد لقد رأيت في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه قابضا على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين فكأنني أسمع الآن وهو يقول : يا ربنا يا ربنا يتضرع إليه ثم يقول : يا دنيا غري غيري إلي تعرضت أم إلي تشوفت هيهات هيهات قد بتك ثلاثا لا رجعة فيها فعمرك قصير وخطرك كبير وعيشك حقير آه آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق . فبكى معاوية وجرت دموعه على لحيته ما يملكها وجعل ينشفها بكمه وقد اختنق القوم بالبكاء . وقال : رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك فكيف حزنك عليه يا ضرار ؟ قال حزن من ذبح ولدها بحجرها فهي لا ترقا عبرتها ولا يسكن حزنها ثم خرج .

وفي الاستيعاب^(١) سئل الحسن البصري عن علي بن أبي طالب فقال : كان والله سهما صائبا من مرامي الله على عدوه رباني هذه الأمة وذا فضلها وذا سابقتها وذا قرابتها من رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يكن بالنؤومة عن أمر الله ولا بالملومة في دين الله ولا بالسروقة لمال الله اعطى القرآن

عزائمه ففاز منه برياض مونقة ، ثم قال للسائل ذاك علي بن أبي طالب يا لكع . وفي البيان والتبيين : عن عبد الملك بن عمير قال سئل الحارث بن أبي ربيعة الملقب بالقباع عن علي بن أبي طالب فقال كم كان له ما شئت من ضرر قاطع في العلم بكتاب الله والفقه بالسنة والهجرة إلى الله ورسوله والبسطة في العشيرة والنجدة في الحرب والبذل للماعون. وفي البيان والتبيين : قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه لصعصعة بن صوحان والله ما علمتك الا كثير المعونة قليل المثونة فجزاك الله خيرا فقال صعصعة وأنت فجزاك الله أحسن من ذلك فإنك ما علمتك إلا بالله العليم.

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب^(١) : كان علي إذا ورد عليه مال لم يبق منه شيئا إلا قسمه ولا يترك في بيت المال منه إلا ما يعجز عن قسمته في يومه ذلك ويقول يا دنيا غري غيري ولم يكن يستأثر من الفئ بشئ ولا يخص به حميما ولا قريبا ولا يخص بالولايات إلا أهل الديانات والأمانات وإذا بلغه عن أحدهم خيانة كتب إليه : قد جاءكم موعظة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين وما انا عليكم بحفيظ . إذا أتاك كتابي هذا فاحفظ بما في يديك من عملنا حتى نبعث إليك من يتسلمه منك ثم يرفع طرفه إلى السماء فيقول اللهم انك تعلم اني لم آمرهم بظلم خلقك ولا بترك حقلك . قال وخطبه ومواعظه ووصاياہ لعماله إذ كان يخرجهم إلى

أعماله كثيرة مشهورة . وقال ابن أبي الحديد قال صعصعة بن صوحان وغيره من شيعته وأصحابه : وكان فينا كأحدنا لين جانب وشدة تواضع وسهولة قياد وكنا نهابه مهابة الأسير المربوط للسياف الواقف على رأسه .

وقال ابن عبد البر في موضع آخر : اجمعوا الرواة على أنه صلى القبلتين وهاجر وشهد بدرا والحديبية وسائر المشاهد وانه أبلى ببدر وبأحد وبالخندق وبخيبر بلاء عظيما وانه أغنى في تلك المشاهد وقام فيها المقام الكريم وكان لواء رسول الله (صلى الله عليه وآله) بيده في مواطن كثيرة وكان يوم بدر بيده ولما قتل مصعب بن عمير يوم أحد وكان اللواء بيده دفعه رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى علي ولم يتخلف عن مشهد شاهده رسول الله (صلى الله عليه وآله) منذ قدم المدينة الا تبوك فإنه خلفه على المدينة وعلى عياله بعده وقال له أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي^(١) . وفي الإصابة ربي في حجر النبي (صلى الله عليه وآله) ولم يفارقه وشهد معه المشاهد إلا غزوة تبوك فقال له بسبب تأخيره له بالمدينة ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى وزوجه بنته فاطمة وكان اللواء بيده في أكثر المشاهد ولما آخى النبي (صلى الله عليه وآله) بين أصحابه قال له أنت أخي ومناقبه كثيرة .

وقد تجمعت في صفاته الأضداد . قال الشريف الرضي في مقدمة نهج البلاغة : ومن عجائبه (عليه السلام) التي انفرد بها وأمن المشاركة فيها

(١) صحيح مسلم: ج ٧ ص ١٢٠ باب فضائل علي ابن أبي طالب (عليه السلام).

ان كلامه في الزهد والمواعظ إذا تأمله المتأمل وخلع من قلبه أنه كلام مثله ممن عظم قدره ونفذ أمره وأحاط بالرقاب ملكه لم يعترضه الشك في أنه كلام من لاحظ له في غير الزهادة ولا شغل له بغير العبادة قد قبع في كسر بيت أو انقطع إلى سفح جبل لا يسمع إلا حسه ولا يرى إلا نفسه ولا يكاد يوقن بأنه كلام من انغمس في الحرب مصلتا سيفه فيقطع الرقاب ويجندل الابطال ويعود به ينطف دما ويقطر مهجا وهو مع تلك الحال زاهد الزهاد وبدل الابدال وهذه من فضائله العجيبة وخصائصه اللطيفة التي جمع فيها بين الأضداد وكثيرا ما أذاكر الاخوان بها واستخرج عجبهم منها وهي موضع للعبرة بها والفكرة فيها. وقال ابن أبي الحديد في الشرح ما حاصله: كان أمير المؤمنين (عليه السلام) ذا أخلاق متضادة منها ما ذكره الرضي وهو موضع التعجب لان الغالب على أهل الشجاعة والجرأة أن يكونوا ذوي قلوب قاسية وفتك وتمرد والغالب على أهل الزهد والاشتغال بالمواعظ أن يكونوا ذوي رقة ولين وهاتان حالتان متضادتان وقد اجتمعتا له (عليه السلام) ومنها أن الغالب على ذوي الشجاعة واراقة الدماء أن يكونوا ذوي أخلاق سبعية وطباع وحشية وكذلك الغالب على أهل الزهادة أن يكونوا ذوي انقباض في الأخلاق وعبوس في الوجوه ونفار من الناس وأمير المؤمنين (عليه السلام) كان أشجع الناس وأكثرهم إراقة للدماء وأزهدهم وأبعدهم عن ملاذ الدنيا وأكثرهم وعظا وتذكيرا بأيام الله وأشدهم اجتهاداً في العبادة وكان مع ذلك الطيف العالم أخلاقاً وأكثرهم بشراً حتى عيب بالدعابة وهذا من عجائبه وغرائبه اللطيفة.

٣٠ الإمام علي (عليه السلام) من الكعبة إلى المحراب

ومنها أن الغالب على شرفاء الناس ومن هو من أهل بيت السيادة والرياسة الكبر والتيه وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) لا يشك عدو ولا صديق أنه أشرف خلق الله نسبا بعد النبي (صلى الله عليه وآله) وقد حصل له من غير شرف النسب جهات كثيرة متعددة ومع ذلك كان أشد الناس تواضعا لصغير وكبير وألينهم عريكة وأبعدهم عن كبر في زمان خلافته وقبلها لم تغيره الأمرة ولا أحالت خلقه الرياسة وكيف ولم يزل رئيسا أميرا قال أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي في تاريخه المعروف بالمنتظم^(١). تذاكروا عند أبي عبد الله أحمد بن حنبل خلافة أبي بكر وعلي فأكثروا فرفع رأسه إليهم وقال قد أكثرتم ان عليا لم تزنه الخلافة ولكنه زانها ومنها أن الغالب على ذوي الشجاعة وقتل الأنفس ان يكونوا قليلي الصفح لأن القوة الغضبية عندهم شديدة وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) مع شجاعته وكثرة اراقته الدماء كثير الصفح والعفو وقد رأيت فعله يوم الجمل ولقد أحسن مهيار في قوله:

حتى إذا دارت رحي بغيهم عليهم وسبق السيف العذل
عاذوا بعفو ماجد معود للعفو حمال لهم على العلل
فنجت البقيا عليهم من نجا وأكل الحديد منهم من أكل

وقال الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني في كتابه حلية

(١) راجع شرح ابن أبي الحديد: ج ١ ص ٤٢.

الأولياء في ترجمته^(١): علي بن أبي طالب وسيد القوم محب المشهود ومحبوب المعبود باب مدينة العلم والعلوم ورأس المخاطبات ومستبطل الإشارات راية المهتدين ونور المطيعين وولي المتقين وإمام العادلين أقدمهم إجابة وإيماناً وأقومهم قضية وإيقاناً وأعظمهم حلماً وأوفرهم علماً علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قدوة المتقين وزينة العارفين المنبئ عن حقائق التوحيد صاحب القلب العقول واللسان السؤول والإذن الواعي فقاء عيون الفتن فدفع الناكثين ووضع القاسطين ودفع المارقين الأخيشن في ذات الله. وفي الإصابة^(٢): كان قد اشتهر بالفروسية والشجاعة والاقدام ولم يزل بعد النبي (صلى الله عليه وآله) متصدياً لنصر العلم والفتيا ثم قال ما حاصله: فلما قتل عثمان بايعه الناس ثم كان قيام طلحة والزبير وعائشة في طلب دم عثمان فكانت وقعة الجمل ثم قام معاوية في أهل الشام فدعا إلى الطلب بدم عثمان فكانت وقعة صفين وكل من الفريقين مجتهد وكان من الصحابة فريق لم يدخلوا في شئ من القتال وظهر بقتل عمار أن الصواب كان مع علي واتفق على ذلك أهل السنة بعد اختلاف كان في القديم والله الحمد.

ويرد عليه صاحب أعيان الشيعة^(٣) يقول: ألا ترى أيها القارئ الكريم إلى هذا الحافظ الكبير كيف يتبلبل عن إدراك الحقيقة وهي أجلى من

(١) حلية الأولياء: ج ١ ص ٦١.

(٢) الإصابة: ج ٤ ص ٤٦٥.

(٣) أعيان الشيعة: ج ١ ص ٣٢٩.

الشمس الضاحية يقول اشتهر بالفروسية والشجاعة والاقدام وكان الأولى به أن يقول اشتهر بكل فضيلة فأني فضيلة لم يشتهر بها اشتهاره بالشجاعة اشتهر بالعلم والحلم والفصاحة وحل المشكلات عند القضاء والزهد والورع والعبادة والعدل وغيرها من محاسن الصفات ولم يكن شئ من الفضائل لم يشتهر به وقوله وكل من الفريقين مجتهد قول يصعب التصديق به ممن قتل الأمور بحثا وتاملا ولم يشأ أن يقلد من يجوز عليه الخطا وممن سمع وعرف أن الاجتهاد لا يجوز في مقابل النص ولا في القطعيات والأمر الظاهرة قوله وظهر بقتل عمار أن الحق كان مع علي فيه من التجاهل بالحقائق ما لا ينقضي منه العجب أفكان قول النبي (صلى الله عليه وآله) عمار تقتله الفئة الباغية أشهر وأعرف عند الناس من قوله (صلى الله عليه وآله) علي مع الحق والحق مع علي يدور معه كيفما دار يا علي حربي حربي وسلمك سلمي يا علي من أبغضك فقد أبغضني ومن سبك فقد سبني وأمثالها مما شاع وذاع ورواه الجمهور من الصحابة ألم يكن واحد من هذه الآثار كافيا في ظهور أن الحق مع علي فضلا عن جميعها أفلم يكن في مبايعة المهاجرين والأنصار وإجلاء الصحابة له بالمدينة الذين لم يبايع من تقدمه أكثر منهم دليلا على أن الحق معه وما أحسن ما قاله بعض العلماء العجب من قوم يأخذهم الريب لمكان عمار ولا يأخذهم لمكان علي بن أبي طالب (عليه السلام).

وأما فضائل علي بن أبي طالب (عليه السلام) في صحيح مسلم بشرح

الإمام النووي ج ١٥، ص ١٧٥ حدثنا قتيبة بن سعيد ومحمد بن عباد

(وتقاربا في اللفظ) قالا حدثنا حاتم، وهو ابن إسماعيل عن بكير بن مسمار عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال امر معاوية بن أبي سفيان سعدا فقال ما منعك ان تسب أبا التراب فقال اما ما ذكرت ثلاثا قالهن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلن أسبه لان تكون لي واحدة منهن أحب إلى من حمر النعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له خلفه في بعض مغازيه فقال له على يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبوة بعدي وسمعتة يقول يوم خيبر لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قال فتناولنا لها فقال ادعوا لي عليا فاتي به أرمد فبصق في عينه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه ولما نزلت هذه الآية فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فقال اللهم هؤلاء أهلي^(١).

وأما قتيبة بن سعيد قال حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن القارئ عن سهل عن أبيه عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر لأعطين هذه الراية رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه قال عمر بن الخطاب ما أحببت الامارة إلا يومئذ قال فتساورت لها رجاء ان ادعى لها قال فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب فأعطاه إياها

(١) راجع أيضاً صحيح مسلم: ج ٧ ص ١٢٠ باب من فضائل علي بن أبي طالب (عليه السلام)

وفتح الباري لأبن حجر: ج ٧ ص ٥٧ وسنن الترمذي: ج ٥ ص ٣٠١ ومستدرک الحاكم: ج ٣

وقال امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك قال فسار على شيئا ثم وقف ولم يلتفت فصرخ يا رسول الله على ماذا أقاتل الناس قال قاتلهم حتى يشهدوا ان لا إله إلا الله وان محمدا رسول الله فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دمائهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله^(١).

(١) راجع: السنن الكبرى للنسائي: ج ٥ ص ١١١ وشرح معاني الآثار لأحمد بن محمد ابن سلمه: ج ٣ ص ٢١٢ وصحيح مسلم: ج ٧ ص ١٢١ وتاريخ ابن عساکر: ج ٤٢ ص ٨٢ والسيرة الحلبية: ج ٢ ص ٧٣٦.

الفصل الثاني:

مبلغ سنه ووقت إسلامه

روى الحاكم في المستدرک^(١) بسنده عن محمد بن إسحاق وهو المطابق لقول من قال أنه ولد بعد مولد النبي (صلى الله عليه وآله) بثلاثين سنة وقبل البعثة بعشر سنين فإن النبي (صلى الله عليه وآله) كان عمره يوم بعث أربعين سنة ومطابق للقول بأنه عاش ثلاثا وستين سنة فإنه استشهد سنة أربعين وتوفي النبي (صلى الله عليه وآله) سنة عشر أو إحدى عشرة وعاش هو بعد النبي ثلاثين سنة فإذا أضيفت إلى ثلاث وعشرين سنة أقامها بمكة والمدينة بعد البعثة كانت ثلاثا وخمسين فإذا أضيف إليها عشر قبل البعثة كانت ثلاثا وستين . وقال المفيد في الارشاد:^(٢) أقام بعد البعثة ثلاثا وعشرين سنة منها ثلاث عشرة سنة بمكة قبل الهجرة وعشر سنين بعد الهجرة بالمدينة وتوفي النبي ولأمير المؤمنين ثلاث وثلاثين سنة. فعلى هذا يكون عمره يوم أسلم عشر سنين وقيل أسلم وهو ابن إحدى عشرة سنة

(١) المستدرک علی الصحیحین: ج ٣ ص ١١١.

(٢) الارشاد: ج ١ ص ٦.

وهو الذي صححه أبو الفرج الأصبهاني في مقاتل الطالبين^(١) وهو المروي عن مجاهد وقيل اثنتي عشرة سنة بناء على أنه عاش خمسا وستين سنة كما سيأتي ، اثنتي عشرة قبل البعثة وثلاثا وعشرين بعد البعثة إلى وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) وثلاثين بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) وقيل ثلاث عشرة سنة ، في الاستيعاب هو أصح ما قيل وقد روي عن ابن عمر من وجهين جدين، وقيل خمس عشرة سنة رواه الحاكم في المستدرک^(٢) بسنده عن قتادة عن الحسن ثم قال وهذا الاسناد أولى من الاسناد الأول . يعني الذي رواه عن محمد بن إسحاق . ورواه في أسد الغابة^(٣) بسنده عن الحسن وغيره قال أول من أسلم علي بعد خديجة وهو ابن خمس عشرة سنة. وقيل ابن ست عشر سنة حكاه الحاكم في المستدرک ثم روى بسنده عن ابن عباس وقال صحيح على شرط الشيخين أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) دفع الراية الى علي يوم بدر وهو ابن عشرين سنة قال الذهبي في تلخيص المستدرک: هذا نص على أنه اسلم وله أقل من عشر سنين بل نص في أنه أسلم وهو ابن سبع سنين أو ثمان وهو قول عروة.

وذكر المحققون أنه ابن خمس سنين ونصف تقريبا لأن النبي (صلى الله عليه وآله) أقام بمكة بعد البعثة نحو ثلاث عشرة سنة وكانت بدر على رأس تسعة عشر شهرا من مهاجره فهذه نحو أربع عشر سنة ونصف فإذا

(١) مقاتل الطالبين: ص ١٥.

(٢) الحاكم: ج ٣ ص ١١٢.

(٣) اسد الغابة: ج ٤ ص ١٨.

أضيف إليها خمس سنين ونصف كانت عشرين . وروى ابن عبد البر في الاستيعاب عن السراج في تاريخه بسنده عن ابن عباس قال دفع رسول الله (صلى الله عليه وآله) الراية يوم بدر إلى علي وهو ابن عشرين سنة ، وتدل خطبته حين بلغه غارة الغامدي على الأنبار أنه باشر الحرب وهو ابن عشرين سنة . وقال في خطبة^(١) له يحث فيها على الجهاد : لقد نهضت فيها أي الحرب وما بلغت العشرين . ولا يبعد أن يريد بمباشرة الحرب ما كان منه يوم هجرته ولحوق الفوارس الثمانية به وقتله مقدمهم جناحا فان ذلك أول مباشرته الحرب وأول ظهور شجاعته العظيمة لا حرب بدر المتأخرة عن ذلك تسعة عشر شهرا وإن كانت هي أول وقائعه العظمى فيكون عمره على هذا يوم أسلم سبع سنين فإذا أضيف إليها ثلاث عشرة سنة أقامها بمكة إلى حين هجرته كانت عشرين . وفي بعض الروايات أنه كان عمره يوم بدر ثلاثا وعشرين سنة وفي بعضها أربعا وعشرين وفي بعضها خمسا وعشرين ، ولعل القول بان عمره يوم أسلم إحدى عشرة سنة مبني على أنه كان يوم بدر ابن خمس وعشرين .

ملازمته النبي صلى الله عليه وآله

ولم يزل علي في صحبة النبي (صلى الله عليه وآله) ملازما له فأقام مع النبي (صلى الله عليه وآله) بعد البعثة ثلاثا وعشرين سنة منها ثلاث عشرة سنة بمكة قبل الهجرة مشاركاه في محنته كلها متحملا عنه أكثر أثنائه

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٧٥.

وعشر سنين بالمدينة بعد الهجرة يكافح عنه المشركين ويجاهد دونه الكافرين ويقيه بنفسه من أعدائه في الدين وقتل الأبطال وضرب بالسيف بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعمره بين العشرين والثلاث والعشرين سنة إلى الخمس والعشرين.

في حصار الشعب

ويوم حصار الشعب الذي دخل فيه بنو هاشم خوفاً من قريش وحصرهم فيه كان علي معهم ولا شك أن أباه كان ينيمه أيضاً في مرقد النبي (صلى الله عليه وآله) لأن ذلك من أشد أيام الخوف عليه من البيات وقد يسأل سائل لما إذا اختص أبو طالب ابنه علياً بان ينيته في مضجع النبي (صلى الله عليه وآله) حين يقبضه منه مع أنه أصغر أولاده وطالب وعقيل وجعفر أكبر منه فهم أولى بان ينيهم واحداً منهم في مضجع النبي (صلى الله عليه وآله) والجواب على هذا السؤال لا يحتاج إلى كثير تفكير فهو على صغر سنه أثبتهم جنانا وأشجعهم قلباً وأشدهم تهالكا في حب ابن عمه وإن كان لجعفر المقام السامي في ذلك لكنه لا يصل إلى رتبة أخيه علي (عليه السلام).

خبره مع أبي ذر عند إسلامه

رواه صاحب الاستيعاب^(١) بسنده عن ابن عباس في حديث طويل في

(١) الاستيعاب: ج ٤ ص ١٦٥٣ وراجع أيضاً تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر: ج ٦٦ ص ١٧٤

وإمتاع الأسماع للمقرئزي: ج ٤ ص ٣٧١.

ترجمة أبي ذر، وفيه ان أبا ذر لما بلغه مبعث النبي (صلى الله عليه وآله) قدم مكة فاتى المسجد فالتمس النبي (صلى الله عليه وآله) ولا يعرفه وكره أن يسأل عنه حتى أدركه الليل فاضطجع فرآه علي بن أبي طالب فقال كأن الرجل غريب قال نعم قال انطلق إلى المنزل قال فانطلقت معه لا يسألني عن شئ ولا أسأله ، فلما أصبحت رجعت إلى المسجد فبقيت يومي حتى أمسيت وسرت إلى مضجعي فمر بي علي فقال أما آن للرجل أن يعرف منزله فاقامه وذهب به معه وما يسأل واحد منهما صاحبه عن شئ حتى إذا كان اليوم الثالث فعل مثل ذلك فاقامه علي معه ثم قال له ألا تحدثني ما الذي أقدمك هذا البلد ؟ قال إن أعطيتني عهدا وميثاقا لترشدني فأقول لك، قال: نعم قال أسألك عن النبي فأخبره علي أنه نبي وإن ما جاء به حق وأنه رسول الله وقال فإذا أصبحت فاتبعني فاني إن رأيت شيئا أخاف عليك قمت كأنني أريق الماء فان مضيت فاتبعني حتى تدخل معي مدخلي فانطلقت أقفوه حتى دخل على رسول الله (صلى الله عليه وآله) [الحديث] ويدلنا هذا الحديث على وجود علي (عليه السلام) وكرم أخلاقه وحسن أدبه و شدة حنوه على الغريب والضعيف ومسارحته إلى إقراء الضيف فإنه لما رآه وعلم أنه غريب دعاه إلى منزله وأضافه وقراه ولم يسأله عن شئ وذلك من حسن الأدب مع الضيف ولما رآه في الليلة الثانية عاتبه علي عدم رجوعه إلى منزل ضيافته وبقائه في المسجد وأقامه معه ولم يسأله عن شئ إلا في الليلة الثالثة بعد ما أنس أبو ذر به وارتفعت عنه وحشة الغربة وقضى أيام الضيافة التي هي ثلاثة وربما يكون قد توسم فيه أنه جاء لينظر في الاسلام وقد

٤٠ الامام علي (عليه السلام) من الكعبة إلى المحراب
يكون مانعها عن السؤال شدة الخوف . وسوق الحديث يدل على أن
الخوف من قريش كان شديدا فهو حين أراد أن يذهب به إلى رسول الله
(صلى الله عليه وآله) خاف عليه أن يراه أحد معه فيظن أنه ذهب ليسلم
فينال أبا ذر من ذلك أذى شديد فقال له أنه إذا رأى أحدا يخافه عليه جلس
وتعلل بأنه يريد أن يبول ولا يعرف من يراه أن أبا ذر معه وأوصاه أنه إذا
رآه قد مضى أتبعه بدون أن يلتفت إليه ولا يشير إليه لئلا يراه أحد فيعرف
أنه سائر معه . وكأنَّ أبا ذر وقع في قلبه من ذلك اليوم حب علي فساعدته
التوفيق على أن تولاه وشايعه طول حياته .

صعوده على منكب النبي (صلى الله عليه وآله) والقائه الصنم عن الكعبة
روى الحاكم في المستدرک بسنده عن علي بن أبي طالب قال : انطلق
بي رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى أتى بي الكعبة فقال لي اجلس
فجلست إلى جنب الكعبة فصعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) بمنكبي ثم
قال لي انهض فنهضت فلما رأى ضعفي تحته قال لي اجلس فنزلت
وجلست ثم قال لي يا علي اصعد على منكبي فصعدت على منكبيه ثم
نهض بي فلما نهض بي خيل لي لو شئت نلت أفق السماء ، فصعدت فوق
الكعبة وتنحى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال لي الق صنمهم الأكبر
صنم قريش وكان من نحاس موتدا بأوتاد من حديد إلى الأرض فقال لي
عالجه وهو يقول لي ايه ايه جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ،
فلم أزل أعالجه حتى استمكنت منه فقال اقدفه فقدفته فتكسر وتردیت من
فوق الكعبة فانطلقت أنا والنبي (صلى الله عليه وآله) نسعى وخشينا أن يرانا

أحد من قريش وغيرهم. قال الحاكم هذا حديث صحيح الاسناد^(١).

وأما وصية أبيه له عند وفاته

لما حضرت أبا طالب الوفاة أوصى ابنه علياً وجعفرأ وأخويه حمزة وعباساً بنصره فقاموا به أحسن قيام لا سيما علي وحمزة وجعفر ، وفي ذلك يقول أبو طالب من أبيات:

أوصي بنصر النبي الخير مشهده عليا ابني وعم الخير عباسا
وحمزة الأسد المخشي جانبه وجعفرأ أن تذودوا دونه الناسا

وفي جمع علي معهم بل تقديمه عليهم وهو غلام صغير وأخوه جعفر أكبر منه والآخران عماه وهما أسن منه دليل كاف على ما كان يتوسمه أبو طالب في ابنه علي من مخايل الشجاعة والرجولة والباس والنجدة وأنه سيكون خير ناصر للنبي (صلى الله عليه وآله) وأعظم محام عنه ومؤازر له وما أخطأت فراسته فيه بل أصابت فكان عند فراسته فيه بأقصى حد يتصور .

ما جرى له بعد وفاة أبي طالب

لما توفي أبو طالب جاء علي إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فاعلمه بوفاة فحزن عليه حزنا شديدا وأمر علياً بتغسيله وروى السيد فخار بن معد

(١) مستدرک الصحيحين: ج ٢ ص ٣٦٧ وراجع أيضاً السنن الكبرى للنسائي: ج ٥ ص ١٤٢

ونظم دُرر السمطين: ص ١٢٥ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٩ والمناقب للخوارزمي: ص ١٢٣

وسبل الهدى والرشاد للصالحى الشامى: ج ٥ ص ٣٢٦.

في كتابه الذي الفه في إسلام أبي طالب أن أبا طالب لما مات جاء علي (عليه السلام) إلى النبي فأخبره بموته فتوجع عظيماً وحزن شديداً ثم قال أمضي فتولي غسله فإذا رفعته على سريريه فأعلمني ففعل فاعترضه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو محمول على رؤوس الرجال فقال له واصلتك رحم يا عمّ وجزيت خيراً فلقد ربيت وكلفت صغيراً ونصرت وآزرت كبيراً ثم تبعه إلى حفرة فوقف عليه فقال أما والله لاستغفرن لك ولأشفعن فيك شفاعة يعجب لها الثقلان.

تعداد مناقبه وفضائله عليه السلام

وهي كثيرة ينبو عنها الحصر وعظيمة يضيق بها الوصف ويقصر دونها الفكر . وقد ألفت في فضائله ومناقبه التي اختص بها وامتاز بها عن سائر الصحابة مؤلفات كثيرة عدى ما أودع في مضامين الكتب التي لا تحصى منها كتاب خصائصه للنسائي طبع مرارا . وكتاب خصائصه للحافظ أبي نعيم الأصفهاني . وكتاب خصائصه لأبي عبد الرحمن السكري . وكتاب ما نزل فيه من القرآن للحافظ أبي نعيم الأصفهاني ولسنا نحتاج في إثبات عظمته وعلو مقامه وامتيازته عن الخلق عدى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومشاركته له في كثير من صفاته وأحواله إلى روايات الراويين ومؤلفات المؤلفين . بل يكفينا لذلك إلقاء نظرة واحدة على أحواله المسلمة المتواترة من أنه كيف وتر العرب في حروبه مع النبي (صلى الله عليه وآله) وقتل صناديدها ورؤساءها فأورث ذلك الأضغان والأحقاد عليه في قلوبها وكان

آباء من قتلهم وأبناؤهم وإخوانهم وعشائهم لا يزالون موجودين وأحقادهم لا تزال كامنة ونيرانها في صدورهم مشتعلة وإن دخلوا في الاسلام فجملة منهم دخلوا فيه كرها وخوفاً من السيف ومن دخل عن عقيدة لم تكن عقيدته لتغير ما في نفسه وطبعه من الغيظ على قاتل أبيه وأخيه وابنه وقريبه ألا ترى إلى سيد ولد آدم كيف لم يستطع أن ينظر إلى قاتل عمه حمزة فقال له غيب وجهك عني وهو أكمل الخلق ولما رأى أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وهو مسلم أباه عتبة يجر إلى القليب تغير وجهه ولما نهى رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن قتل أحد من بني هاشم وعن قتل العباس عمه قال أبو حذيفة أنقتل أبناءنا وإخواننا وعشائنا ونترك العباس والله لئن لقيته لألجمنه السيف ثم ما كان من تنويه النبي (صلى الله عليه وآله) بشأنه في مواضع عديدة واختصاصه به ما زرع بذر الحسد له وغرس العداوة له في قلوب الناس الرجال منهم والنساء سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلاً حتى قالت أخت علي بن عدي من بني عبد شمس لما سار علي (عليه السلام) إلى البصرة :

لا هم فأعقر بعلي جملته ولا تبارك في بعير حملته

إلا علي بن عدي ليس له

ويدل على ذلك أيضاً ما رواه الكليني في الكافي^(١) بسنده عن الباقر

(عليه السلام) قال لما قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله) بات آل محمد

بأطول ليلة حتى ظنوا أن لا سماء تظلمهم ولا أرض تقلهم لأن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتر الأقربين والأبعدين في الله. وتلا ذلك ما كان في دولة بني أمية نحو من ثمانين سنة أو أكثر من إظهار بغضه وعداوته ولعنه على المنابر والاجتهاد في كتمان فضائله ومنع أحد أن يسمى باسمه ويكنى بكنيته. روى أبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء^(١) بسنده قال كان علي بن عبد الله بن العباس يكنى أبا الحسن فلما قدم على عبد الملك قال له غير اسمك وكنيتك فلا صبر لي على اسمك وكنيتك فقال أما الاسم فلا وأما الكنية فاكتني بأبي محمد فغير كنيته ومنعوا أحدا أن يحدث عنه حتى كان من يحدث عنه لا يذكره باسمه قال المفيد في الارشاد^(٢) وفيما انتهى إليه الأمر من دفن فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام) والحيلولة بين العلماء ونشرها ما لا شبهة فيه على عاقل حتى كان الرجل إذا أراد أن يروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) رواية لم يستطع أن يصفها بذكر اسمه ونسبه وتدعوه الضرورة إلى أن يقول حدثني رجل من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) أو يقول حدثني رجل من قريش ومنهم من يقول حدثني أبو زينب.

فتقرب إليهم الناس ببغضه ورووا لهم الأحاديث في ذمه وغمط فضله . وما كان في دولة بني العباس من قصد اخمال ذكره واخفاء فضله واخماد نوره خوفا من ذريته على الملك . وإخافة كل من ينتسب إليه كما وقع في

(١) حلية الأولياء: ج ٣ ص ٢٠٧.

(٢) الارشاد: ج ١ ص ٣١١.

عهد المنصور والرشيد والمتوكل وغيرهم الا اذا كالمأمون وغيره والناس
إلا ما ندر اتباع السلطة والسلطان وعبيد الدنيا والدينار واستمر ذلك في
الدول الاسلامية وفي المسلمين إلى يومنا هذا بما أسسه المؤسسون في غابر
الأزمان وسطره علماء السوء في كتبهم وتوالت عليه القرون والأحقاب
فترى كثيرا من الناس لا يستطيع أن يسمع له فضيلة أو منقبة ونرى جملة من
المسلمين عمدوا إلى خير كتاب جمع كلامه نهج البلاغة وأعظم مفخرة
للاسلام فأنكروه وادعوا أنه من وضع الرضي حتى نسب الحافظ الذهبي
كلامه إلى الركة ومع كل هذا وذاك وجميع ما هناك فقد انتشر من مناقبه
وفضائله ومآثره وجليل صفاته وأفعاله ما تواتر نقله واستفاض وملا الدفاتر
والأسفار وانتشر في جميع الأقطار والأعصار ولم يجد محاول إنكاره سبيلا
إلى الإنكار حتى قال الإمام أحمد بن حنبل كما سيأتي ما جاء لأحد من
أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) من الفضائل ما جاء لعلي بن أبي
طالب وهذا يكاد يلحق بالمعجزات والآيات الباهرات والعادة جارية بان من
كانت هذه حاله يخمل ذكره ويخفى امره ولا يذكره ذاكر بخير ؛ قال
المفيد في الارشاد : ومن آياته وبيناته التي انفرد بها ظهور مناقبه في الخاصة
والعامة وتسخير الجمهور لنقل فضائله وما خصه الله به وتسليم العدو من
ذلك بما فيه الحجة هذا مع كثرة المنحرفين عنه والأعداء له وتوفير أسباب
دواعيهم إلى كتمان فضله وجحد حقه وكون الدنيا في يد خصومه
وانحرافها عن أوليائه وما اتفق لأضداده من سلطان الدنيا وحمل الجمهور
على اطفاء نوره ودحض امره فخرق الله العادة بنشر فضائله وظهور مناقبه

وتسخير الكل للاعتراف بذلك والاقرار بصحته واندحاض ما احتال به أعداؤه في كتمان مناقبه وجحد حقوقه حتى تمت الحجة له وظهر البرهان بحقه ولما كانت العادة جارية بخلاف ما ذكرناه فيمن اتفق له من أسباب خمول امره ما اتفق لأمير المؤمنين (عليه السلام) فانخرقت العادة فيه دل ذلك على بينونته من الكافة بياهر الآية على ما وصفناه قال وقد شاع الخبر واستفاض عن الشعبي^(١) أنه كان يقول لقد كنت اسمع خطباء بني أمية يسبون أمير المؤمنين علي بن أبي طالب على منابرهم وكأنما يشال بضبعه إلى السماء وكنت أسمعهم يمدحون أسلافهم على منابرهم وكأنهم يكشفون عن جيفة وقال الوليد بن عبد الملك لبنيه يوما يا بني عليكم بالدين فاني لم أر الدين بنى شيئا فهدمته الدنيا ورأيت الدنيا قد بنت بنيانا فهدمه الدين ما زلت اسمع أصحابنا وأهلنا يسبون علي بن أبي طالب ويدفنون فضائله ويحملون الناس على شنآنه فلا يزيد ذلك من القلوب الا قربا ويجهدون في تقريبهم من نفوس الخلق فلا يزيدهم ذلك من القلوب الا بعدا قال : وكانت الولاية الجورة تضرب بالسياط من ذكره بخير بل تضرب الرقاب على ذلك وتعرض للناس بالبراءة منه والعادة جارية فيمن اتفق له ذلك أن لا يذكر على وجه الأرض بخير فضلا عن أن تذكر له فضائل أو تروى له مناقب أو تثبت له حجة بحق.

(١) بحار الأنوار: ج ٤٢ ص ١٩ ومناقب ابن شهر آشوب: ج ٢ ص ٣٥١ وارشاد المفيد: ج ١ ص

وقال المفيد في الارشاد^(١): فاما مناقبه الغنية لشهرتها وتواتر النقل بها واجماع العلماء عليها عن ايراد أسانيد الأخبار بها فهي كثيرة يطول بشرحها الكتاب وفي رسمنا منها طرفا فيه كفاية عن ايراد جميعها في الغرض الذي وضعنا له هذا الكتاب.

وفي أسد الغابة^(٢): روى يزيد بن هارون عن فطر عن أبي الطفيل قال بعض أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) لقد كان لعلي من السوابق ما لو أن سابقة منها بين الخلائق لو سعتهم خيرا . وفيه بسنده عن المدائني : لما دخل علي بن أبي طالب الكوفة دخل عليه رجل من حكماء العرب فقال والله يا أمير المؤمنين لقد زنت الخلافة وما زانتك ورفعتها وما رفعتك وهي كانت أحوج إليك منك إليها . قال ابن أبي الحديد في شرح النهج اما فضائله (عليه السلام) فإنها قد بلغت من العظم والجلال والانتشار والاشتهار مبلغا يسمح معه التعرض لذكرها والتصدي لتفصيلها فصارت كما قال أبو العيناء لعبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير المتوكل والمعتمد رأيتني فيما أتعاطى من وصف فضلك كالمخبر عن ضوء النهار الباهر والقمر الزاهر الذي لا يخفى على الناظر فأيقنت أنني حيث انتهى بي القول منسوب إلى العجز مقصر عن الغاية فانصرفت عن الثناء عليك إلى الدعاء لك ووكلت الأخبار عنك إلى علم الناس بك . وما أقول في رجل أقر له أعداؤه وخصومه بالفضل ولم يمكنهم جحد مناقبه ولا كتمان فضائله فقد علمت

(١) المصدر السابق.

(٢) أسد الغابة لأبن الأثير: ج ٤ ص ٣٢.

أنه استولى بنو أمية على سلطان الاسلام في شرق الأرض وغربها واجتهدوا بكل حيلة في اطفاء ذكره والتحريف عليه ووضع المعائب والمثالب له ولعنوه على جميع المنابر وتوعدوا مادحيه بل حبسوهم وقتلوهم ومنعوا من رواية حديث يتضمن له فضيلة أو يرفع له ذكرا حتى حظروا أن يسمى أحد باسمه فما زاده ذلك الا رفعة وسموا وكان كالمسك كلما ستر انتشر عرفه وكلما كتم اتضح نشره وكالشمس لا تستر بالرياح وكضوء النهار إن حجب عنه عين واحدة أدركته عيون كثيرة أخرى^(١).

(١) شرح ابن أبي الحديد: ج ١ ص ١٦.

الفصل الثالث

نذكر نبذة يسيرة من الأخبار في شأن أمير المؤمنين (عليه السلام)

عن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا علي لو أن عبداً عبد الله عزّ وجلّ مثل ما قام نوح في قومه، وكان له مثل أحد ذهباً وأنفقه في سبيل الله عزّ وجلّ ومد في عمره حتى حج ألف عام على قدميه ثم قتل بين الصفا والمروى مظلوماً ولم يوالك لم يشم رائحة الجنة^(١).

وعن النبي (صلى الله عليه وآله) يا عمار، طاعة علي طاعتي وطاعتي طاعة الله^(٢).

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) يا عمار فإن سلك الناس كلهم وادياً وسلك علي وادياً فاسلك وادي علي بن أبي طالب وترك الناس^(٣).

عن علي (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) يا علي أنت حجة الله، وأنت باب الله وأنت الطريق إلى الله وأنت النبا العظيم،

(١) المناقب للعلامة الخوارزمي: ص ٢٨.

(٢) فرائد السمطين للعلامة الجوزي الشافعي: ج ١، ص ٣٠٠ بيروت.

(٣) ج ١، ص ١٨٧ نفس المصدر.

٥٠ الامام علي (عليه السلام) من الكعبة إلى المحراب

وأنت الصراط المستقيم وأنت المثل الأعلى وإمام المسلمين ، وأمير المؤمنين وخير الوصيين وسيد الصديقين يا علي أنت الفاروق الأعظم ، وأنت الصديق الأكبر وان حزبك حزبي وحزبي حزب الله وإن حزب أعدائك حزب الشيطان^(١) .

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) إن الله جعل علياً وزجوته وأبنائه حجج الله على خلقه، وهم أبواب العلم في أمتي من اهتدى بهم هدى إلى صراط مستقيم^(٢) .

عن علي بن أبي طالب ، ومن سرّه ان يجوز على الصراط كالريح العاصف ، ويلج الجنة بغير حساب فلتوالي وليي ووصيي وصاحبي وخليفتي على أهلي علي بن أبي طالب ، ومن سرّه أن يلج النار فليترك ولايته فوعزة ربي وجلاله إنه لباب الله الذي لا يؤتى إلا منه وانه الصراط المستقيم وإنه الذي يسأل عن ولايته^(٣) .

عن الأعمش عن ابن عباس قال: ستكون فتنة فمن ادركها منكم فعليه بكتاب الله وعلي بن أبي طالب (عليه السلام) فإنني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو يقول: «هذا أول من آمن بي وأول من يصفحني وهو فارق هذه الأمة يفرق بين الحق والباطل، وهو يعسوب المؤمنين وهو

(١) ينابيع المودة الباب ٩٥، ص ٢٤٩٦.

(٢) شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني، ج ١، ص ٢٥٨.

(٣) المصدر السابق: ج ١، ص ٢٥٩.

الصديق الأكبر وهو بابي الذي أتى منه وهو خليفتي من بعدي»^(١).

عن أبي ليلي الغفاري قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول ستكون فتنة من بعدي، فإذا كان ذلك فالزموا علي بن أبي طالب، إنه أول من يراني وأول من يصافحني يوم القيامة، وهو معي في السماء العليا، وهو الفاروق بين الحق والباطل»^(٢).

عن علي (عليه السلام) «إن الله تبارك وتعالى لو شاء لعرف الناس نفسه ولكن جعلنا أبوابه وصراطه ووجهه الذي يتوجه منه إليه فمن عدل عن ولايتنا أو فضل علينا غيرنا فانهم عن الصراط لناكبون»^(٣).

عن النبي (صلى الله عليه وآله) «يا علي من أطاعني فقد أطاع الله، ومن أطاعك فقد أطاعني ومن عصاني فقد عصى الله ومن عصاك فقد عصاني»^(٤).

عن أم سلمة أنها كانت تقول: «كان عليُّ على الحق، من اتبعه اتبع الحق ومن تركه تكرر الحق عهد معهود قبل يومه هذا»^(٥).

أخرج ابن مردويه في المناقب عن أبي ذر (رض) فإني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «علي مع الحق والحق معه وعلى لسانه

(١) كفاية الطالب الكنزي الشافعي الباب ٤٤، ص ١٨٧.

(٢) كفاية الطالب، الاب ٤٤.

(٣) ينابيع المودة: ج ١، ص ١٠١.

(٤) المصدر السابق: ج ٢، ص ٨٣.

(٥) رواه الطبراني في مجمع الزوائد للمحافظ الهيثمي: ج ٩، ص ١٣٤.

والحق يدور حيث دار علي^(١).

عن شهر بن حوشب قال كنت عند أم سلمة رضي الله عنها، إذ استأذن رجل فقال له من أنت قال أنا أبو ثابت مولى علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقالت أم سلمة مرحبا بك يا أبا ثابت ادخل فدخل فرحبت به ثم قالت يا أبا ثابت أين طار قلبك حين طارت القلوب مطائرها، فقال مع علي^(عليه السلام) قالت: وفقت والذي نفسي بيده لقد سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول علي مع الحق والقرآن والحق والقرآن مع علي ولن يفترقا حتى يردا علي^(عليه السلام) الحوض^(٢).

قال النبي (صلى الله عليه وآله): «تمسكوا بهذا يعني علياً (عليه السلام) وهو جبل الله المتين^(٣)».

أيها القارئ اللبيب إذا مررت بهذه الأخبار المنقولة من الكتب المعتبرة عند العامة مرّ النبي ونظرت فيها بعين الانصاف والامعان يحصل لك اليقين والاطمئنان بأن الاعتراف بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام وأولاده المعصومين - صلوات الله عليهم أجمعين - من أهم الفرائض وأعظمها لأنك علمت: أنه عليه السلام جبل الله المتين بينه وبين خلقه ومن ألقى جبل الله من يده خر من السماء إلى الأرض فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق.

(١) الغدير للعلامة الأميني: ج ٣، ص ١٢٨.

(٢) فرائد السمطين للجوزي: ج ١، ص ١٧٧.

(٣) دلائل الصدق: ج ٢ ص ٣٢.

تذكر نبذة يسيرة من الأخبار في شأن أمير المؤمنين (عليه السلام) ٥٣

وأنه عليه السلام غصن من أغصان النبوة ، من تعلق به نجا ، ومن زاغ عنه هوى^(١) .

وأنه عليه السلام من ناصب خلافته من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو كافر^(٢) .

وأنه عليه السلام باب حطة ، من دخل فيه كان مؤمناً ، ومن خرج عنه كان كافراً^(٣) .

وأن ولايته ولاية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وولاية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولاية الله (٣) . وأنه عليه السلام من فارقه فارق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن فارق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد فارق الله تعالى^(٤) .

الأخبار الواردة في فضل علي وفضائله

عن أنس بن مالك ، قال : (صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوماً صلاة العصر ، فأبطأ في الركعة الأولى حتى ظننا أنه سهى أو غفل ، ثم رفع رأسه فقال : سمع الله لمن حمده ، ثم أوجز في صلاته ، ثم أقبل علينا بوجهه كأنه القمر ليلة البدر ، ثم قال : ما لي لا أرى أخي وابن

(١) شواهد التنزيل: ج ٢، ص ٢٤.

(٢) في كتاب المناقب لابن المغازلي: ص ٤٦.

(٣) كنز العمال: ج ١١، ص ٦١ - ٦١١.

(٤) فرائد السمطين، ج ١، ص ٣٠٠ و ١٧٨.

عمى علي بن أبي طالب ؟ فقلنا : ما رأيناه يا رسول الله ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأعلى صوته : يا علي ، يا ابن عم ! فأجابه علي من آخر الصفوف : لبيك يا رسول الله . فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ادن مني . فقال أنس : فما زال يتخطى أعناق المهاجرين والأنصار حتى دنا المرتضى من المصطفى ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ما الذي خلفك عن الصف الأول ؟ قال : شككت أني على غير وضوء فأتيت إلى منزل فاطمة (عليه السلام) فناديت : يا حسن ، يا حسين ، فلم يجبني أحد ، فإذا بهاتف يهتف بي من ورائي وهو ينادي : يا أبا الحسن ! التفت وراءك ، فالتفت فإذا بطشت فيه سطل وفيه ماء وعليه منديل ، فوضعت المنديل وتوضأت ، فوجدت الماء في لين الزبد وطعم الشهد ورائحة المسك ، ثم التفت فلا أدري من وضع السطل والمنديل ولا من أخذه . فتبسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في وجهه ، وضمه إلى صدره ، وقبل ما بين عينيه ، ثم قال : ألا أبشرك ؟ أن السطل من الجنة وإن الماء من الفردوس الأعلى ، والذي هياك للصلاة جبرئيل عليه السلام ، والذي مندلك ميكائيل عليه السلام : والذي نفس محمد بيده ، ما زال إسرافيل قابضا على منكبي حتى لحقت الصلاة ، وقال ، أصبر لنفسك وابن عمك^(١) .

عن جابر رضي الله عنه ، قال : كنا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فأقبل علي ابن أبي طالب عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) في كفاية الطالب، الباب ٧٢، ص ٢٩٠ ط نجف.

وآله وسلم : قد أتاكم أخي ، ثم التفت إلى الكعبة ف ضربها بيده ، ثم قال ،
والذي نفسي بيده ، إن هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة ، ثم قال : إنه
أولكم إيماناً معي ، وأوفاكم بعهد الله تعالى ، وأقومكم بأمر الله ، وأعدلكم
في الرعية ، وأقسمكم بالسوية ، وأعظمكم عند الله منزلة .

قال : وفي ذلك الوقت نزلت فيه : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ ، وكان أصحاب النبي صلى الله عليه
وآله وسلم إذ أقبل علي عليه السلام قالوا : قد جاء خير البرية ^(١) .

والذي نفسي بيده ، لولا أن تقول فيك طائفة من أمتي ما قالت
النصارى في المسيح ، لقلت اليوم فيك مقالا لا تمر بملا إلا أخذوا التراب
من تحت قدميك ومن فضل طهورك ، يستشفون به ، ولكن حسبك أن
تكون مني وأنا منك ^(٢) .

وقال : والذي نفسي بيده ، إن فيكم لرجلا يقاتل الناس من بعدي على
تأويل القرآن - كما قاتلت المشركين على تنزيله - وهم يشهدون أن لا إله
إلا الله ، فيكبر قتلهم على الناس حتى يطعنون على ولي الله .

والذي نفسي بيده ، لا يبغضنا أهل البيت أحد إلا أدخله النار ^(٣) .

والذي بعثني بالحق نبيا ، لو أخذت بحلقة الجنة ما بدأت إلا بكم ^(٤) .

(١) في المناقب للخوارزمي ص ٦٢ .

(٢) المناقب للخوارزمي ص ٩٦ .

(٣) ينابيع المودة: ص ٣٥ .

(٤) لابن حجر في الصواعق المحرقة طبع مكتبة القاهرة ص ١٧٦ .

روى الخوارزمي في المناقب ، وفيه : (فقال عمر بن الخطاب :
مالذي نحبه من بعدك؟ فوضع يده على رأس علي عليه السلام - وهو إلى
جانبه - وقال : إن حبي من بعدي حب هذا ، وطاعته طاعتي ، ومخالفته
مخالفتي)^(١) .

ولما آخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين أصحابه فقال علي
عليه السلام : (يا رسول الله ، آخيت بين أصحابك ، ولم تواخ بيني وبين
أحد . فقال : والذي بعثني بالحق نبيا ، ما أخرجتك إلا لنفسي ، فأنت معي
بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ، وأنت أخي ووارثي ، وأنت
معي في قصري في الجنة مع ابنتي فاطمة ، وأنت أخي ورفيقي)^(٢) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (يا علي ، والذي نفسي
بيده ، إن على باب الجنة مكتوبا لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، علي بن
أبي طالب أخو رسول الله ، قبل أن يخلق الله السماوات والأرض بألفي
سنة)^(٣) .

وأنه (عليه السلام) مع الحق والقرآن والحق والقرآن معه لن يفترقا^(٤) .
وأنه عليه السلام باب حطة ، من دخل فيه كان مؤمنا ، ومن خرج عنه

(١) في المناقب للخوارزمي: ص ٣٥.

(٢) ينابيع المودة: ص ٥٥.

(٣) تذكرة الخواص: ٢٢.

(٤) فرائد السمطين ج ١، ص ١٧٧.

كان كافراً^(١) .

وأن ولايته ولاية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، من فارقه فارق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم^(٢) .

وأنه يفرق بين الحق والباطل، وباب الله الذي يؤتى منه^(٣) .

وأما آية خير البرية ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾^(٤) .

فهي من الأدلة الدالة، من الآيات، على أن علياً (عليه السلام) خير البشر من الأولين والآخرين حتى أولي العزم من المرسلين.

قال العلامة الحافظ جلال الدين السيوطي في تفسيره: أخرج ابن

مردويه عن عائشة قالت قلت يا رسول الله من أكرم الخلق على الله؟ قال يا

عائشة أما تقرئين ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ

الْبَرِيَّةِ﴾.

وأخرج ابن عساكر، عن جابر بن عبد الله قال: كنا عند النبي (صلى

الله عليه وآله) فأقبل علي (عليه السلام) فقال النبي (صلى الله عليه وآله)

والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة فنزلت الآية هم

(١) كنز العمال: ج ١١، ص ٦١ - ٦١١.

(٢) ج ١، ص ٣٠٠ و ١٧٨.

(٣) كفاية الطالب ص ١٨٧.

(٤) البينة، آية ٧.

خير البرية، فكان أصحاب النبي إذا أقبل علي قالوا جاء خير البرية.
وأخرج ابن عدي وابن عساكر عن أبي سعيد مرفوعاً، علي خير
البرية، قال لما نزلت ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية
قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعلي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين
مرضيين.

وأخرج ابن مردويه عن علي (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى
الله عليه وآله): (ألم تسمع قول الله إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك
هم خير البرية أنت وشيعتك)^(١).

وقال العلامة ، أبو جعفر ، محمد بن جرير الطبري في تفسيره : (وقوله
إن الذين آمنوا... يقول الله - تعالى ذكره - : إن الذين آمنوا بالله ورسوله
محمد ، وعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ، وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ،
وأطاعوا الله فيما أمر ونهى ، أولئك هم خير البرية . يقول : من فعل ذلك
من الناس فهم خير البرية . وقد حدثنا ابن حميد قال : حدثنا عيسى بن
فرقد، عن أبي الجارود ، عن محمد بن علي (أولئك هم خير البرية) فقال
النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أنت يا علي وشيعتك^(٢) .

وروي الخوارزمي في مناقبه^(٣) : (عن جابر بن عبد الله ، قال : كنا عند
النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأقبل علي بن أبي طالب عليه السلام فقال

(١) الدر المثور للسيوطي: ج ٦، ص ٣٧٩.

(٢) الطبري في جامع البيان: ج ٢٩.

(٣) مناقب الخوارزمي: ص ٦٦.

النبي صلى الله عليه وآله وسلم : قد أتاكم أخي ، ثم التفت إلى الكعبة فضربها بيده ، ثم قال : والذي نفسي بيده ، إن هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة ، ثم إنه أولكم إيماناً ، وأوفاكم بعهد الله ، وأقومكم بأمر الله ، وأعد لكم في الرعية ، وأقسمكم بالسوية ، وأعظمكم عند الله منزلة . قال : ونزلت : إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية قال : (وكان أصحاب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إذا أقبل علي عليه السلام قالوا : جاء خير البرية) .

روى العلامة الشيخ سليمان الحنفي ، عن جابر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (من أراد أن ينظر إلى إسرافيل في هيئته ، وإلى ميكائيل في رتبته ، وإلى جبرئيل في جلالته ، وإلى آدم في علمه ، وإلى نوح في خشيته ، وإلى إبراهيم في خلته ، وإلى يعقوب في حزنه ، وإلى يوسف في جماله ، وإلى موسى في مناجاته ، وإلى أيوب في صبره ، وإلى يحيى في زهده ، وإلى عيسى في عبادته ، وإلى يونس في ورعه ، وإلى محمد في حسبه وخلقه ، فلينظر إلى علي ، فإن فيه تسعين خصلة من خصال الأنبياء جمعها الله فيه ولم يجمعها في أحد غيره ^(١) .

روى العلامة المجلسي رحمه الله ، عن علي بن الحسين ، عن أبيه عليهما السلام ، قال : (نظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم إلى علي عليه السلام قد أقبل وحوله جماعة من أصحابه فقال : من أحب ان

(١) ينابيع المودة الباب ٥٦ ، ج ٢ ، ص ٨٠

٦٠ الامام علي (عليه السلام) من الكعبة إلى المحراب

ينظر إلى يوسف في جماله ، وإلى إبراهيم في سخائه ، وإلى سليمان في بهجته ، وإلى داود في حكمته ، فليُنظر إلى علي (عليه السلام) ^(١).

وروى أيضاً عن سلمة بن قيس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أعطى الله علياً من الفضل جزءاً لو قسم على أهل الأرض لوسعهم ، وأعطاه الله من الفهم لو قسم على أهل الأرض لوسعهم ، شبهت لينة بلين لوط ، وخلقه بخلق يحيى ، وزهده بزهد أيوب ، وسخاؤه بسخاء إبراهيم ، وبهجته ببهجة سليمان بن داود ، وقوته بقوة داود ، ولو أوحى إلى أحد بعدي لأوحى إليه ، فزين الله به المحافل ، وأكرم به العساكر ، وأخصب به البلاد ، وأعز به الأجناد ، مثله كمثل بيت الله الحرام يزار ولا يزور ، ومثله كمثل القمر إذا طلع أضاء الظلمة ، ومثله كمثل الشمس إذا طلعت أنارت الدنيا ^(٢).

(١) بحار الأنوار: ج ٣٩، ص ٣٥ - ٣٧٠.

(٢) المجلسي بحار الأنوار: ج ٣١، ص ٣٥ - ٣٧.

الفصل الرابع

في وجوب العصمة

وهي أمور كثيرة نذكر منها ما تيسر:

الأول: وجوب العصمة في الامام بالدليل الذي دل على وجوب العصمة في النبي فكما أنه لا يجوز كون النبي غير معصوم لأن صدور الذنب منه يسقط منزلته من القلوب ولا يؤمن معه زيادته في الشريعة وتنقيصه منها ويوجب عدم الوثوق بأقواله وأفعاله وهو ينافي الغرض المقصود من إرساله ونقض الغرض قبيح فلا يمكن صدوره من الله تعالى . كذلك لا يجوز كون الامام غير معصوم لأن النبي مبلغ للشرع إلى الأمة عن الله تعالى والامام مبلغ له إليهم عن النبي وحافظ له من الزيادة والنقصان فان الإمامة رياسة عامة في أمور الدين والدنيا لشخص من الأشخاص نيابة عن النبي (صلى الله عليه وآله) هكذا عرفها جميع علماء الاسلام وصدور الذنب من الامام يسقطه من النفوس ولا يؤمن معه زيادته في الشريعة وتنقيصه منها مع كونه منصوبا لحفظها من ذلك ، ويوجب عدم الوثوق بأقواله وأفعاله وهو ينافي الغرض المقصود من إمامته فالدليل الذي دل على عصمة النبي (صلى الله عليه وآله) بعينه دال على عصمة الامام وقد أجمعت الأمة على

أنه لا معصوم بعد النبي (صلى الله عليه وآله) سوى علي وولده لأن الأمة بين قولين إما لا معصوم أصلاً أو انحصار المعصوم فيهم فإذا دل الدليل على وجوب عصمة الامام كانوا هم الأئمة . ومما يدل على عصمته وعصمة الأئمة من ذريته (عليهم السلام) آية التطهير، وتحدثنا عنها في كتابنا صوت الحق المجلد الأول فراجع.

الثاني: ما رواه الطبري في تاريخه وتفسيره والبغوي والثعلبي في تفسيره والنسائي في الخصائص وصاحب السيرة الحلبي، ورواه من ثقات أصحابنا ومحدثيهم محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي والشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي في مجالسه جميعاً بأسانيدهم المتصلة، وهنا نشر الى ما ذكره الطبري في تاريخه ج ٢ ص ٦٢ قال الطبري: حدثنا ابن حميد حدثنا سلمة حدثني محمد بن إسحاق عن عبد الغفار بن القاسم عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب عن عبد الله بن عباس عن علي بن أبي طالب قال لما نزلت وأندرتك عشيرتك الأقربين دعاني رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى أن قال فاصنع لنا صاعاً من طعام وأجعل عليه رجل شاة واملأ لنا عساً من لبن والعس القدح الكبير ثم أجمع لي بني عبد المطلب ففعلت ما أمرني ثم دعوتهم وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب فلما وضعت الطعام تناول جذبة من اللحم فشقتها بأسنانه ثم ألقاها في نواحي الصفحة ثم قال خذوا باسم الله فأكلوا حتى ما لهم بشيء حاجة وما أرى إلا موضع أيديهم وأيم الله إن كان الواحد منهم

ليأكل ما قدمت لجميعهم وشربوا من ذلك العس حتى رووا جميعا وأيم الله إن كان الواحد منهم ليشرب مثله فلما أراد أن يكلمهم بدره أبو لهب فقال لشده ما سحركم صاحبكم فتفرقوا ولم يكلمهم . ثم فعل مثل ذلك في اليوم الثاني فأكلوا وشربوا فقال يا بني عبد المطلب إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه فأيكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى ووصيى وخليفتى فيكم فأحجم القوم جميعا وقلت وإني لأحدثهم سنا وأرمصهم عينا وأعظمهم بطنا وأحمشهم ساقا أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليهم فاخذ برقبتي ثم قال أن هذا أخى ووصيى وخليفتى فيكم فاسمعوا له وأطيعوا فقاموا يضحكون ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع^(١) . كبر عليهم أن يسمعوا ويطيعوا للشاب حدث السن عمره بين العشرة والخمس عشرة سنة رمص العين حمش الساق عظيم البطن وكل ذلك يوجب عدم الروعة في عين الرائي وقالوا في أنفسهم كيف يؤمر غلام صغير السن ليس في مرآه روعة على مشيخة قومه وكهولهم وفيهم أعمامه وأبوه شيخ الأبطح ان هذا لعجيب يوجب الضحك فضحكوا منه ولم يعلموا أن هذا الغلام الحدث السن الرمص العين العظيم البطن الحمش الساق سيكون له شأن عظيم فيكون باب مدينة علم المصطفى وحامل لواء الاسلام ومشيد أركانه ورافع بنيانه ومنسي شجاعة الشجعان وجامع أعلى صفات الفضل وحاوي أرفع وأعظم مزايا النبلى

(١) راجع: تفسير جامع البيان للطبري: ج ١٩ ص ١٤٩ وتفسير البيهقي: ج ٣ ص ٤٠٠.

ومشيد مجد لبني عبد المطلب وعامة العرب لا تهدمه الأيام مهما تطاولت ومخلد ذكر لهم لا تمحوه الأعوام مهما تعاقبت وأنه هو خليفة الرسول في أمته وأنه لا يصل إلى مرتبته أحد منهم ولا من غيرهم وكان النبي (صلى الله عليه وآله) قال لهم في نفسه وبلسان حاله مهلا يا بني عبد المطلب ستعلمون عن قريب أنني لم أخطئ في تقديمه عليكم وستصدق أفعاله أقوالي فيه ، ولا شك أن جملة من شبانهم وكهولهم الذين هم أعلى منه سنا وأروع منظرا في رأي العين أخذهم الحسد عند ذلك الذي يأخذ أمثالهم في مجرى العادة في مثل هذا المقام كما أخذ قابيل ابن أبيهم آدم وأخذ أخوة يوسف (عليه السلام) فكان ذلك سببا في زيادة ضحكهم وتعجبهم وغطى ما رأوه من المعجزة ولا شك أن أبا لهب كان أشدهم ضحكا ونفورا حتى أوهمهم أن هذه المعجزة نوع من السحر الشديد ، أما أبو طالب فكان مسرورا أشد السرور بما رأى من كرامة ولده وعلو شأنه الذي انضم إلى ما كان يراه فيه من مخايل النجابة والنبيل ومن أعلم بالولد من الوالد وكان عالما بصدق النبي (صلى الله عليه وآله) فيما أدعاه وزاده يقينا ما رآه من المعجز لكنه لم يستطع مجابهة قومه باظهار ما في نفسه وإن كان شاركهم في الضحك فأما ضحكهم إلا ضحك سرور لا ضحك استهزاء وإن كان فما هو إلا استهزاء بهم ، أما أخوه حمزة فلا نعتقد إلا أنه كان مثله في أكثر ذلك وقد سره ما رأى من ابني أخويه محمد وعلي لكنه سكت متربصا سنوح الفرصة ليظهر اسلامه . ويمكن أن يكون العباس أيضا كذلك . وروى هذا الحديث الطبري في تفسيره أيضا بمثل ما رواه في تاريخه سندا

ومتنا إلا أنه أبدل في النسخة المطبوعة قوله : على أن يكون أخي ووصيي
 وخليفتي فيكم. بغيره فوضع مكان الأول على أن يكون أخي وكذا وكذا.
 ومكان الثاني أن هذا أخي وكذا وكذا.

وأما الأحاديث الواردة في الإمامة، الإمام يحل حلال الله ، ويحرم
 حرام الله ، ويقيم حدود الله ، ويذب عن دين الله ، ويدعو إلى سبيل ربه
 بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، والحجة البالغة ، الإمام كالشمس الطالعة
 المجللة بنورها للعالم وهي في الأفق بحيث لا تنالها الأيدي والابصار .

الامام المطهر من الذنوب والمبرأ عن العيوب ، المخصوص بالعلم ،
 المرسوم بالحلم ، نظام الدين ، وعز المسلمين وغيظ المنافقين ، وبوار
 الكافرين . الامام واحد دهره ، لا يدانيه أحد ، ولا يعادله عالم ، ولا يوجد
 منه بدل ولا له مثل ولا نظير ، مخصص بالفضل كله من غير طلب منه له
 ولا اكتساب ، بل اختصاص من الوهاب .

فمن ذا الذي يبلغ معرفة الامام ، أو يمكنه اختياره ، هيئات هيئات ،
 ضلت العقول ، وتاهت الحلوم ، وحارت الألباب ، وخسثت العيون
 وتصاغرت العظام ، وتحيرت الحكماء ، وتقاصرت الحلماء ، وحصرت
 الخطباء ، وجهلت العقلاء ، وكلت الشعراء ، وعجزت الأدباء ، وعييت
 البلغاء ، عن وصف شأن من شأنه ، أو فضيلة من فضائله ، وأقرت بالعجز
 والتقصير ، وكيف يوصف بكماله ، أو ينعت بكنهه ، أو يفهم شئ من أمره ،
 أو يوجد من يقوم مقامه ويغني غناه ، لا كيفا ولا كما وهو النجم اللامع ولا
 يتناوله وصف الواصفين ، فأين الاختيار من هذا ؟ وأين العقول عن هذا ؟

وأين يوجد مثل هذا.

ومع الأسف رغبوا عن اختيار الله واختيار رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته إلى اختيارهم، والقرآن يناديهم ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمِئِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾^(١) وقال: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ * إِنْ لَكُمْ فِيهِ لَمَّا يَتَخَيَّرُونَ * أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بِاللَّغَةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنْ لَكُمْ لَمَّا تَحْكُمُونَ * سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ * أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾^(٢).

فكيف لهم باختيار الإمام المعصوم وهو عالم لا يجهل ، وراع لا ينكل ، معدن القدس والطهارة ، والنسك لا مغمز فيه في نسب ، ولا يدانيه ذو حسب ، في البيت من قريش والذروة من هاشم ، والعترة من الرسول صلى الله عليه وآله والرضا من الله عز وجل ، شرف الاشراف ، والفرع من عبد مناف ، نامي العلم ، كامل الحلم ، عالم بالسياسة ، مفروض الطاعة ، قائم بأمر الله عز وجل ، ناصح لعباد الله ، حافظ لدين الله . إن الأنبياء والأئمة صلوات الله عليهم يوفقهم الله ويؤتيهم من مخزون علمه و حكمه ما لا يؤتية غيرهم ، فيكون علمهم فوق علم أهل الزمان في قوله تعالى : ﴿أَفَمَنْ

(١) الأحزاب: ٣٦.

(٢) القلم: ٣٦-٤١

يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقَّ أَنْ يَتَّبِعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ
كَيْفَ تَحْكُمُونَ»^(١) وقوله في طالوت : «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ
بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ
عَلِيمٌ»^(٢).

وقال لنبية صلى الله عليه وآله : «وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا»^(٣)
وقال في الأئمة من أهل بيت نبية وعترته وذريته صلوات الله عليهم : «أُمَّ
يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مَلَكًا عَظِيمًا * فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ
صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا»^(٤). وإن العبد إذا اختاره الله عز وجل لأمر
عباده ، شرح صدره لذلك ، وأودع قلبه ينابيع الحكمة ، وألهمه العلم إلهاماً ،
فلم يعي بعده بجواب ، ولا يحير فيه عن الصواب ، فهو معصوم مؤيد ،
موفق مسدد ، قد آمن من الخطايا والزلل والعتار ، يخصه الله بذلك ليكون
حجته على عباده ، وشاهده على خلقه ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله
ذو الفضل العظيم . فهل يقدر على مثل هذا فيختارونه أو يكون مختارهم

(١) يونس : ٣٥ .

(٢) البقرة : ٢٤٧ .

(٣) النساء : ١١٣ .

(٤) النساء : ٥٥ و ٥٤ .

بهذه الصفة فيقدمونه ، تعدوا - وبیت الله - الحق ونبدوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون ، وفي كتاب الله الهدى والشفاء ، فنبذوه واتبعوا أهواءهم ، فذمهم الله ومقتهم وأتعسهم فقال جل وتعالى :

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(١) وقال : ﴿فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾^(٢) وقال : ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾^(٣).

وقد أوضح الإمام الثامن علي بن موسى الرضا (عليه السلام) قال ان الامامة منصب إلهي ونيابة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) في اداء وظائفه كلها فلا تكون الغاية منها مجرد حفظ الحوزة وتحصيل الامن في الرعية كما توهم بعض المذبذبين وإلا لجاز ان يكون الإمام كافراً أو منافقاً أو أفسق الفاسقين خارجاً عن الدين إذا حصلت به هذه الغاية كما توهم به بعض المغفلين، بل لا بد ان تكون الغاية من الإمامة تحصيل ما به سعادة الدارين كالغاية من رسالة الرسول وهي لا تتم الا ان يكون الإمام كالنبي (صلى الله عليه وآله) معصوماً واحرص الناس على الهداية، واقربهم للإتباع والانتفاع به في أمور الشريعة واحفظهم لحقوق الرعية وسياستها على النهج

(١) القصص: ٥٠.

(٢) محمد ﷺ: ٨.

(٣) غافر: ٣٥.

الشرعي ، فلا بد أن يكون الإمام معياراً لجميع الفضائل الأخلاقية ومقياساً لجميع الكمالات النفسانية ومجمعاً لجميع المحامد من العقل والفهم من الرأي والعلم من الصبر والحلم، من حسن الخلق والحزم من الزهد والكرم من العدل والشجاعة من التقوى والصلابة من الوقار والعفة له والاقتفاء لآثاره فتحل لهم مع حفظ الحوزة السعادة بكمال الايمان وشرف الفضائل وخير الدارين وهي الغاية من الرسالة.

وفي فضائل ابن شاذان وروضة الكافي: مما روي عن جماعة ثقات من اخواننا ابناء العامة قالوا: لما وردت حرة بنت حليمة السعدية على الحجاج بن يوسف الثقفي فمثلت بين يديه ، قال لها : أنت حرة بنت حليمة السعدية ؟ قالت له : نعم. فقال لها : الله جاء بك فقد قيل عنك إنك تفضلين عليا على أبي بكر وعمر وعثمان ، فقالت : لقد كذب الذي قال : لست أفضله على هؤلاء خاصة ، قال : وعلى من غير هؤلاء ؟ قالت : أفضله على آدم و نوح ولوط وإبراهيم وداود وسليمان وعيسى بن مريم : ، فقال لها : ويلك إنك تفضلينه على الصحابة وتزيدين عليهم سبعة من الأنبياء من أولي العزم من الرسل ! إن لم تأتيني ببيان ما قلت ضربت عنقك . فقالت : ما أنا مفضلته على هؤلاء الأنبياء ولكن الله عز وجل فضله عليهم في القرآن بقوله عز وجل في حق آدم : ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾^(١) وقال في حق علي ،

﴿وَكَانَ سَعْيِكُمْ مَشْكُورًا﴾^(١). قال : أحسنت يا حرة ، فيما تفضليته علي نوح ولوط ؟ فقالت : الله عز وجل فضله عليهما بقوله : ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾^(٢).

وعلي بن أبي طالب كان ملاكه تحت سدره تحت سدره المنتهى ، زوجته بنت محمد فاطمة الزهراء التي يرضى الله تعالى لرضاها ويسخط لسخطها . فقال الحجاج : أحسنت يا حرة ، فيما تفضليته علي أبي الأنبياء إبراهيم خليل الله ؟ فقالت : الله عز وجل فضله بقوله : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي﴾^(٣) ، ومولاي أمير المؤمنين قال قولا لا يختلف فيه أحد من المسلمين : (لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا) ، وهذه كلمة ما قالها أحد قبله ولا بعده . فقال : أحسنت يا حرة ، فيما تفضليته علي موسى كلیم الله ؟ قالت : يقول الله عز وجل : ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾^(٤) ، وعلي بن أبي طالب عليه السلام بات علي فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يخف حتى

(١) الانسان: ٢٢.

(٢) سورة التحريم: ١٠.

(٣) البقرة: ٢٦٠.

(٤) القصص: ١٨.

أنزل الله تعالى في حقه : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾^(١).

قال الحجاج : أحسنت يا حرة ، فيما تفضليته على داود وسليمان عليها السلام ؟ قالت : الله تعالى فضله عليهما بقوله عز وجل : ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٢).

فقال لها : في أي شيء كانت حكومته ؟ قالت : في رجلين رجل كان له كرم والآخر له غنم ، فنفتت الغنم بالكرم فرعته ، فاحتكما إلى داود عليه السلام فقال : تباع الغنم وينفق ثمنها على الكرم حتى يعود إلى ما كان عليه . فقال له ولده : لا ، يا أبة ، بل يؤخذ من لبنها وصوفها . قال الله تعالى . ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾^(٣).

وإن مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال : سلوني عما فوق العرش ، سلوني عما تحت العرش ، سلوني قبل أن تفقدوني ، إنه عليه السلام دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم فتح خيبر فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم للحاضرين : (أفضلكم وأعلمكم وأقضاكم علي) . فقال لها : أحسنت ، فيما تفضليته على سليمان عليه

(١) سورة البقرة: ٢٠٧.

(٢) سورة ص: ٢٦.

(٣) سورة الأنبياء: ٧٩.

السلام ؟ فقالت: الله تعالى فضله عليه بقوله تعالى : رب اغفر لي و هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي ، ومولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام قال : «طلقتك يا دنيا ، ثلاثا لا حاجة لي فيك»، فعند ذلك أنزل الله تعالى فيه : ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾^(١).

فقال : أحسنت يا حرة ، فبما تفضيلينه علي عيسى ابن مريم عليه السلام ؟ قالت : الله تعالى عز وجل فضله بقوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾^(٢).

فأخر الحكومة إلى يوم القيامة ، وعلي بن أبي طالب لما ادعوا النصرية فيه ما ادعوه قتلهم ولم يؤخر حكومتهم ، فهذه كانت فضائله لا تعد بفضائل غيره . قال : أحسنت يا حرة ، خرجت من جوابك ، ولولا ذلك لكان ذلك ، ثم أجازها وأعطاه وأطلق سراحها.

واعلم أيها القارئ العزيز أن الروايات الواردة في شأن علي (عليه السلام) تسمى بحديث الاشباه وأوردوها حفظة آثار العامة وحملة أسفارهم

(١) سورة القصص: ٨٣

(٢) المائدة: ١١٦-١١٧.

بأسانيد عديدة صحيحة في مأخذهم المعتبرة عندهم ، أن علياً أمير المؤمنين (عليه السلام) كان مجمع خصال الأنبياء والمرسلين:

الأول: روى القندوزي الحنفي في كتابه ينابيع المودة: ج ٢ ص ٣٦٠ عن جابر قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من أحب أن ينظر إلى إسرافيل في هيئته، وإلى ميكائيل في رتبته، وإلى جبرئيل في جلالاته، وإلى آدم في علمه، وإلى نوح في خشيته، وإلى إبراهيم في خلته، وإلى يعقوب في حزنه، وإلى يوسف في جماله، وإلى موسى في مناجاته، وإلى أيوب في صبره، وإلى يحيى في زهده، وإلى عيسى في عبادته، وإلى يونس في ورعه، وإلى محمد في حسبه وخلقه فليُنظر إلى علي (عليه السلام) فإن فيه تسعين خصلة من خصال الأنبياء جمعها الله فيه ولم يجمعها في أحد غيره.

ومنهم العلامة الشافعي في مودة القريبى ص ٢٦.

ومنهم الدهلوي الهندي في تهجيز الجيش: ص ٣٣٦، وغيرهم من علماء العامة ومحدثيهم.

الثاني: روى الخطيب الخوارزمي في (مقتل الحسين: ص ٤٣ طبع النجف) بإسناده عن أبي الحمراء قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) «من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه وإلى نوح في فهمه وإلى يحيى بن زكريا في زهده وإلى موسى بن عمران في بطشه فليُنظر إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام)».

رواه جماعة من أعلامهم:

منهم: الخطيب في الرياض النضرة: ج ٢، ص ٢١٧، طبع أمير الخانجي بمصر) وفي (ذخائر العقبى: ص ٩٣ مكتبة القدس بمصر).

ومنهم: العلامة الحسكاني في شواهد التنزيل: ج ١ ص ١٠٣.

ومنهم: ابن المغازلي في المناقب: ص ١٢٣.

ومنهم العلامة العاصمي في (زين الفتى في شرح هل أتى).

ثم قال: أما آدم عليه السلام فإنه وقعت المشابهة بين المرتضى وبينه بعشرة أشياء: أولها: بالخلق والطينة. والثاني: بالمكث والمدة. والثالث: بالصحابة والزوجة. والرابع: بالتزويج والخلة. والخامس: بالعلم والحكمة. والسادس: بالذهن والفطنة. والسابع: بالأمر والخلافة. والثامن: بالأعداء والمخالفة. والتاسع: بالوفاء والوصية. والعاشر: بالأولاد والعتره. ثم بسط القول في وجه هذه كلها إلى أن قال:

ووقعت المشابهة بين المرتضى وبين نوح بثمانية أشياء: أولها: بالفهم: والثاني: بالدعوة. والثالث: بالإجابة. والرابع: بالسفينة. والخامس: بالبركة. والسادس: بالسلام. والسابع: بالشكر. والثامن: بالإهلاك. ثم بين وجه الشبه في هذه كلها إلى أن قال: ووقعت المشابهة بين المرتضى وبين إبراهيم الخليل بثمانية أشياء: أولها: بالوفاء. والثاني: بالوقاية. والثالث: بمناظرته أباه وقومه. والرابع: بإهلاك الأصنام بيمينه. والخامس: ببشارة الله إياه بالولدين اللذين هما من أصول أنساب الأنبياء عليهم السلام. والسادس: باختلاف أحوال ذريته من بين محسن وظالم. والسابع: بابتلاء الله تعالى إياه بالنفس والولد والمال. والثامن: بتسمية الله إياه خليلاً حتى لم يؤثر شيئاً

عليه . ثم فصل وجه الشبه فيها إلى أن قال :

ووقعت المشابهة بين المرتضى وبين يوسف الصديق بثمانية أشياء :
 أولها : بالعلم والحكمة في صغره . والثاني : بحسد الأخوة له . والثالث :
 بنكثهم العهود فيه . والرابع بالجمع له بين العلم والملك في كبره . والخامس
 بالوقوف على تأويل الأحاديث . والسادس : بالكرم والتجاوز عن إخوته .
 والسابع : بالعفو عنهم وقت القدرة عليهم . والثامن : بتحويل الديار . ثم قال
 بعد بيان وجه الشبه فيها : ووقعت المشابهة بين المرتضى وبين موسى الكليم
 عليه السلام بثمانية أشياء : أولها : الصلابة والشدة . والثاني : بالمحاجة
 والدعوة . والثالث : بالعصا والقوة . والرابع : بشرح الصدر والفسحة .
 والخامس : بالأخوة والقربة . والسادس : بالود والمحبة . والسابع : بالأذى
 والمحنة . والثامن : بميراث الملك والإمرة .

ووقعت المشابهة بين المرتضى وبين داود بثمانية أشياء : أولها : بالعلم
 والحكمة . والثاني : بالتقوى على إخوانه في صغر سنه . والثالث : بالمبارزة
 لقتل جالوت . والرابع : بالقدر معه من طالوت إلى أن أورثه الله ملكه .
 والخامس : بإلانة الحديد له . والسادس : بتسييح الجوامد معه . والسابع :
 بالولد الصالح . والثامن : بفصل الخطاب .

ووقعت المشابهة بين المرتضى وبين سليمان بثمانية أشياء : أولها :
 بالفتنة والابتلاء في نفسه . والثاني : بتسليط الجسد على كرسيه . والثالث :
 بتلقين الله إياه في صغره بما استحق به الخلافة . والرابع : برد الشمس لأجله
 بعد المغيب . والخامس : بتسخير الهوى والريح له . والسادس : بتسخير

الجن له . والسابع : بعلمه منطق الطير والجوامد وكلامه إياه . والثامن : بالمغفرة ورفع الحساب عنه إلى آخر الحديث عن أيوب وعيسى ويحيى وغيرهم مما حصلت المشابهة بين علي وبين الأنبياء (عليهم السلام).

الثالث: روى العلامة الخطيب الخوارزمي في (المناقب: ص ٥٢ ط تبريز) بإسناده عن الحارث الأعور قال : بلغنا إن النبي صلى الله عليه وآله كان في جمع من أصحابه فقال : أريكم آدم في علمه ، ونوحا في فهمه ، وإبراهيم في حكمته . فلم يكن بأسرع من أن طلع علي عليه السلام فقال أبو بكر : يا رسول الله ؟ أقست رجلا بثلاثة من الرسل ؟ ! بخ بخ لهذا الرجل ، من هو يا رسول الله ؟ قال النبي : أو لا تعرفه يا أبا بكر ؟ قال : الله ورسوله أعلم . قال : هو أبو الحسن علي بن أبي طالب . فقال أبو بكر : بخ بخ لك يا أبا الحسن ؟ وأين مثلك يا علي .

رواه المحدث الحنفي الموصلي في كتابه (در بحر المناقب: ص ٦٤) وزاد في آخر الحديث (وقد شبهت بجمع من الأنبياء).

الرابع: روى الحنفي الموصلي في (در بحر المناقب: ص ١١) قال : بالاسناد عن أبي ذر الغفاري قال : بينهما أنا ذات يوم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قام وركع وسجد شكر الله تعالى ثم قال : يا جندب من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه ونوح في فهمه وإبراهيم في خلته وموسى في مناجاته وعيسى في سياحته وأيوب في صبره وبلائه فليتنظر إلى هذا الرجل المقبل الذي هو كالشمس والقمر الساري والكوكب الدرّي ، أشجع الناس قلبا وأسخاهم كفا ، فعلى مبغضه لعنة الله تعالى ، قال فالتفت

الناس لينظروا من هذا المقبل فإذا هو علي بن أبي طالب عليه السلام.

الخامس: روى أحمد بن حنبل في (الفضائل) ^(١) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو في محفل من أصحابه: «من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه ، وإلى نوح في فهمه ، وإلى إبراهيم في خلقه ، وإلى موسى في مناجاته ، وإلى عيسى في سنته ، وإلى محمد في تمامه وكمالته ، فلينظر إلى هذا الرجل المقبل . فتناول الناس فإذا هم بعلي بن أبي طالب كأنما ينقلع من صلب ، وينحط من جبل .

السادس: روى البيهقي في (فضائل الصحابة) ^(٢) بلفظ من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه ، وإلى نوح في تقواه ، وإلى إبراهيم في حلمه ، وإلى موسى في هيئته ، وإلى عيسى في عبادته فلينظر إلى علي بن أبي طالب عليه السلام . ثم قال : فقد أثبت النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بهذا الحديث علماً يشبه علم آدم ، وتقوى تشبه تقوى نوح ، وحلماً يشبه حلم إبراهيم ، وهيبة تشبه هيبة موسى ، وعبادة تشبه عبادة عيسى ، وفي هذا تصريح لعلي بعلمه وتقواه وحلمه وهيئته وعبادته ، وتعلو هذه الصفات إلى أوج العلا حيث شبهها بهؤلاء الأنبياء المرسلين من الصفات المذكورة والمناقب المعدودة .

السابع: روى الكنجي الشافعي في (كفاية الطالب: ص ٤٥٩ باسناده عن ابن عباس عباس قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وآله جالس في

(١) راجع الغدير للعلامة الأميني: ج ٣ ص ٣٥٥.

(٢) المصدر السابق.

جماعة من أصحابه إذ أقبل علي عليه السلام فلما بصر به رسول الله صلى الله عليه وآله قال : من أراد منكم أن ينظر إلى آدم في علمه ، وإلى نوح في حكمته ، وإلى إبراهيم في حلمه ، فلينظر إلى علي بن أبي طالب . ثم قال : قلت : تشبيهه لعلي بآدم في علمه لأن الله علم آدم صفة كل شيء كما قال عز وجل : وعلم آدم الأسماء كلها . فما من شيء ولا حادثة إلا وعند علي فيها علم وله في استنباط معناها فهم . وشبهه بنوح في حكمته . وفي رواية : في حكمه . وكأنه أصح لأن علياً كان شديداً على الكافرين رؤوفاً بالمؤمنين كما وصفه الله تعالى في القرآن بقوله : ﴿والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾^(١) . وأخبر الله عز وجل عن شدة نوح على الكافرين بقوله : ﴿رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً﴾^(٢) . وشبهه في الحلم بإبراهيم خليل الرحمن كما وصفه عز وجل بقوله : ﴿إن إبراهيم لأواه حليم﴾^(٣) . فكان متخلقا بأخلاق الأنبياء متصفا بصفات الأصفياء .

الثامن: روى الصفوري في (نزهة المجالس: ج ٢، ص ٢٤٠) قال النبي (صلى الله عليه وآله): من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه وإلى نوح في فهمه وإلى إبراهيم في حلمه وإلى موسى في زهده وإلى محمد في بهائه فلينظر إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام).

التاسع: روى الرازي في تفسيره (الكبير) بلفظ (من أراد أن يرى آدم

(١) الفتح: ٢٩.

(٢) نوح: ٢٦.

(٣) التوبة: ١١٤.

في علمه ونوح في طاعته و ابراهيم في خلقه وموسى في قربه وعيسى في صفوته فليُنظر إلى علي بن أبي طالب».

رواه جماعة من اعلام العامة وحملة اسفارهم بأسانيد عديدة)

منهم: العلامة الشيخ عبدالرحمن بن عبدالسلام البغدادي في نزهة المجالس ج ٢ ص ٢٠٧.

ومنهم القاضي عضد اللايجي في (المواقف ج ٣، ص ٢٧٦).

ومنهم التفتازاني الشافعي في (شرح المقاصد: ج ٢، ص ٢٩٩).

ومنهم ابن الصباغ المالكي في (الفصول المهمة ص ٢١).

ومنهم الآكوسي البغدادي في (شرح عيونة عبد الباقي العمري ص ٢٧).

العاشر: روى أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي في كتاب

(الأمالي ج ٢، ص ١٤٣ ط مصر) ما لفظه: قال أبو علي: حدثنا أبو بكر قال

حدثني العكلي عن الحرماذي عن رجل من همدان قال: قال معاوية بن أبي

سفيان لضرار الهمداني يا ضرار صف لي علياً (عليه السلام) قال: اعفني يا

أمير المؤمنين، قال لتصفته، قال: اما إذا لا بد من وصفه فكان والله بعيد

المدى شديد القوى يقول فصلاً ويحكم عدلاً يتفجر العلم من جوانبه

وتنطلق الحكمة من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويأنس بالليل

ووحشته وكان غزير الدمعة طويل الفكرة يقلب كفه ويخاطب نفسه يعجبه

من اللباس ما خشن ومن الطعام ما جشب وكان فينا كأحدنا يدنينا إذا أتناه

ويجيبنا إذا سألناه ويأتمنا إذا دعوناه وينبئنا إذا استنبأناه ونحن والله مع تقريبه

إيانا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبة له فان تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم يعظم

٨٠ الامام علي (عليه السلام) من الكعبة إلى المحراب

أهل الدين ويقرب المساكين لا يطمع القوي في باطله ولا يئأس الضعيف من عدله وأشهد لقد رأيت في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه وقد مثل في محرابه قابضاً على لحيته يتململ تمللم السليم ويكي بكاء الحزين ويقول:

يا دنيا غري غيري أبي تعرضت أم إلي تشوفت هيهات هيهات قد
باينتك ثلاثاً لا رجعة فيها فعمرك قصير وخطرك حقير وحضك قليل آه آه
من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق . فبكي معاوية (فوكفت دموع
معاوية على لحيته ما يملكها وجعل ينشفها بكمه وقد اختنق القوم بالبكاء).
وقال : رحم الله أبا الحسن فلقد كان كذلك فكيف حزنك عليه يا ضرار ؟
قال: حزن من ذبح ولدها بحجرها.

رواه جماعة من اعلام العامة وحملة اسفارهم.

منهم: ابن عبد البر في (الاستيعاب ج ٢، ص ٤٦٣ ط حيدر آباد

الدكن).

ومنهم أبو نعيم الاصفهاني في (حلية الأولياء ج ١، ص ٨٤ ط السعادة

بمصر).

ومنهم النويري في (نهاية الارب ج ٢، ص ٢١٢ ط مصر) وفي (ذخائر

العقبى ص ١٠٠ مكتبة القدس بمصر).

الحادي عشر: قال المحدث أحمد بن محمد الصديق المغربي وهو

من أعظم العامة في كتابه (فتح العلي: ص ٢ ط إسلامية بالقاهرة) ما لفظه

(جمع من الحفاظ أنه لم يرد من الفضائل لأحد من الصحابة بالاسانيد

الصحيحة الجياد ما ورد لعلي بن أبي طالب (عليه السلام).

الثاني عشر: روى الحافظ الكنجي الشافعي في (كفاية الطالب ص ١٢٥

ط الغري) بإسناده عن عيسى بن عبد الله عن أبيه عن جده قال: قال رجل

لابن عباس (سبحان الله ما أكثر مناقب علي وفضائله، إني لأحسبها ثلاثة

آلاف فقال ابن عباس أولاً تقول إنها إلى ثلاثين ألفاً كان أقرب، ثم قال

الكنجي الشافعي (أخرج هذا الأثر جماعة من الحفاظ في كتبهم) نذكر

بعضهم.

منهم: الخوارزمي في (المناقب ص ٣٣).

ومنهم: الحموي في (فرائط السمطين مخطوط).

ومنهم: الهروي الشيرازي في (الأربعين مخطوط).

ومنهم القندوزي الحنفي في (ينابيع المودة: ص ١٢١) وغيره تركناهم

للاختصار.

أقول: أقف متعجباً فإذا كانت هذه خصال علي المرتضى وفضائله

(عليه السلام) بنقل أعلام علماء العامة وحملة أسفارهم بأسانيد صحيحة

عندهم وفي مأخذهم، فكيف يقدمون أحداً على مولى الموحدين وإمام

المتقين أمير المؤمنين (عليه السلام)؟ ولعمر الله جلّ وعلا أقول بعلم ويقين

ما كان تقديم أحد على علي بن أبي طالب (ع) إلا من تقديم المفضول

على الفاضل كما ذكره ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة^(١). وهذا قبيح

(١) شرح ابن أبي الحديد: ج ١ ص ٣.

جداً عند جميع العقلاء لذلك أنكره القرآن الكريم بقوله ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾^(١).

وإنما كان هذا من تقديم الجهل المحض على العلم المحض ومن تقديم الظلم والخيانة على العدل والامانة، ومن تقديم الظلمة والضلال على النور والهداية ومن تقديم الفجور والجنانية على التقوى والصدقة ومن تقديم الوضيع والدني على الشريف والعلي، ومن تقديم الانحطاط والذلة على الكمال والعزة ومن تقديم الخسران والشقاوة على الفلاح والسعادة ومن تقديم الفساد والخزي على الصلاح والسيادة ومن تقديم السفه والبلاهة على الحكمة والفظانة ومن تقديم الكفر والنفاق على الايمان والاخلاص ومن تقديم نمورد على ابراهيم وتقديم فرعون على موسى (عليه السلام) وتقديم ابي جهل على رسول الله.

وبالجملة من تقديم الرذائل كلها على الفضائل جميعها ومن تقديم العجل والجب والطاغوت والاصنام على الله تعالى فتدبر أيها القارئ الكريم واغتم جيداً ولا تكن من الغافلين.

واعلم أيها القارئ الكريم أن الكتب المعتمد عليها مبذولة وموجودة لأهل العامة المشهور ذكرها غير محتاجه إلى تعيين تنادي برفيع أصواتها بخلافة علي أمير المؤمنين (عليه السلام) وأبنائه الطاهرين (عليهم السلام)

وتفضيلهم على الخلق أجمعين وظهور نورهم وعلو مقامهم وفخرهم ومحبتهم ولزوم مودتهم المنجية من نار جهنم وقد صح عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) في المتفق عليه من الفريقين أنه قال: «أيها الناس إني مخلف فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي» وقال: «أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح في قومه من ركبها نجي ومن تخلف عنها غرق وهوى».

كل ذلك ذكر بأسانيد متعددة وألفاظ مختلفة ومعاني متفقة وأثني عشر خليفة المذكورة في صحيح مسلم والبخاري ومسند ابن حنبل قولهم لا يزل هذا الدين عزيزاً ما وليهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش ذكروها في اسانيد صحيحة في أغلب كتب أبناء العامة ومفسريهم يقولون كلهم من بني هاشم وأخبار يوم الغدير وغيرها في الصحاح التسعة وغير الصحاح الدالة على خلافة علي بن أبي طالب وأولاده المعصومين (عليهم السلام) كلها مروية في كتبهم ومساندهم كالصحيحين والمستدرک الدالة منطوقاً ومفهوماً على أفضلية أهل البيت ووجوب مودتهم وولايتهم ومحبتهم كما وردت جملة من النصوص الماثورة عن النبي (صلى الله عليه وآله) في التصريح بأسماء الأئمة الاثني عشر اماماً (عليهم السلام) في كتب أبناء العامة وتفاسيرهم وتواترهم ومخلفاتهم المشهورة ذكرها، وذكرناها لكم في ما مضى في كتابنا صوت الحق والله المعين.

الفصل الخامس

في مناقبه صلوات الله عليه وهي كثيرة

قال سليم بن قيس^(١): حدثني سلمان والمقداد ، وحدثنيه بعد ذلك أبو ذر ، ثم سمعت من علي بن أبي طالب عليه السلام ، قالوا : إن رجلاً فاخر علي بن أبي طالب عليه السلام فقال رسول الله لما سمع به لعلي بن أبي طالب : فأنت فاخر العرب وأنت أكرمهم ابن عمنا ، وأكرمهم صهرا ، وأكرمهم زوجة ، وأكرمهم ولدا ، وأكرمهم أخا ، وأكرمهم عمنا ، وأعظمهم حلما ، وأكثرهم علما ، وأقدمهم سلما ، وأعظمهم غنا بنفسك ومالك ، وأقرأهم بكتاب الله ، وأعلمهم بسنتي ، وأشجعهم لقاء ، وأجودهم كفا ، وأزهدهم في الدنيا ، وأشدهم اجتهادا ، وأحسنهم خلقا ، وأصدقهم لسانا ، وأحبهم إلى الله وإلي ، وستبقى بعدي ثلاثين سنة تعبد الله وتصبر على ظلم قريش لك ، ثم تجاهدهم في سبيل الله إذا وجدت أعوانا ، فتقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت معي على تنزيله ، ثم تقتل شهيدا تخضب

(١) كتاب سليم ابن قيس: ص ٦٦ وراجع أيضاً الاحتجاج للطبرسي: ج ١ ص ٢٢٩ والفضائل

لابن شاذان: ص ١٢٢ وبحار الأنوار للمجلسي: ج ٤٠ ص ١.

لحيتك من دم رأسك ، قاتلك يعدل عاقر الناقة في البغض إلى الله والبعد منه.

وفي الاحتجاج للطبرسي ج ١ ص ٢٣١: قال سليم بن قيس : سألت رجل علي ابن أبي طالب عليه السلام فقال - وأنا أسمع - أخبرني بأفضل منقبة لك ، قال : ما أنزل الله في كتابه ؟ قال : وما أنزل الله فيك قال ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾^(١) أنا الشاهد من رسول الله صلى الله عليه وآله وقوله : ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾^(٢) إياي عنى بمن عنده علم الكتاب فلم يدع شيئاً أنزله الله فيه إلا ذكره ، مثل قوله : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(٣) وقوله : ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٤) قال قلت : فأخبرني بأفضل منقبة لك من رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال نصبه إياي يوم غدير خم فقال لي بالولاية بأمر الله عز وجل . وقوله أنت مني بمنزلة هارون من موسى ، وسافرت مع رسول الله صلى الله عليه وآله ليس له خادم غيري ، وكان له لحاف ليس له لحاف غيره ، ومعه

(١) سورة هود: آية ١٧.

(٢) الرعد: ٤٣.

(٣) المائدة: ٥٥.

(٤) النساء: ٥٩.

عائشة وكان رسول الله ينام بيني وبين عائشة ليس علينا ثلاثتنا لحاف غيره ، فإذا قام إلى صلاة الليل يخط بيده اللحاف من وسطه بيني وبين عائشة حتى يمس اللحاف الفراش الذي تحتنا ، فأخذتني الحمى ليلة فأسهرتني فسهر رسول الله صلى الله عليه وآله لسهري ، فبات ليلته بيني وبين مصلاه يصلي ما قدر له ، ثم يأتيني يسألني وينظر إلي فلم يزل ذلك دأبه حتى أصبح فلما صلى بأصحابه الغداة قال : اللهم اشف عليا وعافه فإنه ، أسهرني الليلة مما به ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله : - بمسمع من أصحابه - : أبشر يا علي قلت : بشرك الله بخير يا رسول الله وجعلني فداك ، قال : " إني لم أسأل الله الليلة شيئا إلا أعطانيه ، ولم أسأله لنفسي شيئا إلا سألت لك مثله ، وإني دعوت الله عز وجل أن يؤاخي بيني وبينك ففعل ، وسألته أن يجعلك ولي كل مؤمن ومؤمنة ففعل ^(١) .

ذكر المفيد ^(٢) عن أحمد الوليد عن أبيه عن سعد عن أيوب بن نوح ، عن صفوان بن يحيى ، عن أبان بن عثمان ، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد (عليهما السلام) قال : إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش : أين خليفة الله في أرضه ؟ فيقوم داود النبي (عليه السلام) فيأتي النداء من عند الله عز وجل : لسنا إياك أردنا وإن كنت لله تعالى خليفة ، ثم ينادي مناد ثانياً : أين خليفة الله في أرضه ؟ فيقوم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

(١) وراجع أيضاً البحار: ج ٤٠ ص ١.

(٢) أمالي المفيد: ص ٢٨٥ وراجع أيضاً الجواهر السنية للحر العاملي: ص ٢٥٧ وبحار الأنوار:

(عليه السلام) فيأتي النداء من قبل الله عز وجل يا معشر الخلائق هذا علي بن أبي طالب خليفة الله في أرضه ، وحجته على عباده ، فمن تعلق بحبله في دار الدنيا فليتعلق بحبله في هذا اليوم ويستضيء بنوره وليتبعه إلى الدرجات العلى من الجنات . قال : فيقوم الناس الذين تعلقوا بحبله في الدنيا فيتبعونه إلى الجنة ، ثم يأتي النداء من عند الله عز وجل ألا من تعلق بإمام في دار الدنيا فليتبعه إلى حيث يذهب ، فحينئذ ﴿تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كَرِهْنَا فَنَتَّبِعُوا مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾^(١) .

في الأمالي للصدوق ص ٢١ عن ابن إدريس عن أبيه عن ابن هاشم عن محمد بن سنان عن أبي الجارود، عن ابن جبير عن بن عباس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ولاية علي بن أبي طالب ولاية الله وحبه عبادة الله، واتباعه فريضة الله، وأولياؤه أولياء الله، وأعداؤه أعداء الله وحربه حرب الله وسلمه سلم الله عز وجل^(٢) .

وفي نفس المصدر: عن ابن البرقي عن أبيه عن جده عن سليمان بن مقبل عن موسى بن جعفر عن آبائه عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: دخلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو في مسجد قبا وعنده نفر

(١) البقرة ١٦٦ و ١٦٥. وراجع أيضاً أمالي الطوسي: ص ٣٩.

(٢) وراجع أيضاً ينابيع المودة للقندوزي الحنفي: ص ٥٥.

من أصحابه فلما بصر بي تهلل وجهه وتبسم حتى نظرت إلى بياض أسنانه تبرق، ثم قال: إليّ يا عليّ إليّ يا عليّ فما زال يدنيني حتى ألصق فخذي بفخذه، ثم أقبل على أصحابه فقال معاشر أصحابي أقبلت إليكم الرحمة باقبال عليّ أخي إليكم، معاشر أصحابي إن علياً مني وأنا من علي روحه من روحي وطنته من طينتي وهو أخي ووصيي وخليفتي على امتي في حياتي وبعد مماتي، من أطاعه أطاعني ومن وافقه وافقني ومن خالفه خالفني.

فلما سمعوا من النبي (صلى الله عليه وآله) كثر من المنافقين التحامل والحسد على علي وأهل بيته فاطمة الزهراء والحسن والحسين (عليهم السلام) وازداد الحقد والحسد على ذريتهم (عليهم السلام) فمن التحامل على آل عموماً أنه إذا ذكرت فضيلة لأحدهم أو مزية امتازوا بها عبست الوجوه وجاشت الصدور، وإذا روى راو شيئاً من فضائلهم رمى بالكذب والغلو، وإذا استدل مستدل بما روته الأئمة من علماء المسلمين في فضلهم ومناقبهم عمدوا أولاً إلى سنده فقدحوا فيه جهد الاستطاعة ولو كان صحيحاً، ثم إلى تأويله ولو بالوجوه الضعيفة والتأويلات البعيدة ولو كانت دلالة واضحة، وإذا مروا بالآيات الواردة فيهم عليهم السلام صرفوها عنهم، كما قالوا في آية التطهير أنها واردة في نسائه (صلى الله عليه وآله) رغماً عن تذكير الضمير وكلمة (إنما) كافة لما قبلها و عن الاخبار الكثيرة الدالة على ورودها في أهل البيت وفي آية المباهلة أنها معارضة بإجماع مزعوم،

ومن الحقد عليهم (عليهم السلام) عدم ذكرهم في الصلاة على

النبي (صلى الله عليه وآله) وروى البخاري في صحيحه^(١) عن سعيد بن يحيى قال: حدثني أبي عن الحاكم عن أبي ليلى عن كعب بن عجرة قيل: يا رسول الله (صلى الله عليه وآله) أما السلام عليك فقد عرفناه فكيف الصلاة قال: قولوا: اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وآل محمد كما باركت على آل ابراهيم).

ومن التحامل عليهم أنه إذا روى راو شيئاً من خوارق العادة لهم (عليهم السلام) قيل هذا غلو وهذا حديث منكر وصاحبه يروى المناكير ورمى بالانكار عن قوس واحد. وإذا روى ابن حجر في الأصابة وابن كثير في تاريخه^(٢)، أن بعض الصحابة كانت تحدثه الملائكة فلم يقل أحد منهم أنه منكر أو فيه غلو،

ومن المؤسف على اخواننا المسلمين لم يعد مذهب أهل البيت (عليهم السلام) ومذهب فقهاءهم مع المذاهب التي حصر التقليد فيها مع أن أئمة أهل البيت إن لم يكونوا أعلم من أهل المذاهب الأربعة فلا يتقصون عنهم بل مذهبهم أولى بالاتباع من بقية المذاهب لأنهم أخذوه عن آبائهم عن جدهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن جبرئيل عن الله تعالى كما قال الشيخ البهائي:

(١) صحيح البخاري: ج ٤ ص ١١٨ وج ٦ ص ٢٧ وج ٧ ص ١٥٧.

(٢) الاصابة لابن حجر: ج ٣ ص ٢٦ وابن كثير في تاريخه: ج ٨ ص ٦٠ وراجع أيضاً الاستيعاب

لابن عبد البر: ج ٢ ص ٤٨٥.

ووال أناساً قولهم وحديثهم روى جدنا عن جبرئيل عن الباري

وفيهم الذي أشتهروا بالفقه والتبحر في سائر علوم الدين كالامام محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب وابنه الامام جعفر الصادق (عليه السلام) وروى جابر الجعفي عن الامام الباقر (عليه السلام) سبعين ألف حديث وسمي الباقر لأنه بقر العلم بقرأ أي توسع فيه وروى أبان بن تغلب عن الصادق (عليه السلام) ثلاثين ألف حديث وقال الوشاء من أصحاب حفيده الامام الرضا (عليه السلام) أدركت في مسجد الكوفة تسعمائة شيخ كل يقول حدثني جعفر بن محمد، هذا ما أدركه راو واحد في عصر متأخر وجمع الحافظ ابن عقدة أربعة آلاف رجل من الثقات الذين رووا عن جعفر (عليه السلام) ونقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان وانتشر ذكره في البلدان ومع ذلك لم يعدوا مذهبهما ومذاهب سائر أئمة أهل البيت في عداد مذاهب الفقهاء بل ولا ساووهم على الاقل بمحمد ابن الحسن الشيباني وأبي يوسف وأمثالهم، مع أنهم مفاتيح باب مدينة العلم ومن علماء العترة التي لا يضل المتمسك بها كما لا يضل المتمسك بكتاب الله تعالى بنص الرسول (صلى الله عليه وآله) وفي هذا من التحامل وقلة الانصاف ما لا يحتاج الى بيان، وقالوا في علماء المذاهب الأربعة، وكلهم من رسول الله ملتمس فيضاً من البحر أو قطراً من الدير،

ولم يجعلوا أحداً من أئمة أهل البيت ملتماً من علوم جده لا فيضاً

من البحر ولا قطراً من الدير مع أن أباهم باب مدينة علم جدهم وهم دخلوا تلك المدينة من ذلك الباب والتمسوا من ذلك البحر العباب.

وصور الشعراني في ميزانه عين الشريعة وجعل لها سواقي إلى كل من الأئمة الأربعة والى الثوري وابن عيينه وابن جرير وعمر بن عبدالعزيز والاعمش والشعبي واسحاق وعائشة وابن عمر وابن مسعود وعطاء ومجاهد واليثة وداود فكل هؤلاء يستقى من عين الشريعة ولم يذكر أحداً من أئمة أهل البيت كالسجاد و الباقر والصادق والكاظم والرضا الى آخرهم ولا أهمم الزهراء البتول بضعة الرسول (صلى الله عليه وآله) ولا ابن عباس حبر الأمة الذي قيل فيه أنه يحفظ ثلثي علم رسول الله (صلى الله عليه وآله) وجعلهم محرومين من عين شريعة جدهم مطرودين عنها وهم أهلها وأحق بها من الثوري والاعمش وابن عيينه وأضرابهم، وهل كان السجاد يقصر عن الثوري والصادق عن أبي حنيفة والباقر عن الشافعي والكاظم عن ابن حنبل والرضا عن مالك والجواد عن ابن عيينة والهادي عن عمر بن عبدالعزيز والعسكري عن الاعمش والشعبي واسحق وأضرابهم والزهراء عن عائشة وابن عباس عن ابن عمر وابن مسعود فأبي قلة انصاف و تحامل أشد من هذا،

ومن التحامل والأسف الشديد على أمير المؤمنين (عليه السلام) انكار سبقه الى الاسلام وانفراده بسد الابواب الا بابه وعدم الاعتناء بميته على الفراش ليلة الغار وعدم التنويه بذلك ورواية ما يقتضي مشاركته في الفضائل التي انفرد بها مثل انا مدينة العلم وعلي بابها ومثل أقضاكم علي فأضيف

اليها وأقرأكم زيد وتشريك غيره معه في الشجاعة فيقال كشجاعة علي وخالد وغيرها من الألفاظ التي لا تنطبق مع الواقع وكثرت الافتراءات على الشيعة ورميهم بسوء القول ونسبتهم إلى الكذب والابتداع بل واعظم من ذلك، وإذا ذكرهم مؤلف من غيرهم فقلما يذكرهم إلا بأوصاف الذم والالقب المستكرهه مع الاطلاق والتعميم،

والسبب في ذلك أن الاسلام في مبدأ أمره كان ضعيفاً وأتباعه ضعفاء وإن أكثر العرب ورؤسائهم البارزون هم قريش وأتباعهم وقفوا ضد الاسلام وضد النبي (صلى الله عليه وآله) الذي جاء به وحاربوه وقاوموه لأنه أسفه احلامهم وأهان أصنامهم ولعن الهتهم ولم يدع وسيلة لمقاومته الا استعملوها حتى ظهر أمر الله وهم كارهون، وكان علي بن أبي طالب (عليه السلام) قطب رحي هذه الحروب وكاشف داجية تلك الخطوب حتى قام الاسلام وتوطدت أركانه بسيفه وقتل صناديد المشركين ووتر القبائل فامتألت قلوبهم حسداً وعداوة له، وكان علي (عليه السلام) أول من آمن برسول الله (صلى الله عليه وآله) ومع ذلك كان ابن عمه وربي في حجره واوصاه أبوه أبو طالب بنصره وكان يُنيمه في حصار الشعب في فراشه وفداه بنفسه وأوصاه بأداء اماناته وحمل الفواطم اليه بالمدينة ولما هاجر بالفواطم ولحقه الفوارس الثمانية ليردوه فحاربهم راجلاً وقتل مقدمهم وهرب الباقيون عنه واشتهر ذلك منه وبدأت هيبة تقع في النفوس ولما فعل يوم بدر ما فعل وقتل من قتل ازداد شهرة وتسامعت به العرب وعظم محله في النفوس ولما كانت وقعة أحد وانهزم عن النبي (صلى الله عليه وآله) وثبت هو وأبلى بلاء

عظيماً وقتل حملة اللواء وحامى عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وواساه بنفسه فازدادت شهرته وعظم محله وتحدثت العرب بشجاعته ولما كانت وقعة الخندق وقتل عمرو بن عبد ود بعدما جبن عنه الناس بلغ درجة عالية من الشهرة والعظمة في نفوس الناس ولما قتل مرحباً يوم خيبر وأقتلع باب الحصن وتترس به وفعل ما فعل يوم حنين فبلغ أعلى درجات الشهرة با لشجاعة والعظمة وتأسس الحسد له في النفوس مع الشهرة فكان ينمو بنموها ويزداد بزيادتها وتأسست البغضاء له في نفوس جماعة ممن دخلوا في الاسلام كرهاً بما قتله من آبائهم وأبنائهم وعشائهم في هذه الوقائع وانضاف الى ذلك ما كان يقول النبي (صلى الله عليه وآله) في حقه تنويهاً بشأنه كقوله أنت مني بمنزلة هارون من موسى علي مني وأنا من علي، علي مني بمنزلة الذراع من العضد علي مني بمنزلة الصنو، علي مع الحق والحق مع علي يدور معه كيفما دار وما كان من حديث الطائر المشوي وارساله بسورة براءة الى مكة ومؤاخاته له حين أخى بين أصحابه وما كان منه في حقه يوم غدير خم وإيصائه بقضاء دينه وجميع اموره حتى كان يعرف بالوصي وتزويجه بكريمته وافضل بناته واحبهن اليه وسيدة نساء العالمين ومنعها من غيره ممن خطبها وقوله ما أنا زوجتك بل الله أمرني بذلك الى غير ذلك مما هو معروف ومشهور من تلك المناقب التي لم يشاركه بها احد من جميع الصحابة وغيرهم، فأزداد نمو الحسد والكراهة له في النفوس.

الفصل السادس

علي في مواقفه مع النبي (صلى الله عليه وآله) في جميع الحروب

علي (عليه السلام) في بدر الكبرى، لقد كانت هجرة النبي (صلى الله عليه وآله) الى يثرب بداية عهد جديد في تاريخ الدعوة، فقد التقى بأنصاره الذين بايعوه في العقبة الثانية وعاهدوه على أن ينصروه بأنفسهم وأموالهم ويمنعوه مما يمنعون منه انفسهم وذرايرهم وكانت حفاوتهم به بالغة أقصى حدودها واقبالهم عليه يتزايد يوماً بعد يوم وفي السنين الاولى لدخوله المدينة أصر جماعة من سكانها على شركهم وأعلن بعضهم الاسلام وأسروا النفاق، وكان الى جانب هؤلاء في المدينة وجوارها من اليهود ما لا يقل عن عرب يثرب، وحين دخول النبي (صلى الله عليه وآله) اليها هادنوه على أمل أن يستقلوه لصالحهم في مقابل عرب المدينة، ونصارى نجران الذي استحكم العداء بينهم وبين اليهود لأمر تتعلق بعقيدتهم في السيد المسيح وأمه العذراء، هؤلاء بعد أشهر من دخوله المدينة انقلبوا عليه وفتحوا صفحة جديدة مع المشركين والمنافقين ولكن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يعالج الأمور بالحكمة ويتقاضى عن كثير من تصرفاتهم تفادياً للخصومات التي قد تؤدي الى حرب أهلية في مقره الجديد وقد تكون

نتائجها غير صالحة في نهاية الأمر وبالرغم من كل ذلك فقد أسفروا عن واقعهم وبدأوا يخططون ويتصلون بالقبائل العربية خارج المدينة وبالمكيين كما بدأت قريش من جانبها بالتحرك السريع لإرهاب المسلمين والحد من نشاطهم ومحاصرتهم من الداخل والخارج وترسل السرية تلو السرية وبلغت بعض سرايا الأعراب بتحريض من قريش حدود يثرب بقيادة كرز بن جابر الفهري فاستولى على بعض مواشي المدينة وإبلها فخرج النبي (صلى الله عليه وآله) بنفسه مع جماعة من المسلمين لانقاذ المواشي من أيدي الغزاة ومضى في أثر الغزاة الى أن قطع مسافة بعيدة،

وكان من الطبيعي أن لا يقف النبي (صلى الله عليه وآله) من تلك

المؤامرات والتحرشات والتحديات موقف المتخاذل الضعيف فجعل يرسل السرايا لمطاردتهم حيناً ويقطع الطريق على تجارتهم حيناً آخر لتفهم قريش ومن يساندها من اليهود والأعراب والمنافقين أنه لهم بالمرصاد ولن يتراجع عن دعوته مهما كانت النتائج لاسيما وقد أصبح لديه من الأنصار والاتباع ما يستطيع ان يرد به كيد المعتدين والمنافقين، وبقي يعالج الموقف على هذا النحو الى أن امره الله بقتال المشركين ورد عدوانهم، فقد جاء في الآية ٨٤ من سورة النساء ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا﴾.

وتوالت سراياه لرد العدوان وتثبيت دعائم الاسلام الى أن كانت

معركة بدر الكبرى والثانية على حد تعبير بعض المؤرخين والمؤلفين في

سيرة الرسول، فكانت الكبرى لأن تحرك النبي (صلى الله عليه وآله) لمطاردة كرز بن جابر الفهري حتى بلغ سفوان^(١)، وكانت الثانية كبرى لأنها حققت للمسلمين نصراً لم يكن في حساب قريش ولا غيرها من الاعراب واليهود ولم تحققه غزوة قبلها، ومهما كانت اسباب تسميتها بهذا الاسم فلقد محت معركة بدر أسطورة تفوق قريش على المسلمين وقدرتها على استصالحهم وتبين لقريش وانصارها أن الانتصارات في المعارك ليست وقفاً على العدد والعتاد، وأن الايمان بالمبدء والعقيدة والتضحية في سبيلهما أشد فتكاً وأعظم أثراً من كل أنواع الاسلحة وصدق الله حيث يقول ﴿كَمْ مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٢) ولقد كانت معركة بدر منطلقاً للانتصارات التي حققها المسلمون بقيادة النبي (صلى الله عليه وآله) في جميع المعارك التي خاضوها لرد كيد الطغاة والمفسدين في الأرض وقضت على كبرياء قريش وخيلائها وبالمشركين الذين افلتوا من سيف علي بن أبي طالب (عليه السلام) والحمزة والصفوة الطيبة من صحابة النبي بالخزي والعار بعد تلك الهزيمة المنكرة التي تركت في كل بيت من بيوت قريش نائحة وفي كل حي نواذب، وكان لهذا النصر ابلغ الاثر في نفوس القبائل العربية واليهود الذين كانوا ينتظرون النصر لصالح قريش.

لقد ثبت الله قدم نبيه بعد تلك المعركة وعزز موقفه وحقق فيها رؤيا

(١) سفوان: بفتح السين والفاء واد من ناحية بدر.

(٢) البقرة: ٢٤٩.

علي في موقفه مع النبي (صلى الله عليه وآله) في جميع الحروب ٩٧

عاتكة بنت عبدالمطلب وتهاوت قريش من عليائها فلم يبق بيت من بيوت جابرتها وطغاتها إلا ودخله الذل والخزي والعار،

لقد خرج النبي (صلى الله عليه وآله) من المدينة في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً من المسلمين ليقطع الطريق على تجارتهم التي كانت بقيادة أبي سفيان رداً على تحديات قريش وتحرشاتها التي كانت تقوم بها بين الحين والآخر وشانت التقادير أن يعرف أبو سفيان بالأمر فاستنجد بقريش فخرجت بكل قوتها لانقاذ العير وقتال محمد وأصحابه ومضت في طريقها باتجاه بدر وقد حشدت أكثر من ألف مقاتل من أشدائها وبلغت النبي (صلى الله عليه وآله) أخبار قريش واستعدادها الكامل للقتال وهو في مكان قريب من بدر فاستشار أصحابه في الأمر وأحب أن يكون على بصيرة من موقف قريش، فوقف عمر بن الخطاب يحذره من قريش وخيلائها ويقول والله أنها ماذلت منذ عزت ولا آمنت منذ كفرت والله لا تسلم عزها أبداً ولتقاتلنك فأتهب لذلك أهبتة وأعدد له عدته.

ووقف بعده المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله أمض لأمر الله فنحن معك ولا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، بل نقول لك اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون، والذي بعثك بالحق نبياً لو سرت بنا إلى برك العماد لسرنا معك فدعاه رسول الله (برك العماد مكان يبعد عن مكة مسير خمس ليالي من وراء الساحل مما يلي البحر) وقام بعدها سعد بن معاذ، فقال كأنك تريد أن تعرف رأينا يا رسول الله فقال أجل فرد عليه سعد بقوله لقد آمننا بك يا

رسول الله وصدقناك وشهدنا أن ما جئتنا به هو الحق وأعطيناك موثقينا وعهودنا على السمع والطاعة فامض يا نبي الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر وخضته لخضناه معك ما بقي منا رجل واحد وخذ من اموالنا ما اردت فما أخذته احب الينا مما تركته وعند اللقاء سنريك منا ما تقر به عينك،

ومضى رسول الله (صلى الله عليه وآله) في طريقه الى بدر ونزل ليلة الجمعة في السابع عشر من شهر رمضان فبعث علياً والزبير وسعد بن أبي وقاص وبسبس ابن عمرو يتطعمون له الاخبار وقال أرجو أن تجدوا الخبر عند القليب التي تلي هذا الضريب فاندفعوا باتجاهه فوجدوا على القليب روايا قريش فأسرّوا ثلاثة منهم واستطاع الفرار رجل يدعى عجير فأخبر قريشا بخبر النبي وأصحابه ونادى يا آل غالب هذا ابن أبي كبشة واصحابه قد اسروا طلائعكم وكان الاسرى غلاماً لسعيد بن العاص ويدعى أبا رافع، وظنهم المسلمون من اتباع قافلة أبي سفيان فلما اخبروهم من قريش شدد المسلمون عليهم وكان النبي (صلى الله عليه وآله) يصلي فلما فرغ سألهم أجابوه بأنهم غلمان لقريش وأخبروه بمكانهم فسألهم عن عدد المقاتلين من قريش فقالوا أنهم جمع كبير ولا علم لنا بعددهم ولكنهم ينحرون يوماً عشرة أباعر ويوماً تسعة، فقال النبي القوم ما بين ألف وتسعمائة ولما التقى الطرفان وعبأ النبي أصحابه ووقف النبي (صلى الله عليه وآله) بين الصفين يخاطب قريشا بأسلوب يلهب المشاعر ويناشدهم بالجوار والرحم الغريبة التي تشد الناس بعضهم الى بعض وقال لهم: لان يلي هذا مني غيركم أحب

علي في موافقه مع النبي (صلى الله عليه وآله) في جميع الحروب ٩٩

الي من أن تلوه أنتم فأصاب كلامه مكاناً في نفس عتبة ابن ربيعة أحد قاداتهم وابطالهم فقال لقريش مارداً هذا قوم قط وافلحوا، ثم ركب جملة وجعل ينهى الناس عن القتال ويقول لهم، أطيعوني اليوم واعصوني الدهر أن محمداً له آل وذمة وهو ابن عمكم فخلوه والعرب، ولكن أبا جهل استحوذ عليه الغرور أخذ يحرض المشركين على القتال ويندد بموقف عتبة ويتهمه بالجبن والخوف وظل يلاحقه حتى استفزه، فبرز عتبة بين أخيه شيبه وولده الوليد بن عتبة، ودعا المسلمين الى البراز، فبرز اليه ثلاثة من فتيان الانصار وهم بنو عذراء معاذ ومعوذ وعوف، فلما وقفوا في مقابل عتبة وأخيه وولده وانتسبوا لهم ترفعوا عن مقاتلتهم، وطلب عتبة من النبي وقال أخرج إلينا أكفاءنا من قريش فالتفت رسول الله الى بني عمه وكان أحب أن يكونوا أول من يبادر الحرب ويفتح المعركة ويتحمل اعبائها وقال: قم يا عبدة بن الحارث ويا حمزة بن عبدالمطلب ويا علي بن أبي طالب فقاموا مسرعين فرحين وكأنه دعاهم الى أعز ما يصبون اليه واتجهوا نحو القوم بقلوب عامرة بالايمان ونفوس طيبة بالقاء الله تسترخص كل شيء في سبيل سلامة محمد ودعوته،

والذي يتتبع تاريخ الدعوة الإسلامية لا بد وان ينتهي الي الدعوة منذ فجرها ولولا الهاشميون والطالبيون منهم لم تكن ولم يكتب لها البقاء، فأبو طالب منذ اليوم الاول وقف الى جانب النبي يشد ازره ويمنع عنه قريشاً وكيدها، ومضى هو وولده علي (عليه السلام) وأخوه الحمزة يدافعون عنه بكل طاقتهم وامكانياتهم وبالتالي تقدم علي (عليه السلام) ونام على فراشه

موطنا نفسه على الموت ليسلم محمد لرسالته وفي معركة بدر أول من برز الى جبابرة قريش علي وعمه الحمزة وابن عمه عبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب، فكانت الضربة الاولى التي قضت على معنويات ذلك الجيش الذي كان يعتز بعدده وعتاده وأطاحت برؤوس اولئك الطغاة وبعثت في نفوس العرب والمشركين الخوف والذعر والجزع من الهاشميين وحدهم لا من أولئك الذين كانوا يرون قريشاً لا تهقر ولا تغلب ويحذرون النبي منها، وعلى أي حال فلما تقدموا من القوم وانتسبوا اليهم طابت نفس عتبة ومن معه مبارزتهم فبرز عبيدة بن الحارث الى عتبة بن ربيعة وكان اكبر الثلاثة سناً وبرز الحمزة الى شيبة بن ربيعة وبرز علي الى الوليد بن عتبة وكانا متقارنين في السن،

وجاء في المرويات أن علياً كان يوم ذلك بين الخامسة والعشرين والثلاثين من عمره على اختلاف الروايات في ذلك،

وقال أكثر المؤرخين أن الحمزة لم يمهل شيبة وقضى عليه في الضربة الاولى وكذلك فعل علي (عليه السلام) مع الوليد واختلف عبيدة وعتبة في ضربتين كلاهما ضرب صاحبه واصابه بجروح بليغة وكر الحمزة وعلي (عليه السلام) على عتبة وأجهزا عليه وقيل ان الحمزة بارز عتبة فصاح المسلمون: يا علي أما ترى الكلب قد بهر عمك وكانا قد اعتنقا بعد ان تكسر اسياهما فأقبل عليهما وكان الحمزة أطول من عتبة فقال له طأطئ رأسك يا عم فلوى رأسه فضرب علي عتبة ففقد نصفين وكر علي والحمزة بعد ذلك على شيبة فقتلاه وحمل عبيدة وكانت قد قطعت ساقه فألقياه بين

علي في موافقه مع النبي (صلى الله عليه وآله) في جميع الحروب ١٠١
يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) فاستعبر وقال الست شهيداً يا رسول الله
قال بلى، ثم قال عبيدة لو كان أبو طالب حياً لعلم أنني أحق بمقالته حيث
كان يقول:

كذبتم وبسيت الله نخلي محمداً ولما نطاعن دونه وناضل
ونصره حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وكانت نهايته في بدر وهو أول شهيد من المسلمين في تلك المعركة
وبرز بعدهما حنظلة بن أبي سفيان إلى علي فلما دنا منه ضربه علي بالسيف
فسالت عيناه وسقط قتيلاً على رمال بدر وأقبل بعده العاص بن سعيد يطلب
البراز فبرز إليه علي وقتله،

وجاء في الإرشاد للمفيد^(١) عن أبي بكر الهذلي عن الزهري أن ابنه
سعيد بن العاص دخل على عمر بن الخطاب وقال: أراك وكأن في نفسك
علي شيئاً أتظن أنني قتلت أباك يوم بدر، والله لو ددت أنني قتلته ولو كنت
قتلته لم اعتذر من قتيل كافر، ولكنني مررت به يوم بدر فرأيتني يبحث للقتال
كما يبحث الثور بقريته فهبته ورغت عنه، فقال: اليّ يا ابن الخطاب، فصمد له
علي وتناوله، فوالله ما رمت مكاني حتى قتله، وكان علي في مجلس عمر
بن الخطاب وهو يتحدث مع سعيد بهذا الحديث فأدرك علي (عليه السلام)
الغاية من حديث ابن الخطاب فقال: اللهم غفراً ذهب الشرك بما فيه ومحا
الاسلام ما تقدم، مالك يا ابن الخطاب تهيج على الناس فسكت عمر ولم

(١) الإرشاد: ج ١ ص ٧٦.

يتكلم، فقال سعيد بن العاص أما انه ما كان يسرني أن يكون قاتل ابي غير ابن عمه،

والعاص بن سعيد المقتول في بدر هو جد عمرو بن سعيد الملقب بالاشدق وكان عاملاً على المدينة ليزيد بن معاوية يوم قتل الحسين ولما سمع العويل والصراخ من دور بني هاشم اتجه نحو قبر النبي وقال يوم بيوم بدر وواعية بواعية عثمان يا رسول الله.

ولما رأات مخزوم كثرة القتلى من المشركين احاطوا بأبي جهل خوفاً عليه وألبسوا لامة حربه عبدالله بن المنذر فصمد له علي وقتله ثم البسوها لأبن المغيرة فقتله الحمزة وهو يظنه أبا جهل والبسوها بعدهما حرمله بن عمرو فقتله علي أيضاً وأبى أن يلبسها أحد بعدما رأوا صنيع علي والحمزة بأولئك الذين كانوا يلبسون لامته، وأخيراً قتله معاذ بن عمرو بن الجموح وقيل غيره وقتل علي (عليه السلام) فيمن قتله يوم ذاك نوفل بن خويلد وكان النبي (صلى الله عليه وآله) قد قال اللهم اكفني ابن العدوية، وفي سيرة ابن هشام ان علياً قتل طعيمة بن عدى ومضى المسلمون يشتدون على قريش وعلي والحمزة في طليعتهم فتساقطت الرؤوس وتهاوت الأجسام وخرج النبي من العريش ولم يبق في غير ابي بكر ولم يرد له ولعمر بن الخطاب ذكر مع من اشتركوا في القتال وقتلوا احداً من المشركين واشترك النبي مع المسلمين وصاح بكبرياهم وبقت قريش تتهاوى تحت الاقدام، وشاهت الوجوه، ثم قال النبي: اللهم اربع قلوبهم ثم اخذ كفاً من الحصى ورمى به الى جهة المشركين فانهمزوا تاركين امتعتهم وأسلحتهم وأنزل الله

علي في مواقفه مع النبي (صلى الله عليه وآله) في جميع الحروب ١٠٣

على النبي بهذه المناسبة كما جاء في أكثر التفاسير،

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا
سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ فَأَضْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرَبُوا
مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(١).

وغاص علي والحمزة وابطال المسلمين في وسط قريش ونسي كل
واحد منهم نفسه وكثرة عدوه فتطايرت الرؤوس عن الاجساد وأمد الله
المسلمين بالقوة والعزيمة والثبات وأسر المسلمون كل من عجز عن الفرار،
حتى بلغ عدد الأسرى سبعين رجلاً وعدد القتلى اثنين وسبعين رجلاً،

وتنص أكثر المرويات أن علياً (عليه السلام) قتل النصف وأشترك مع
المسلمين في النصف الآخر كما جاء في رواية المفيد وغيره وأحصى
الواقدي من قتلى المشركين اثنين وخمسين من خيرة ابطالهم احصائه أن
الذين قتلهم علي (عليه السلام) بسيفه اربعة وعشرون، وثمانية وعشرون
اشترك في قتلهم جميع المسلمين،

ويبدو من احصى الواقدي أن القتلى بسيف علي (عليه السلام) كانوا
وجوه القوم وأبطالهم وبين الاسرى النضر بن الحارث بن كلدة قد اسره
المقداد بن الاسود نظر اليه بعينين فيهما الموت فقال له الرجل، ما هذا منك
الا الخوف والرعب، ولما بلغوا في طريقهم الى المدينة موضعاً يقال له

الأثيل نزلوا فيه فالتفت النبي الى علي وقال له، قم يا علي واضرب عنق النضر فصاح المقداد وقال، اسيرى يا رسول الله، وكان يطمع في فدائه فرد عليه النبي بقوله اللهم اغن المقداد من فضلك فقام علي (عليه السلام) وضرب عنقه ولما بلغ اخته خبر مقتله رثته بأبيات تعبر عن حزنها ولوعتها على أخيها وتتمنى لو أن النبي منّ عليه وتركه مع من ترك من الاسرى وفيها تخاطب النبي (صلى الله عليه وآله):

امحمد ولأنت نجل نجية في قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما من الفتى وهو المغيظ المحنق

ولما بلغته أبياتها رق لها النبي وقال: والله لو بلغني شعرها قبل قتله لما قتلته وفي عرق الضبية أمر بقتل عقبة بن أبي معيط ولما أقبل عليه علي بالسيف صاح من المصيبة يا محمد فقال لهم النار ثم ضربه علي ضربة واحدة كانت بها نهايته،

وقال الاستاذ عبدالفتاح وهو يتحدث عن معركة بدر ومواقف علي (عليه السلام) فيها وعن نتائجها، قال لقد كانت بدر نصراً كلها وان افلتت الدائرة أبا سفيان بن حرب وغيره الذين من أجلهم نزحت جنود المسلمين الى ساحة القتال ولكن ابا سفيان لم يكن كقريش، ولم يكن اشد من اولئك الذين حصدتهم رحي السيوف، لقد خسر في المعركة زياد ابنه اسيرا وحنضلة قتيلا لحق شرف مصرعه بسيف علي (عليه السلام) كما لحق به شرف جز رقاب سواه من بني عبدالشمس وأصهارهم من بني عبدالدار،

علي في موافقه مع النبي صلى الله عليه وآله) في جميع الحروب ١٠٥

ومضى يقول: وأن الذي يأخذ نفسه بأحصاء من جندلهم علي بن أبي طالب في بدر وماتلاها من وقائع ليعجب اشد العجب، ويتسائل أكانت الصدفة وحدها هي السبب في أن يكونوا أكثرهم من هذا البيت الذي اشتهر بامتلاء قلوب آله بالحق قد على بني هاشم وسلالته، أم ترى انه كان ينتقى عامداً غرمائه من بينهم، ثم يعمل في رقابهم نصاله، وكان عجباً غاية العجب ان يتفق له في بدر قتل حنظلة بن أبي سفيان والعاص بن سعيد بن امية والوليد بن عتبة أخاهند، ثم عقبه بن ابي معيط اخي عثمان لأمه، ثم بعدهم غيرهم من احلافهم ومن لاذ بهم بسبب أو نسب ولعلمهم ندموا لأنهم ليلة الهجرة خلوا بين علي وبين الحياة ولم يقتلوه في فراش الرسول، ولكنه ندم ليس بنافعهم اليوم قتيلاً ولا يدافع عنهم ضره في كلا جاهليتهم واسلامهم لانهم رضعوا من ثدي امهاتهم ومنحرفين عن خط الرسول (صلى الله عليه وآله).

وجاء في الدر المنثور^(١) في آخر تفسير الآية، ﴿أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض﴾^(٢): أن ابن عساكر اخرج عن ابن عباس في تفسيرها اذ المراد من الذين آمنوا وعملوا الصالحات علي والحمزة وعبيدة بن الحارث، والمراد من المفسدين في الأرض عتبة وشيبة والوليد بن عتبة،

وفي حلية الأولياء^(٣) لابي نعيم بسنده عن محمد بن ادريس الشافعي

(١) الدر المنثور للسيوطي: ج ٥ ص ٣٠٨.

(٢) ص ٢٨.

(٣) ج ٩ ص ١٤٥ وراجع أيضاً الفصول المهمة للمالكي: ج ١ ص ٣٠٥.

أنه قال: دخل رجل من بني كنانة، علي معاوية بن أبي سفيان فقال له هل شهدت بدرا، قال: نعم قال مثل من كنت، قال: غلام أمرد مثل عطباء الجلود، قال: فحدثني ما رأيت وحضرت، قال ما كنا شهودا إلا لغياب، وما رأينا ظفرا كان أو شك منه، قال فصف ما رأيت، قال: رأيت علي بن أبي طالب غلاماً شاباً ليثاً عبقرياً لا يثبت له احد الا قتله ولا يضرب شيئاً الا هتكه ولم أر احداً من الناس يحمل حملته ويلتفت التفاته وكأن له عينان في قفاه وكأنه الأسد اذا وثب،

وجاء في ذخائر العقبى والرياض النضرة^(١) عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) انه قال: نادى ملك من السماء يوم بدر يقال له رضوان - [أن] لاسيف الا ذو الفقار ولا فتى الا علي (عليه السلام)^(٢).

وروى الطبري في تاريخه^(٣) أن علي بن أبي طالب لما قتل اصحاب الالوية في بدر كان كلما تكتل جماعة من مشركي قريش يقول له النبي (صلى الله عليه وآله) احمل عليهم يا علي فيحمل عليهم ويقتل منهم فنزل جبرئيل على النبي وقال له: أن هذه المواساة يا رسول الله فقال له رسول الله أنه مني وأنا منه فقال جبرائيل وأنا منكما وسمعوا صوتاً يقول: لاسيف الا

(١) الرياض النضرة: ج ٢ ص ١٩٠.

(٢) وراجع أيضاً المناقب لأبن المغازي ص ١٩٧ والفصول المهمة لابن المالكي: ج ١ ص ٢٨١ وبنابيع المودة للقندوزي الحنفي: ج ٢ ص ١٦٦.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٥١٤ وراجع أيضاً ربيع الأبرار للزمخشري: ج ١ ص ٨٣٣ وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: ج ١٠ ص ١٨٢.

ذو الفقار ولا فتى الا علي (عليه السلام).

ومجمل القول أن المؤرخين والمحدثين قد تحدثوا عن مواقف علي في بدر وعن جميع من قتلهم بسيفه وأبرزوه فيها على واقعه، غير أن الاستاذ هيكل في كتابه حياة محمد تحدث عن معركة بدر واعتمد في حديثه عنها على المصادر التي ذكرت مواقف علي (عليه السلام) وبطولاته الرائعة التي لم يحدث بها التاريخ عن أحد من الناس وكلها نصت على أن علياً وحده قتل نصف قتلى المشركين أو ما يقرب من نصف واشترك مع المسلمين في النصف الآخر، بالرغم من أنه اعتمد على تلك المصادر لم يتحدث عنه بشيء ولم يزد في حديثه على قوله: بأن علياً والحمزة وابطال المسلمين خاضوا المعركة ونسي كل منهم نفسه، ومع أن الخليفين عمر وأبا بكر لم يشتركا مع المسلمين في قتل واحد كما تؤكد ذلك المصادر الموثوقة، ومع ذلك فقد أبى أن يمر على تلك المعركة بدون أن يذكر لأبي بكر وعمر ميزة علي غيرهما فذكر.

الفصل السابع

في معركة احد

لقد تركت نتائج معركة بدر حرجاً بليغاً في نفوس القرشيين والمنافقين واليهود ومن على شاكلتهم من الاعراب الذين كانوا لا يزالون على شركهم فهذا الجرح تركهم لا يفكرون ولا يعملون لغير الثأر لانفسهم واستعادة هيبتهم التي فقدوها في تلك المعركة، وعادوا ليكون قتلاهم بعد أن منعوا النساء من البكاء والعيويل قرابة اشهر معدودات، لقد عادوا الى البكاء لانه يلهب النفوس ويشير المشاعر، فكانوا يأتون براحلة الرجل أو فرسه ويجمعون النساء حولها للنياحة ويرددون أحداث بدر وما جرى فيها. ومضت قريش على ذلك لاهم لها الا الاستعداد للجولة الثانية مع محمّد (صلى الله عليه وآله) واتباعه وتعبئة النفوس ولكن هندا بالرغم من أنها اصببت بأبيها وعمها وأخيها قد ابت أن تبكي وتظهر بمظهر الحزين الجازع مخافة أن يشمت بها محمّد (صلى الله عليه وآله) وأتباعه على حد تعبيرها ووزعت قريش رسلها خارج مكة للتشديد بمحمّد (صلى الله عليه وآله) وشحن النفوس عليه وعلى أتباعه، ولكن هذا وغيره لم يكن ليرهب

محمد بن عبدالله ولا المسلمين من أتباعه لاسيما وقد اطمأنوا بعد معركة بدر بالقوة والثقة بأنفسهم فقبل أن يستعدوا راحتهم ويعضوا عما بذلوه من جهد وعناء وقبل أن تتم دورة الاسبوع على رجوعهم الى المدينة يزفون الى من بقي فيها من الرجال والنساء أخبار بدر ونتائجها، أمرهم بغزو بني سليم وكانوا قد تجمعوا لغزو المدينة وقاد الحملة بنفسه وأعطى لوائه لعلي (عليه السلام) كما نص على ذلك مؤلف السيرة الحلبية في سيرته^(١) ولما بلغ ماء من مياههم يقال له الكدر أقام عليه ثلاثة أيام فلم يجد أحدا منهم ثم رجع الى المدينة وكانت هذه الغزوة في الرابع والعشرين من شهر رمضان بعد معركة بدر بأيام قليلة كما ذكرنا.

وفي النصف من شوال وبعد معركة بدر بشهر واحد تقريباً غزا النبي بني قينقاع إحدى قبائل اليهود في المدينة وكان قد عاهدهم حين دخوله اليها وعاهدوه على ان لا يغدروا به ولا يتعاونوا مع أحد عليه ولكنهم بتحريض من قريش نقضوا العهد وتأمروا على قتله وحاولوا التنفيذ وأخبره بذلك الوحي فقام من ساعته وانسحب الى داخل المدينة وأنزل عليه بهذه المناسبة الآية لما يدعى المؤلفون في تفسير القرآن ﴿وَإِذَا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾^(٢).

فسار اليهم في أصحابه وكان لوائه مع الحمزة وعلي يقود الحملة

(١) السيرة الحلبية: ج ٢ ص ٤٨١.

(٢) الانفال: ٥٨.

ويتقدم المسلمون فاستولى الخوف على اليهود والتجأوا على معاقلهم وحصونهم فحاصروهم النبي خمس عشرة ليلة وكانوا أربعمئة حاصر وثلاثمئة دارع، ولما اشتد عليهم الحصار واستولى عليهم الخوف نزلوا على حكم رسول الله ونزحوا الى اذرعات من بلاد الشام مع اطفالهم ونسائهم وتركوا أموالهم غنيمة للمسلمين الا ما حملوه معهم حسبما تم الاتفاق بينهم وبين النبي (صلى الله عليه وآله).

وفي النصف من شهر محرم بعد معركة بدر بأربعة أشهر تقريباً بلغه أن جماعة من بني سليم وغطفان قد تجمعوا في أرض لبني سليم يقال لها قرقرة الكدر يريدون غزو المدينة فصار اليهم في نحو مأتي رجل من المهاجرين والأنصار واعطى لوائه لعلي (عليه السلام) وقبل أن يصل اليهم فروا من مكانهم وتفرقوا في بطون الأودية ومرتفعات الجبال ولم يجد أحداً منهم غير الرعاة فاستولى على المواشي التي كانت معهم وهي خمسمئة بعير فأخرج خمسها ووزع ما بقي منها على أصحابه وهكذا كان الاعراب يحتشدون بين الحين والآخر في مختلف الاماكن ويخططون لغزو المدينة ولكن النبي كان يفوت عليهم تدابيرهم فيخرج اليهم يقود المسلمين أحيانا أو يرسل اليهم سرايا وفي الغالب يكون لوائه مع علي (عليه السلام) فلا يرجع حتى يشتت جمعهم ويستولى على مواشيهم واستمر الحال على ذلك الى أن جاء شوال من السنة الثالثة للهجرة وبعد أن مضى على هجرة النبي الى المدينة نحو اثنين وثلاثين شهراً فكانت معركة أحد التي أصيب فيها المسلمون بصدمة قاسية كانت نتيجة عدم التقيد بأوامر الرسول

واستخفافهم بالتخطيط الذي وضعه للمعركة منذ بدايتها.

وأما علي في معركة أحد = فلم تهدأ قريش منذ أن أصيبت في بدر بتلك النكبة التي لم تكن تدور في حسابهم وبقوا يستعدون للثار من محمد وأصحابه مدت سنة أو أكثر، فلما استدار العام كانت قريش قد استكملت عدتها وتجمع اليها أحلافها من المشركين واليهود وانضم اليها كل حاقد وناقد وناقم على الدين الجديد من اصحاب الامتيازات وذوي الجاه والمال، وكان العباس بن عبدالمطلب يشترك أحياناً في الرأي ليكون على صلة بكل تصرفاتهم وتحركاتهم ولما أجمعوا على غزو المدينة كتب الى النبي (صلى الله عليه وآله) كتاباً وبين له حالهم واجتماع كلمتهم وعددهم وعدتهم وأرسل الكتاب مع رجل من غفاري وأوصاه بالكتمان والاسراع في السير حسب استطاعته، فمضى الغفاري في طريقه الى المدينة يجد السير حتى دخلها بعد ثلاثة أيام أو أربعة، فدفع الكتاب للنبي (صلى الله عليه وآله) فأعطاه الى أبي بن كعب ليقرأه له وأوصاه بأن يكتم الخبر ولا يحدث أحداً بما فيه وقصد دار سعد بن الربيع وقص عليه محتويات الكتاب وأوصاه بالكتمان وقال اني لأرجو أن يكون في ذلك الخير،

وبدأ النبي (صلى الله عليه وآله) من ساعته يستعد لملاقاة قريش ويعد العدة لذلك ومضت قريش مع أحلافها لغزو المدينة وخرج جيشها من مكة في ثلاثة آلاف مقاتل ومعهم خمسة عشر امرأة وبينهن هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان بن حرب وذلك في اوائل شوال من السنة الثالثة لهجرة النبي، ولما بلغت الايواء وفيها قبر آمنة بنت وهب ام النبي دفع الحقد الطائش

بعض القرشيين الى نبش قبرها واخراج رفاتها منه وحرقتها تجاوبا مع القبر وأقسمت بالالزام أن لا تبرح مكانها حتى تنبش القبر وتخرج الرفاة منه، ولكن بعض زعماء قريش حالوا بينها وبين ماتريد، وقالوا أن ذلك لو تم ربما يصبح عادة عند العرب، وقالوا اذا فعلتم ذلك فما يمنع خزاعة وبني بكر أن تنبش قبور قريش واستطاعوا بعد حوار طويل التغلب على هند ومن تابعها، وتابعت قريش مسيرتها حتى بلغت العقيق وحطت رحالها في سفح جبل على بعد خمسة أميال من المدينة وتقلوا منه الى ذي الحليفة في جوار المدينة وتركوا خيلهم وابلهم ترعى في بساتين المدينة،

ولما اتصل خبرهم بالنبي (صلى الله عليه وآله) حتى جمع المسلمين واستشارهم في الموقف الذي يجب ان يتخذوه في مثل هذه الظروف الحرجة وأختلفت آراء المسلمين في ذلك فبين من رأى أن يتحصن النبي في المدينة ويتخذ في داخلها جميع الاحتياطات لمقابلتهم في شوارعها وبين من رجح الخروج منها ومقابلتهم في خارجها،

وتنص المصادر التاريخية على أن النبي (صلى الله عليه وآله) بعد أن استطلع رأى أكثر المسلمين حول الموقف جمعهم وخطب فيهم وحثهم على الصبر والجهاد والثبات ووعدهم بالنصر والاجر اذا صبروا وأخلصوا في جهاد عدوهم وتجهزوا للخروج بمن معه وكانوا الفأ ودفع لوائه لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) ووزع الرايات على وجوه المهاجرين والانصار وخرج من المدينة لقتال الغزاة ولما بلغ الشوط وهو مكان الى جوار المدينة رجع عبدالله بن أبي وجماعته وكانوا نحو من ثلث الجيش الذي خرج مع

النبي (صلى الله عليه وآله).

وجاء في رواية ثانية ان النبي (صلى الله عليه وآله) لما بلغه أن حلفاء عبدالله بن أبي من اليهود خرجوا معه أمر بارجاعهم وقال: لانستعين بالشرك على أهل الشرك فرجع عبدالله وأحلافه وكانوا نحواً من ثلاثمائة أو يزيدون وبقي النبي في سبعمائة من المسلمين ومضى حتى بلغ أحداً، فأعد أصحابه للقتال ووضع تخطيطاً سليماً للمعركة فأمر خمسين رجلاً من الرماة أن يكونوا من وراء المسلمين الى جانب الجبل وأكد عليهم ان يلزموا اماناً لهم ولا يتركوها حتى ولو قتل المسلمين عن آخرهم كما اوصاهم ان يرشقوا الخيل بالنبال اذا أرادت قريش أن تهاجم المسلمين من تلك الناحية ونظم صفوف المسلمين تنظيمًا دقيقاً يضمن لهم النصر بإذن الله،

وتأهب المشركون للحرب واعطوا لوائهم لبني عبدالدار وأول من استلمه منهم طلحة بن أبي طلحة ولما علم النبي بلواء المشركين مع بني عبدالدار أخذ اللواء من علي (عليه السلام) وسلمه الى مصعب بن عمير، وكان من بني عبدالدار وبقي معه الى أن قتل فلما قتل رده النبي الى علي (عليه السلام) ولما التحمت المعركة بين الفريقين تقدم طلحة بن أبي طلحة وطلب البراز فخرج اليه علي (عليه السلام) وبرزا بين الصفيين ورسول الله (صلى الله عليه وآله) جالس في عريش أعد له ليشرف على المعركة ويراقب سيرها فضرب على طلحة على رأسه ضربة فلق فيها هامته ووقع يخور في دمه، فكبر رسول الله والمسلمون، ولما قتل حامل لواء المشركين تقدم اخوه عثمان بن أبي طلحة وأنشد يقول:

أن علي رب اللواء حقاً أن يخضب الصعدة أو يندقا

فأخذ اللواء وتقدم به والنسوة خلفه يضربن بالدفوف وينشدن:

نحن بنات طارق نمشي على النمارق

مشي القطا البوارق المسك في الفوارق

ان تقبلوا نعانق أو تدببروا نفارق

فحمل عليه الحمزة بن عبدالمطلب فضربه بسيفه ضربة كانت بها

نهايته ورجع عنه يقول أنا ابن ساقى الحجيج، وأخذ اللواء بعدهما أخوهما

أبو سعيد بن أبي طلحة فحمل عليه علي فقتله ثم أخذ اللواء ارطاة بن

شرحبيل فقتله علي أيضاً وأخذ اللواء بعد ذلك غلام لبني عبدالدار فقتله

علي بن أبي طالب وتعاقب على اللواء تسعة من بني عبدالدار فقتلوا بسيف

علي وعمه الحمزة وكان علي (عليه السلام) أشد فتكا بحملة اللواء وابطال

المشركين من جميع المسلمين كما تنص على ذلك المؤلفات في سيرة

الرسول (صلى الله عليه وآله).

وجاء في تاريخ ابن الاثير أن علياً (عليه السلام) قتل حملة اللواء

واشارت الى ذلك رواية المفيد في الارشاد والطبري في تاريخه^(١) وروى

الحسن بن محبوب عن الامام أبي عبدالله الصادق (عليه السلام) انه قال:

كان أصحاب اللواء يوم أحد تسعة من أبطال قريش وبني عبدالدار قتلهم

(١) تاريخ الطبري: ج ٣ ص ١٧ وسيرة ابن هشام: ج ٣ ص ١٣٤ والهيتمي في مجمع الزوائد: ج ٦

علي بن أبي طالب عن آخرهم.

وروى علي بن ابراهيم في تفسيره^(١) أنه بعد أن قتل علي بن أبي طالب حملة اللواء تقدم غلام لبني عبدالدار يدعى حواب فحمل عليه علي وقتله وسقط اللواء في المعركة ولم يجسر أحد أن يتقدم ويأخذه، فتقدمت اليه امرأة تدعى عمرة بنت علقمة الحارثية وفيها يقول الشاعر:

ولولا لواء الحارثية اصبحوا يباعون في الاسواق بيع الجلائب

وفي رواية علي بن ابراهيم^(٢) أن طلحة بن أبي طلحة حينما برز اليه علي (عليه السلام) قال له: لقد علمت يا قضييم أنه لا يجسر علي أحد غيرك، وقال الراوي يقول لقد سئل الامام الصادق (عليه السلام) عن معنى قول طلحة لعلي يا قضييم فقال الامام الصادق (عليه السلام) أن رسول الله يوم كان في مكة لم يجسر عليه أحد لمكان أبي طالب، فأغروا به الصبيان اذا خرج يرمونه بالحجارة والتراب فشكى ذلك لعلي (عليه السلام) فقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله اذا خرجت فاخرجني معك، فخرج معه في اليوم الثاني فتعرض له الصبيان على عاداتهم فحمل عليهم علي (عليه السلام) فكان يقضمهم في وجوههم وآنافهم وآذانهم فيرجع الصبيان الى اهلهم باكين يقولون قد قضمنا علي بن أبي طالب فصار يعرف بين صبيان مكة القضييم.

وتؤكد أكثر المرويات أنه بعد أن قتل أصحاب الألوية والتحم الجيشان لم يتقدم احد من علي (عليه السلام) الا بعجه بسيفه أو ضربه على

(١) تفسير القمي: ج ١ ص ١١٣.

(٢) المصدر السابق.

رأسه وارداه قتيلا، وانكشف المشركون حتى احاط المسلمون بنسائهم ودب الرعب في قلوبهم ولو اراد المسلمون أن يأسروا هنداً ومن معها ما وجدوا من يمنعهم من ذلك،

وأما النصر الذي تهباً للنبي (صلى الله عليه وآله) في أحد لم يتهباً له في مواطن كثيرة وظل النصر الى جانب المسلمين ومع الأسف حتى عصوا الرسول وانصرفوا الى الغنائم وترك اكثرهم المكان الذي وضعهم فيه رسول الله ولم يبق سوى قائدهم عبدالله بن جبير في عدد لا يتجاوزون التسعة أو العشرة، فنظر خالد بن الوليد الى الجبل فوجده خالياً الا من اولئك نفر فاستغلّ الموقف وهاجمهم فثبتوا له ولخيله وكانت اكثر من مائتين ولما نفذت نبالهم دفعوا بسيوفهم حتى النفس الأخير وخلال تلك الفترة من الكفاح البطولي الذي قام به عبدالله بن جبير ومن معه نظر المنهزمون الى خيلهم التي وجدت منفذا للغارة على المسلمين وهم آمنون مطمئنون بما حققوه من النصر وقد الهتهم الغنائم حتى عن التفكير بالنبي (صلى الله عليه وآله) فرجعوا وأحاطوا بالمسلمين من جميع جهاتهم فما أحس المسلمون الا والعدو قد احاط بهم واختلط بينهم، واصبحوا كالمدهوشين يتعرضون لضرب السيوف وطعن الرماح من كل جانب، واشتد عليهم الامر حتى قتل بعضهم بعضاً من حيث لا يقصدون، ولم يكن علي (عليه السلام) يفكر في تلك اللحظات الحاسمة الا برسول الله، وسلامته لاسيما وقد رأى المشركين يتجهون نحوه واصبح هدفهم الأول بعد ان اصبحت المعركة لصالحهم، فأحاط به هو وجماعة من المسلمين يدافعون عنه ويجاهدون بين يديه

والحمزة يهد الناس بسيفه، وقد تفرق عن النبي أكثر اصحابه وحمل عليه المشركون من كل جانب حتى اصيب ببعض الجراحات واغمى عليه، وقال المفيد في ارشاده^(١) بسنده الى ابن مسعود: أن الذين ثبتوا مع رسول الله علي وأبو دجانة وسهل بن حنيف، وقد وقفوا حوله يدفعون عنه غارات قريش والنبي مغمى عليه، فلما افاق قال لعلي ما فعل الناس قال: لقد نقضوا العهد وولوا الدبر وفيما هو الى جانبه واذا بكتيبة من المشركين تتجه نحو النبي، فقال يا علي: اكفني هؤلاء فانقض عليهم كالصقر فانهمزوا بين يديه حتى اجلاهم وقتل جماعة منهم، وفيما هو يدافع ويصد الهجمات المتتالية على رسول الله واذا بكتيبة تنقض على النبي حتى كادت تبلغ منه غايتها لولا أن علياً (عليه السلام) قد انقض عليها وفرقها عنه.

وجاء في شرح النهج^(٢) عن محمد بن حبيب في اماليه أن رسول الله لما فرّ عنه معظم اصحابه يوم أحد اتجهت اليه كتائب المشركين فقصدته كتيبة من بني كنانة، ثم من بني عبد مناة من كنانة وفيها اكثر من خمسين فارس، فقال: يا علي اكفني هذه الكتيبة وكان راجلاً وهم على متون خيولهم، فما زال يضربهم بسيفه حتى فرقهم عنه ثم جاءته كتيبة اخرى ففعل فيها ما فعل بغيرها، ومضى يقول: انهم تجمعوا عليه مرارا وعلي يصد هم عنه حتى قتل عشرة من بني سفيان بن عوف، فنزل جبرائيل على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقال له يا محمد ان هذه المواساة لقد

(١) الارشاد: ج ١ ص ٨٢

(٢) شرح ابن أبي الحديد: ج ١٤ ص ٢٥٠.

عجبت منها الملائكة، فقال وما يمنعه من ذلك و هو مني وأنا منه، فقال جبرائيل وأنا منكما، وسمع في ذلك اليوم نداء من السماء لاسيف الأ ذو الفقار ولا فتى الأ علي فسئل رسول الله عن ذلك فقال جبرائيل.

وممن روى حديث لاسيف الأ ذو الفقار ولا فتى الأ علي صاحب الرياض النضرة في المجلد الثاني من رياضه، وعلي بن سلطان في مرقاته، وأخرجه أحمد في مناقبه والهيثمي في مجمع الزوائد والطبري وغيره من أبناء العامة.

وقد اتفق المؤلفون في سيرة الرسول ان علياً (عليه السلام) قد وقف في ذلك اليوم موقفاً لم يحدث بمثله التاريخ لاحد من الناس فقد نسي نفسه وكل شيء يتعلق بحياته ليسلم الرسول (صلى الله عليه وآله)، ولقد كانت الدماء على كتفيه كأكباد الابل وسيفه في يده كالإعصار لا يدنو منه فارس الا مزقه ولا كتية الا فرقها وجندل ابطالها.

وكان الحمزة في وسط المشركين كالمارد يهد الناس بسيفه هدا وهم يفرون من بين يديه كما جاء في رواية ابن كثير في البداية والنهاية وفي رواية الطبري أنه قد تفرق عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أصحابه من المهاجرين والانصار وفشا الخبر في الناس ان محمد (صلى الله عليه وآله) قد قتل فقال من فر عنه والتجأ الى الصخرة فوق الجبل، فقال لهم أنس بن النضر يا قوم ان كان محمد قد قتل فإن رب محمد لم يقتل فقاتلوا على ما قاتل عليه محمد، ثم تركهم وقاتل حتى قتل بعد أن اصيب بسبعين ضربة وتبضع بدنه ولولا ان اخته عرفته لم يعرفه احد من المسلمين وبهذه المناسبة

نزلت الآية وكما يدعى بعض المفسرين ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾^(١).

وعلى أي حال فقد أكثر المورخون والمحدثون على انه لم يثبت مع النبي (صلى الله عليه وآله) في أخرج ساعات المحنة الأ علي والحمزة ونفر قليل من المهاجرين والانصار واستطاع ومن معه ان يفرقوا تلك الجموع التي تدفقت على النبي (صلى الله عليه وآله) ولم يكن لها حاجة بغيره ورسول الله (صلى الله عليه وآله) يدعو الناس ويقول إليّ عباد الله ويكرّر النداء تلو النداء فلم يستجب اليه أحد.

وقال الأستاذ هيكل، وكان أكبر هم كل مسلم ان ينجو بنفسه الا من عصم الله امامنا علي بن أبي طالب (عليه السلام).

وجاء في شرح النهج^(٢) عن الواقدي أنه روى كثير من المحدثين ان النبي حين سقط ثم اقيم قال لعلي (عليه السلام): اكفني هؤلاء الجماعة فحمل عليهم وقتل منهم عبدالله بن حميد من بني أسد بن عبدالعزيز ثم حملت على النبي (صلى الله عليه وآله) كتيبة اخرى فقال لعلي اكفنيهم فحمل عليهم وفرقهم وقتل منهم أمية ابن أبي حذيفة بن المغيرة المخزومي وبقي علي ومن معه يدافعون ويجالدون القوم حتى فرقوهم عن النبي ونجا

(١) آل عمران: ١١٤.

(٢) شرح ابن أبي الحديد: ج ١٥ ص ٧.

بنفسه فاتجه الى الصخرة في اعلى الجبل كان قد فر اليها جمع كبير من المسلمين واعتصموا بها، وهم على يقين من أن النبي (صلى الله عليه وآله) قد قتل وأصبحوا لا يفكرون الا في استجداء عطف أبي سفيان وقريش كما ذكرنا، وحينما رأوه متجها نحوهم ظنوه أحد القرشيين قد اقبل يتبع فلولهم، فوضع رجل سهماً في قوسه وأراد ان يرميه ولكنه فوجئ بصوت الرسول يرن في اذنيه ويحك انا رسول الله فكانت مفاجأة سارة للجميع حيث تبين ان رسول الله لا يزال على قيد الحياة كما يدعي المؤرخون.

وفقد النبي (صلى الله عليه وآله) في الجولة الثانية التي استعاد المشركون فيها نشاطهم ومعنوياتهم عدداً كبيراً من ابطال المسلمين كان من ابرزهم الحمزة بن عبدالمطلب الذي كان يصفه المؤرخون اذا برز الى الحرب لا تكاد العين تدرك ذوابة سيفه وهو ينقض من كفه على الرؤوس والهجمات كالبرق الخاطف يهد الناس هداً، وفيما هو يصول ويجول يقدر الرجال ويمزق الاوصال لا يثبت له احد الا ارداه صريعاً ممزقاً الاوصال، واذا بالعبد الاسود الذي بذلت له هند أم معاوية كل شيء وأغرته بالاموال ليقتل لها الثلاثة محمد وعلياً والحمزة أو أحدهم اذا لم يستطع قتل الجميع لتشفى حقدتها على هذا البيت ولتدرك ثأرها بأبيها وأخيها وعمها وولدها حنضلة وغيرهم من بني أمية وعبدالشمس الذين تركهم علي والحمزة صرعى على رمال بدر تنهشهم سباع البر ووحوش الفلاة ولكن العبد الاسود كان يدرك مدى الصعوبات التي تحيط بقتل محمد (صلى الله عليه وآله) وعلي (عليه السلام) لأن محمد كان محاطاً بأصحابه، وعلياً كان في ساحة

الحرب في منتهى الحذر واليقظة حتى كأنه يبصر من كل جهاته ومناها
 بقتل الحمزة وضلت تنتظر ساعة التنفيذ بعد أن اغدقت عليه الاستطاعة ولم
 يكن للعبد مهمة سوى قتل الحمزة ان اتاحت له الظروف فأخذ يتكتم
 وكمن من وراء صخرة فمر الحمزة كعادته يطارد أبطال قريش وفرسانها
 فحانت للعبد فرصة فهز حربته ورماه بها أصابت منه مقتلا فاستدار الحمزة
 بوجهه ينظر من أين اتته الطعنة الغادرة، وجسده يكاد يضيق بالآلمه ولكنه
 تحامل على قدميه وأكرههما على المسير صوب قاتله فارتعدت فرائص
 القاتل حين رآه يتحرك نحوه ولكن قدمي الحمزة نبت على المسير ولم
 يعد يطيق الحركة وفارق الحياة.

وقال الاستاذ عبدالفتاح وهو يتحدث عن موقف أبي سفيان وزوجته
 هند بنت عتبة بن عبدالمطلب قال: وقد ورث الاحقاد مع الاحقاد صناعة
 الاجداد لانا لانلبث أن نرى بعد هذا الموقف بنصف قرن أو أكثر من الزمان
 الحفيد يزيد بن معاوية يستعيز عن رمح جده بقضيب يضرب به شدة
 الحسين (عليه السلام) الذبيح ويتلهم بثر ثنياه كأنما المثلة كانت لاسرته
 صناعة وكأنما فيها التشفى ومضى يقول ولعل شيخ بني أمية لو ترك وحيدا
 وشأنه اذ ذاك لكان انحنى على الارض فنفض التراب عن الكبد الملقاة ثم
 رمى بها في فمه لانيابه عساه يستغ بعض ما لفظت زوجته، وذكر ابن هشام
 أن رسول الله لما انتهى الى باب الشعب خرج علي بن أبي طالب (عليه
 السلام) حتى ملأ درقته في المهراس وجاء بها الى رسول الله (صلى الله عليه
 وآله) وغسل وجهه ورأسه من الدماء التي نزلت من جروحه.

وروى ابن الأثير أن علياً جعل ينقل الماء ويغسل جروح النبي (صلى الله عليه وآله) فلم ينقطع الدم فأتت فاطمة الزهراء فعانقته وبكت وعالجت له جرحه حتى انقطع الدم.

ويدعى الواقدي كما جاء في شرح النهج أن فاطمة الزهراء خرجت من المدينة مع بعض نساء المسلمين ومعهن محمد بن سلمة وكن اربع عشرة امرأة، ولكن رواية المفيد تنص على أنه لما رجع النبي الى المدينة استقبلته فاطمة ومعها اناء فيه ماء فغسل النبي وجهه، وظاهر هذه الرواية يدل على انها لم تخرج مع من خرج من النساء الى احد والرواية الاولى اقرب الى الاعتبار لأن خبر هزيمة المسلمين قد بلغ المدينة وشاع نبأ مقتل النبي في المدينة وقد سمعته فاطمة بلا شك في ذلك لانها كانت تتبع اخبار المعركة، ومن المستبعد ان تسمع بمقتل أبيها وعمها الحمزة ولا تخرج مع النساء لتنظر ما جرى على ابنيها وبقية المسلمين والامر في ذلك سهل مادام لكلا الامرين وجه معقول ومقبول، ومهما كان الحال فقد قتل علي (عليه السلام) وحده من فرسانهم وابطالهم الاشداء الذين كانوا يبرزون اليه اثني عشر رجلاً كما جاء في شرح النهج عن الواقدي عدا من قتل من غيرهم،

ولما رجع النبي (صلى الله عليه وآله) بعد دفن القتلى ومعه علي (عليه السلام) وقد خضب الدم يده الى كتفه فتناولت منه فاطمة ذا الفقار فقال لها اغسله فقد صدقني اليوم وفي بعض المرويات انه انشأ يقول:

أفاطم هاك السيف غير ذميم فلست برعيد ولا بلثيم
لعمرى لقد اعذرت في نصر أحمد وطاعة رب بالعباد عليهم

اميطي دماء القوم عنه فانه سقى آل عبد الدار كاس حميم

وقد عرض الاستاذ الشيخ محمد الغزالي في كتابه فقه السيرة معركة أحد وتجاهل فيها علي بن أبي طالب (عليه السلام) الذي لولاه لم يبق للاسلام اسم ولا رسم كما يستفاد من المجاميع التي تحدثت عن معركة أحد وما جرى فيها من احداث وذكر رواية مسلم في صحيحه التي يقول فيها: أنه لم يبق مع النبي الا سبعة من الانصار ورجلين من قريش ومضى يقول: ان الانصار السبعة قاتلوا حتى قتلوا ولم يصرح باسم الرجلين من قريش مع ان جميع المصادر التي لا بد لكل كاتب ان يعتمد عليها تنص على أن علياً (عليه السلام) قد جاهد جهادا لم يشهد له التاريخ مثيلا وتعدد مواقفه وتضحياته في تلك المعركة، ولكن الغزالي لم يصرح في كتابه باسمه حتى لا تكون له ميزة على غيره من وجوه المهاجرين الذين فروا عن الرسول واعتصموا بالجبال ولم يبق لديهم الا أن يتوسلوا بالمنافق ابن أبي سلول لياخذ لهم امانا من أبي سفيان وكان عليه أن يكون مع الواقع ولو لم يكن لمصلحة من يحب ويهوى.

الفصل الثامن

في غزوة الأحزاب

وتسمى أيضاً غزوة الاحزاب في ذي القعدة وقيل في شوال سنة خمس من الهجرة فقال المؤرخون لما أجلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بني النضير ساروا الى خيبر فخرج نفر من اشرافهم الى مكة منهم حي بن أخطب وسلام بن مشكم وكنانة بن أبي الحقيق وغيرهم فدعوا قريشاً الى الخروج الى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال لهم أبو سفيان مرحباً واهلاً أحب الناس الينا من اعاننا على عداوة محمد، وقالت لهم قريش انتم اهل الكتاب الاول والعلم اخبرونا اديننا خير ام دين محمد فقالوا بل دينكم وذلك قوله تعالى: ﴿الْم تَر إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾^(١) وعاهدوهم على قتاله (صلى الله عليه وآله) ووعدوهم لذلك موعداً ثم أتو غطفان وسليمان ففارقوهم على مثل ذلك وتجهزت قريش وجمعوا احايشهم ومن تبعهم من العرب فكانوا أربعة الاف وعقدوا

اللواء في دار الندوة فحملة عثمان بن طلحة بن أبي طلحة من بني عبدالدار وكان لهم حامل لواء قريش في الجاهلية عند الحرب دون غيرهم ومنهم بنو شيبه سدنة الكعبة وأبوه كان صاحب لوائهم يوم احد فقتل، وقادوا ثلاثمائة فرس وكان معهم ألف وخمسمائة بعير وخرجوا وقائدهم أبو سفيان بن حرب بن أمية وحالفهم بنو سليم وهم سبعمائة وقائدهم سفيان بن عبدشمس حليف حرب بن أمية وأبو أبي الاعور السلمي الذي كان مع معاوية بصفين وخرجت معهم بنو أسد يقودهم طلحة بن خويلد، وخرجت فزارة الف يقودهم عيينة بن حصن وخرجت اشجع اربعمائة يقودهم مسعود بن رخيلة وبنو مرة اربعمائة يقودهم الحارث بن عوف وغيرهم من القبائل فكان جميع من ورد الخندق عشرة آلاف وهم الاحزاب وكانوا ثلاثة عساكر ورئيس الكل أبو سفيان ولما تهيأوا للخروج أتى ركب من خزاعة في اربع ليال فاخبروا رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأخبر الناس وندبهم وشاورهم فأشار سلمان الفارسي بالخندق وقال انا كنا بفارس اذا حوصرنا خندقنا علينا فأعجب ذلك المسلمين فأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) فجعله قطع كل أربعين ذراع على عشرة نفرات، فاحتف المهاجرون والانصار في سلمان الفارسي كل يقول منا، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) سلمان منا أهل البيت، وجعلوا يعملون في الخندق مستعجلين يبادرون قدوم عدوهم، وعمل رسول الله (صلى الله عليه وآله) معهم بيده تنشيطا لهم ووكل بكل جانب قوماً وفرغوا من حفره في ستة أيام وقيل أكثر وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول وهم يحفرون اللهم لا خير

إلا خير الآخرة فارحم الانصار والمهاجرين فيجيئونه قائلين:
نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً
ولما فرغ رسول الله (صلى الله عليه وآله) من الخندق اقبلت قريش
في جموعها المتدفقة التي تفوق عدد المسلمين بأكثر من ثلاث مرات
وعدها التي لا يملك المسلمون مثلها يملأها الغرور والخيلاء وهي تحسب
ان محمداً وصحبه لا يثبتون لها ساعات قلائل وإذا بها تجد بينها وبين
المسلمين حاجزا لا يمكن اجتيازه الا بعد جهود شاقة لا سيما وأن ابطال
المسلمين قد وقفوا بالمرصاد بكل من تحدته نفسه باجتياز ذلك الحاجز،
فوقفوا امامه مذهولين بكل جموعهم وفرسانهم، فأخذوا يتراشقون بالنبال
والسهام ولا يجراون على العبور الى ماوراءهم وأفلح أبوسفیان بن حرب
في استجلاب بني قريظة الى جانب قريشى بعد حوار طويل واخذ ورد
واشتد الامر على النبي بعد انضمام اليهود الى الغزاة وخاف المسلمون على
ذرائعهم ونسائهم وجعل المنافقون يعيشون ويبثون الخوف والذعر في
المدينة، وقد وصف الله سبحانه وتعالى موقف المسلمين و المشركين في
ذلك اليوم بقوله، ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ
الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ
الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا * وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي
قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾^(١)،

وأستطاع النبي بحكمته وسلامته تديره أن يفرق بين الغزاة وبين قريظة بواسطة نعيم بن مسعود في حديث طويل لا يعيننا ذكره في هذا الكتاب، وضاق بقريش أمرها وخشى قادتها من تفكك تلك الجموع لو بقي الموقف عند هذا الحد من المناوشات التي لا تغنيهم شيئاً فأقبل عمر بن عبد ود العامري وكان يعادل الفأ من الابطال كما يصفه بعض المؤرخين وكان قد اشترك في معركة بدر الكبرى واصيب بجروح بالغة منعتة من الاشتراك في معركة احد كما يدعي الطبري في تاريخه وغيره.

واقبل يوم الخندق هو وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب ونوفل بن عبدالله، وضرار بن الخطاب بن مرداسي اقبلوا على خيولهم يهيتون جيشهم للحرب وتجهوا نحو الخندق ليصبروا منه الى جانب الاخر حيث يرابط المسلمون، وكان علي (عليه السلام) وجماعة من المسلمين يرابطون على الخندق في جهتهم، وظل القوم يداعبون خيولهم ويجبرونها على العبور لفترة من الزمن حتى اذا وجدوا مكانا يمكن للخيل ان تجتازه حركوها وعبروا الى جيش المسلمين واقبل علي (عليه السلام) ورابط في ذلك المكان حتى لا يقتحمه احد غيرهم، واقبل عمرو بن عبد ود يدعو المسلمين الى البراز، وكأنما كلماته كانت نداء الى الموت فلم يجبه أحد ولما سمعه علي ينادى ويتحدى المسلمين ترك مكانه واقبل مسرعاً نحو النبي وهو يقول، أنا له يا رسول الله فقال له النبي (صلى الله عليه وآله) معرضاً عنه: انه عمرو يا علي، وعاد الرجل يهتف بالمسلمين وهم سكوت لا يجيبون فتقدم علي (عليه السلام) يلتمس الاذن من النبي لمبارزته، فأمره

بالجلوس فأطاع، وبوده لو يجد سبيلا لحصول الاذن من النبي وعمرو يكرر النداء والتحدى للمسلمين، ويقول أين جنتكم التي تزعمون أن من قتل منكم دخلها أفلا يحب احد منكم أن يذهب اليها.

هذا والنبي ينظر في وجوه المسلمين ويحثهم على مبارزته وهم يرتعدون من الخوف وعاد عمرو بن عبد ود الى هتافه وجد ينشد كما في رواية الحلبي في سيرته والمفيد في ارشاده،

ولقد بححتُ من النداء بجمعهم هل من مبارز
أنني كذلك لم ازل متسرعاً نحو الهزاهز
ان الشجاعة في الفتى والجود من خير الفرائز

وأبى النبي أن يأذن لعلي وتمنى على المسلمين ان يبارزه احد منهم وقال من يبرز له وأنا الضامن على الله الجنة فلم يرتفع لاحد منهم فأذن عند ذلك لعلي (عليه السلام) وأعطاه سيفه والبسه درعه وعمامته ورفع كلتا يديه وقال: اللهم انك أخذت عبيدة يوم بدر وحمزة يوم احد وهذا علي اخي وابن عمي فلا تدعني فردا وانت خير الوارثين فبرز علي وهو يقول:

لا تعجلن فقد أتا مجيب صوتك، غير عاجز

ذونية وبصيرة والصدق منجى كل فائر

اني لا رجوان اقيم عليك نائحة الجنائز

من ضربة نجلاء يقي صيتها بعد الهزاهز

ووقف له عمرو بن عبد ود بتجبره وكبرايائه معتزا ببطولاته في

المعارك والحروب تياها بصيته الذاهب بين احياء العرب يرويه رواتهم في كل مكان.

وقف أمام علي (عليه السلام) مستهيناً به ينظره بعين ساخرة وفي نظره غرور وتيه وكبرياء ويقول له بعد ان انتسب اليه: لبيز الى غيرك يا ابن أخي من اعمامك من هو اشد منك، فاني اكره ان اقتلك لان اباك كان لي صديقاً وكنت له نديماً، وأضاف الى ذلك الرواة أن علياً قال له يا عمرو انك تقول: ما دعاني أحد الى ثلاث خصال الا وأجبتة ولو الى واحدة منها و أنا ادعوك الى الاسلام فضحك منه وقال دع عنك ذلك فاني لا اترك دين الاباء والأجداد، فقال ادعوك أن ترجع بهذا الجيش الذي معك، فقال لا ادع العرب تتحدث بفرارى، فعندها قال له امير المؤمنين (عليه السلام) اما اذا ابيت الاسلام والرجوع بمن معك فاني ادعوك الى البراز والحرب فقال له: يا ابن أخي لبيز الي من هو أسن منك فإني لا احب ان اقتلك، فقال له علي ولكني احب أن أقتلك فاستشاط غضبا ونزل عن فرسه وعقره وحمل علي علي وضربه على رأسه فاستقبلها بالدرقة فقدحها السيف ونفذ منها الى رأسه فشجه وبقي محتفظا بثباته وتوالت عليه الضربات وهو يحيد عنها، ثم كر عليه علي (عليه السلام) فضربه على حبل عاتقه ضربة كان دويها كالصاعقة ارتج له العسكران فسقط يخور بدمه وارتفعت غبرة حالت بينهما وبين الجيشين.

وجاء في بعض المؤلفات في سيرة النبي عن جابر بن عبد الله الانصاري أنه قال: كنت تبعت علياً حينما برز لعمر و بن عبد ود لانظر ما يكون من امرهما، فلما ضربه علي (عليه السلام) ثارت غبرة شديدة حالت

بيني وبينهما غير اني سمعت تكبيراً فكبر المسلمون عند ذلك وعلمت ان علياً قد قتله ولما قتل عمرو انهزم الذين كانوا معه واقتحمت خيلهم الخندق فتورطت بنوفل بن عبد بن المغيرة فرسه في الخندق فرماه المسلمون بالحجارة، فقال يا معشر العرب قتلة اجمل من هذه فنزل اليه علي (عليه السلام) فقتله كما جاء في روايه الطبري، وروى ابن هشام في سيرته عن الزهري أنه كان مع عمرو بن ود ولده سحل فقتله علي بن ابي طالب والحق بهيرة بن ابي وهب وهو راجل وهبيرة فارسي، فضربه بالسيف فأصاب فربوس سرجه فسقطت درعه، وانهزم عكرمة بن ابي جهل وضرار بن الخطاب وأصيب منه ابن عثمان بن عبدالله بسهم فمات منه كما روى ذلك الطبري ايضاً.

وقال المفيد في الارشاد^(١): أنه لما قتل علي عمرو بن عبد ود اقبل نحو رسول الله ووجهه يتهلل، فقال له عمر بن الخطاب هلا سلبته درعه فانه ليس في العرب مثلها، فقال اني استحييت أن اكشف سواته.

وجاء في مستدرك الصحيحين^(٢) عن سفيان الثوري بسنده عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال لمبارزة علي لعمر بن ود يوم الخندق افضل من اعمال امتي الى يوم القيامة.

وروى ذلك الخطيب البغدادي في المجلد الثالث عشر من تاريخه كما ذكره بنصه الرازي في تفسير سورة القدر وفي الدر المنثور للسيوطي

(١) الارشاد: ج ١ ص ٢٦٤.

(٢) مستدرك الصحيحين: ج ٣ ص ٣٢.

في تفسير قوله تعالى (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال) عن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر ان الله كفى المؤمنين القتال بعلي (عليه السلام).

وروى المفيد في ارشاده عن قيس بن الربيع عن أبي هارون السعدي أنه قال: أتيت حذيفة بن اليمان وقلت له: يا ابا عبدالله أنا لتحدث عن علي و مناقبه فيقول لنا اهل البصرة: انكم تفرطون في علي فهل أنت محدثي بحديث فيه، فقال حذيفة: يا أبا هارون وما تسألني عن علي (عليه السلام)؟ فوالذي نفسي بيده لو وضعت جميع اعمال اصحاب محمد في كفة الميزان منذ بعث محمد الى يوم القيامة ووضع عمل علي في الكفة الاخرى لرجح عمل علي على جميع أعمالهم، فقال هذا الذي لا يقام له ولا يقعد ولا يحمل، فقال حذيفة بالكع وكيف لا يحمل؟ وأين كان فلان وفلان وحذيفة وجميع اصحاب محمد يوم عمرو بن عبد ود العامري، وقد دعا الى البراز؟ فأجحم الناس كلهم ما خلا عليا، فانه برز اليه وقتله الله على يده والذي نفسي بيده لعمله ذلك اعظم اجراً من اعمال اصحاب محمد الى يوم القيامة^(١).

وكل باحث يراقب موقف المسلمين وتخاذلهم، والنبي يستنجد بهم ويحثهم على البراز وهم يرتعون من الخوف ويراقب موقف المشركين واعتدادهم ببطلهم الذي طبق حبشه الجزيرة بكاملها، وكانوا على ثقة في أن

هذا الشاب الذي فعل الاعاجيب في بدر وأحد سيلاقى مصيره المحتوم على يد فارسهم عمرو بن عبد ود العامري، وحتى المسلمين أنفسهم قد غلبهم اليأس وأيقن أكثرهم بأن علياً سيكون ضحية جديدة في عداد الضحايا الذين سبقوه على فارس قريش والعرب جمعاء وستكثر الضحايا منهم من بعده.

ولكن الله سبحانه بدد حدسهم وخيب آمال المشركين وأمانيتهم ووجد الجميع أنفسهم تجاه حدث لم يكن بالحسبان وتغيرت بعده المقاييس فأحس المسلمون بالانفراج وعاد الامل بالنصر الى نفوسهم من جديد، كما انهارت معنويات الغزاة بقتله وتضائلت آمالهم بالانتصار على محمد وأصحابه، فكل من راقب الموقفين من ناحية ما يترتب عليهما من الآثار والنتائج لا يكون بعيداً عن الواقع اذا وصف موقف علي (عليه السلام) في ذلك اليوم بما وصفه حذيفة وامثاله.

ولما نعى عمرو بن عبد ود الى اخته عمرة قالت من قتله ومن الذي اجترأ عليه، فقيل لها: قتله علي بن أبي طالب، فقالت لقد قتل الابطال وبارز الاقران وكانت ميته على يد كف كريم من قومه وانشأت تقول:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله	لكنت أبكي عليه دائم الابد
لكن قاتله من لا يعاب به	قد كان يدعى أبوه بيضة البلد
من هاشم في ذراها وهي صاعدة	الى السماء تميت الناس بالحسد
قوم أبا الله الا تكون لهم	كرامة الدين والدنيا بلا لدد
يا ام كلثوم ابكيه ولا تدعى	بكاء معولة حرى على ولد

وانطوت بقتله اسطورة بطل طوى على ذكره مع ما حواه من الشجعان والابطال كما انطوت النفوس على الحسد لهذا الشاب الذي لم يعد له مثل بين أبطال العرب، وقد رأوه في بدر يسبق جميع المسلمين الى رأس كبار قريش وأبطالهم وفي أحد ثبث كالجبل الراسخ امام ذلك السيل الذي تدفق القضاء على محمد بن عبدالله وقد فرعه كبار الصحابه وتركوه في تناول تلك الحشود لولا على الذي وقف في وجهها وردھا تتعثر بالخيبة والفشل وفي الخندق وحده الذي ادخل الرعب على الأحزاب وبدد آمالهم وأحلامهم بتلك الضربة التي اطاحت بفارس العرب، وكان النصر حليفه في جميع مواقفه وغزواته، والنبى (صلى الله عليه وآله) مع ذلك يكثر من الحديث عن فضله ومكانته عند الله حتى لقد حسده اكثر الصحابة وكانوا يتعبدون له الهنات ليلصقوها به، فلقد خرج النبى في بعض الايام ومعه الزبير يسيران فالتقيا بعلى في طريقهما فضحك له النبى وتبسم له على ومضى لشأنه فثقل على الزبير أن يرى لعلى هذه المكانة في نفس الرسول (صلى الله عليه وآله) فقال لرسول الله لا يدع ابن ابى طالب زهوه ولم يخف على النبى ما انطوت عليه نفس الزبير من وراء هذه الكلمات فرد عليه بقوله: انه ليس بزهو ولتقاتلنه وانت ظالم له.

ومضت الايام والاعوام الطوال ومرت أحداث وأحداث شهدھا الزبير ولم يغب عنها على (عليه السلام) ولا وقف الزبير في غير الاتجاه الذى اختاره لنفسه على (عليه السلام) وظلت نبوءة الرسول في طى الغيب الى ان

كانت المعركة التي قادها طلحة والزبير وعائشة عندما لاذ الناس بأئمة المؤمنين وولوه مقاليد السلطة هناك استدعاه علي (عليه السلام) والمعركة في أشد مراحلها وذكره بمقالة النبي (صلى الله عليه وآله) فعاد شبحها إلى ذهنه واهتز لها كيانه وكاد أن يتراجع عن الحرب لولا أن ولده عبدالله قد استحوذ عليه واختار له المصير السيئ الذي انتهى إليه.

ومهما كان الحال وبالرغم من أن المشركين بعد مقتل عمرو بن عبد ود ورفاقه قد أصيبوا بنكسه قاسية لم تكن في حسابهم من قبل وانهارت معنوياتهم إلا أنهم ظلوا يصطفون التجلد والثبات ويفكرون بمهاجمة المدينة مهما كانت النتائج ولكن الله سبحانه كان لهم بالمرصاد فأرسل عليهم الصواعق والرياح العاتية فاقتلعت خيامهم والفات قدورهم وبددت جمعهم فاستبد بهم الخوف والقلق واستعدوا للرحيل تاركين أكثر أمتعتهم في الصحراء لا يطعمون بغير النجاة وأنزل على رسوله الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾^(١).

الفصل التاسع

في الحديبية

وأما على (عليه السلام) في الحديبية

بعد ست سنوات من هجرة الرسول من مكة الى المدينة وفي شهر ذي القعدة من السنة السادسة كما يذكر المؤرخون وبعد أحداث وحروب دامية مع قريش واليهود حقق فيها النبي (صلى الله عليه وآله) تلك الانتصارات التي دفعت بالدعوة أشواطاً بعيدة الى الامام وأصبح المسلمون فيها من أعظم القوى الضاربة في الجزيرة واتجه أكثر عرب الحجاز الى الدين الجديد، هذا والمسلمون يتحرقون لزيارة الكعبة ويتذكرونها كلما وقفوا في صلاتهم متجهين نحوها، في ظل هذه الظروف بالذات عزم النبي (صلى الله عليه وآله) على اداء فريضة الحج بأمر من الله سبحانه، وسرى نبأ هذه الرحلة في أنحاء المدينة وجوارها كالبرق الخاطف واتخذ النبي تدابير تتسم بالعمق وبعد المدى، فدعا جماعة من غير المسلمين ليكونوا معه في تلك الرحلة وارسل رسله الى العرب من مختلف القبائل ليظهر لهم أن الذين يحاربونه من قريش لا يحاربونه لاجل هبل واللات والعزى بل لانه يحارب الاستغلال والتسلط على الضعفاء والفقراء ويدعو الى المساواة في

جميع الحقوق والواجبات.

وكان يتمنى أن يدخل مكة معتمرا في الا شهر الحرم بأكبر عدد ممكن من المسلمين وغيرهم، ولكن المؤلفين في سيرة الرسول يؤكدون بأن العرب الذين كانوا لا يزالون على شركهم لم يتجاوبوا معه وخرج بمن معه من المسلمين وكانوا الفا واربعمئة أو اكثر من ذلك بقليل ومعهم السيوف في اغمادها واعلن في اكثر انحاء الجزيرة بأنه لا يريد حربا ولا قتالا، وجاء في رواية المفيد في الارشاد أنه اعطى لوائه لعلي (عليه السلام) كما كان يعطيه في أكثر غزواته وحروبه وساق معه من الهدى سبعين بدنة وخرج من المدينة يتقدمهم على ناقته الغضوب ومعهم السيوف في اغمادها ومضى في طريقه باتجاه مكة، ولما بلغ خبره قريشا اجتمعت كلمتهم على منعه من دخول مكة مهما كلفهم ذلك من جهد وتضحيات وأرسلوا خالد بن الوليد على رأس جماعة من فرسانهم ليقطع عليه الطريق ولما بلغه موقفهم قال: يا ويح قريش لقد اكلتهم الحرب ماذا عليهم لوخلوا بيني وبين العرب فان هم اصابوني كان الذي ارادوه وان اظهرني الله عليهم دخلوا في السلام وافرين فما تظن قريش فوالله لا ازال اجاهد على الذي بعثني الله به حتى الموت.

وجاء في رواية بن اسحاق أن قريشاً اخطرتة أن يعدل عن الطريق المؤدى الى مكة وانحرف به رجل من اسلم الى طريق وعدة المسالك وخرجوا منها الى ثنية المراد مهبط الحديدية، ورجعت قريش بعد ذلك الى مكة لتدافع عنها فيما لو اراد محمد الدخول اليها من تلك الجهة وحاولت

أكثر من مرة التحرش بالمسلمين ومهاجمتهم بقيادة خالد بن الوليد ولكن علياً وجماعة من المسلمين الأشداء كانوا يصدون تلك الغارات ويفوتون على قريش جميع محاولاتها.

ويقول ابن اسحاق بروايته عن ابن عباس إنها أرسلت خمسين رجلاً من أبطالها الأشداء ليصيبوا جماعة من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) فأسرهم المسلمون وجأوا بهم إلى النبي فأطلق سراحهم.

وبقي النبي مصراً على دخول مكة كما أصرت قريش على منعه وبعد أن رأت أن أصحابه مضمون على القتال فيما لو اضطرتهم قريش لذلك وكلهم يفتدون محمداً بالمهج والأرواح وادركت قريش أنها لا تستطيع القضاء على محمد إلا بعد القضاء على من معه من المسلمين، وذلك يكلفها ما لا تطيق حمله، لا سيما وقد بلغها أن المسلمين قد بايعوا النبي (صلى الله عليه وآله) في ذلك الوادي تحت الشجرة على الموت فيما لو أرادت قريش القتال وإلى تلك البيعة تشير الآية التالية كما رجح ذلك جماعة من المفسرين ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾^(١).

وخطرت قريش بعد ذلك الموقف الحازم من محمد وأصحابه وكان آخر من أرسلوه إلى النبي في الحديبية سهيل بن عمرو وحويطب من بني عبد العزى وجرت محاولات كثيرة بين الطرفين وكان سهيل يراجع قريشا

خلالها فيما يدور بينه وبين النبي من عروض واقتراحات، ثم يعود اليه ويبدو مما جاء في صحيح الترمذي وفي كنز العمال وخصائص النسائي وتاريخ بغداد أن المفاوضة لم تكن بخصوص دخول النبي لمكة في ذلك العام او خلافه بل تناولت اموراً اخرى لصالح المسلمين كما طالبت قريش بأمور لصالحها، ففي صحيح الترمذي^(١) بسنده الى ربيع بن خراش أن علي بن ابي طالب قال: لما كان يوم الحديدية خرج الينا ناس من المشركين فيهم سهيل بن عمرو فقالوا يا محمد خرج اليك ناس من أبنائنا واخواننا وارقائنا وليس لهم فقه في الدين وانما خرجوا فرارا من اموالنا وضياعنا فارددهم الينا فقال: اذا لم يكن لهم فقه في الدين كما تزعمون سنفقههم فيه وأضاف الى ذلك يا معشر قريش لتنتهن أو يبعثن الله عليكم من يضرب رقابكم بالسيف قد امتحن الله قلبه بالايمان، فقال له ابو بكر وعمر والمشركون من هو ذلك الرجل يا رسول الله، فقال هو خاصف النعل وكان قد اعطى نعله لعلى يخصصها له وروى هذا الحديث بنصه النسائي في خصائصه والحاكم في مستدركه، ولكن رواية النسائي والحاكم تنص على أن النبي حينما طلب منه المشركون ارجاع من فروا اليه من غلمانهم وابنائهم التفت الى ابي بكر وعمر وقال لهما ما تقولان، فقالا صدق الرجل يعنون سهيل بن عمرو، فتغير وجه النبي والتفت الى الوفد وقال لن تنتهوا يا معشر قريش حتى يبعث الله عليكم رجلا قد امتحن الله قلبه بالايمان يضرب رقابكم،

(١) صحيح الترمذي: ج ٥ ص ٦٣٤ وراجع أيضاً العمدة لابن بطريق: ص ٢٢٦ وكنز العمال

للمتقي الهندي: ج ١٣ ص ١٠٤ وينايع المودة للقندوزي: ج ١ ص ١٨٦.

فقال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله فقال عمر أنا هو يا رسول الله، فقال لا ولكنه خاصف النعل فالتفتا وإذا بعلى بيده نعل لرسول الله يخصفها له.

ويدعي الفيروزآبادي في كتابه فضائل الخمسة من الصحاح الستة ان هذا الحوار رواه الكثيرون من المؤرخين والمحدثين وأشار الى مصادرهم في مجاميع الحديث السنية.

وبعد ان تم الاتفاق بين الطريفن على بنود الصلح أمر النبي (صلى الله عليه وآله) علياً أن يدونها في كتاب خاص وقال له: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم. فاعترضه سهيل بن عمرو وقال لا نعرف من هو الرحمن الرحيم واكتب مكانها باسمك اللهم، فوافق النبي على ذلك وقال له: اكتب هذا ما تصالح عليه محمد رسول الله فاعترضه سهيل بن عمرو وقال: لو كنا نعرف بأنك رسول الله لما قاتلناك ولكن اكتب اسمك واسم ابيك فأمره النبي أن يمحو كلمة رسول الله، فقال له علي: والله لا أمحوها فأخذ الكتاب منه ومحاها بيده.

كما جاء في رواية البخاري، وأضاف الى ذلك النسائي في خصائصة أن النبي قال لعلي: اما أن لك مثلها وستأتيها وأنت مضطر لذلك كما روى ذلك ابن أبي الحديد في شرح النهج^(١).

وكانت هذه الكلمة منه من جملة الأدلة التي لا تحصى على نبوته ووقع ما أخبر به بعد خمسة وثلاثين عاماً او تزيد حينما تم الاتفاق على

(١) شرح ابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٢٣٢ وراجع أيضاً السنن الكبرى للنسائي: ج ٥ ص ١٦٨ ح

٨٥٧٦ وفي خصائصه: ص ١٤٩ والمناقب للخوارزمي: ص ١٩٣.

الهدنة بينه وبين معاوية في صفين ولما شرع الكاتب في تسجيل بنود الاتفاق قال له امير المؤمنين اكتب هذا ما تفق عليه امير المؤمنين ومعاوية فقال له وفد معاوية لو كنا نعلم بأنك امير المؤمنين لما قاتلناك، ولكن اكتب اسمك واسم اييك فأمره علي (عليه السلام) بمحوها فأمتنع عبد الله بن العباس من ذلك فأخذ الكتاب منه ومحاها بيده، ثم قال لقد اخبرني بذلك رسول الله في صلح الحديبية وأنا اكتب كتاب الصلح بينه وبين قريش.

ومهما كان الحال فقد رجع النبي من الحديبية على ان يعود الى مكة في العام القادم هو وأصحابه وتخليها له قريش ثلاثة ايام ونزلت عليه الاية، (انا فتحنا لك فتحاً مبيناً) وهو في طريقه الى المدينة.

وجاء في سيرة ابن هشام^(١) عن الزهري أنه قال: ما فتح في الاسلام فتح قبله كان اعظم منه فلقد آمن الناس بعضهم بعضاً ولم يكلم أحد في الاسلام يعقل شيئاً الا دخل فيه ولقد دخل في تلك السنتين في الاسلام اكثر ممن دخل فيه منذ بعث رسول الله، واعترفت قريش بالاسلام كدين بين الاديان التي كانت منتشرة في الجزيرة وقوة بين القوى لم يعد من سبيل إلى ابادتها ومكافحتها بعد ان كانت ترى محمداً خارجاً على دين الاباء والاجداد وبقوا على عاداتهم واعرافهم ويقولون لا يستحق البقاء والحياة في هذه الدنيا.

واما علي (عليه السلام) في خيبر، لقد اطمأن النبي (صلى الله عليه

وآله) على مصير الدعوة من ناحية قريش والعرب الذين كانوا لا يزالون على الشرك بعد صلح الحديبية الى حدماء، وكانت نتائج ذلك الصلح لصالح المسلمين كما ذكرنا فلقد اقبل على الاسلام خلق كثير على حد تعبير بعض الرواة، وكان العرب قد ادركوا أن قريشاً على عتوها وقوتها لقد فشلت في استعمال القوة معه ولم يكن صلح الحديبية بينوده وشروطه الا استسلام للامر الواقع، ومن غير البعيد ان تكون هذه الظاهرة من ابرز الاسباب لا قبال العرب على الاسلام في ذلك العام.

وبالرغم من اطمئنان النبي (صلى الله عليه وآله) على مصير الدعوة وارتياحه لسيرها، فتبقى يراقب اليهود الذين كانوا خارج المدينة ويخشى من غدرهم ويضع في حسابه جميع الاحتمالات ولم يستبعد أن تحركهم الدول المتاخمة لحدود الحجاز على الغدر وتمدهم بالقوة ليثأروا لاخوانهم بني قريظة والنضير وقينقاع، وهم مفطورون على الغدر ونقض العهود كما يؤكد ذلك تاريخهم الطويل.

وتنص اكثر المصادر على أنه لم يلبث بالمدينة بعد رجوعه من الحديبية اكثر من شهر حتى أمر اصحابه أن يتجهزوا لغزو خيبر في أسرع وقت ممكن، وخلال ايام معدودات اتم المسلمون استعدادهم فخرج من المدينة في الف وستماية مقاتل واعطى رايته لعلي امير المؤمنين (عليه السلام) ومضى يجد السير باتجاه خيبر، وكانت من المدن الكبرى ذات الحصون والقلاع المنيعة فدخل مشارفها في جوف الليل ونزل بأصحابه ينتظر الصباح وفي الصباح جمعهم وخطب فيهم وأوصاهم بالصبر

والاخلاص وخرج اليهود في فجر ذلك اليوم الى نخيلهم ومزارعهم فوجدوا المسلمين على ابواب مدينتهم، فولوا راجعين يحملون لاهلها الخبر وجعلوا يعدون العدة لمقابلة محمد (صلى الله عليه وآله) واصحابه.

ويظهر من بعض المؤلفات في السيرة أن اليهود كانوا يتوقعون غزو محمد لهم وقد تعاقدوا مع غطفان لتجدهم اذا حصل شيء من هذا النوع فاتصلوا بها على الفور وهبت هي لنصرتهم ولكن المفارز التي وصفها النبي (صلى الله عليه وآله) حول خيبر حالت بينهم وبين ما يريدون.

وفي رواية ثانية ان غطفان بعد أن خرجت لنجدة اليهود سمعوا الصباح في احيائهم فرجعوا مخافة ان يكون جيش النبي (صلى الله عليه وآله) قد داهم منازلهم واحيائهم، ومهما كان الحال فلقد كان يهود خيبر من اكثر يهود الحجاز عدداً وامنعهم حصونا وفيهم من الابطال والشجعان ما ذاع صيخته في انحاء الجزيرة بكاملها كذا فان قريشا كانت تتطلع الى نتائج هذه المعركة والامل يراودها في أن تكون الدائرة على المسلمين فيها، وكما ذكرنا فما أن سمع اليهود بأخبار المسلمين حتى وقفوا صفاً واحداً وأدخلوا نسايتهم وذرايرهم واموالهم الحصون المنيعة التي كانوا اعدوها لمثل هذه الحالات ونشبت المعارك الضارية بينهم وبين المسلمين حول الحصون واستبسل الفريقان وبقي القتال أياماً على شدة بين الفريقين وقتل فيها محمد بن مسلمة برحى القاها عليه احد اليهود من أعلى الحصن.

وجاء في سيرة ابن هشام وغيرها أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان

يولى في كل يوم رجلا من المسلمين قيادة المعركة ويرجع خائبا.

ومضى يروى عن ابن اسحاق بسنده الى ابي سلمة بن عمرو الاكوع أن النبي بعث برأيته احد الصحابة الى بعض حصون خيبر فرجع ولم يصنع شيئاً وفي اليوم الثاني بعث آخر من الصحابه فرجع خائباً كصاحبه.

وروى الطبرى عن بريدة الأسلمي أنه لما خرج الصحابي بالراية ونهض معه الناس انكشف هو واصحابه ورجعوا الى رسول الله وكل منهم يتهم الاخر بالجبن واستمر الحال على ذلك كلما اعطى الراية لاحد رجع بدون ان يصنع شيئاً ولما بلغ الجهد بالمسلمين ونفذ اكثر زادهم قال النبي بصوت رفيع يسمعه اكثر المسلمين.

والله لاعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، فتناولت لذلك الاعناق ورجا كل واحد ان يكون هو صاحبها، وجاء في رواية عن عمر بن الخطاب أنه قال: انى ما احببت الامارة الا ذلك اليوم وتمنيت أن اعطى الراية بعد أن سمعت ذلك من النبي كما نص على ذلك ابن كثير في البداية والنهاية (ج ٧ ص ٣٥١).

وقال العلامة الحلبي في كتابه نهج الحق: جاء في مسند احمد وصحيح مسلم والبخارى^(١) من طرق متعددة والجمع بين الصحاح الستة عن عبدالله بن بريدة وذكر الحديث بتمامه وعقب الفضل بن روزبهان على قول

(١) حديث الراية رواه جميع المسلمين، منهم: احمد بن حنبل في مسنده: ج ٥ ص ٣٣٣ والبخاري في صحيحه: ج ٤ ص ٢٠ وفي فضائل الصحابة للنسائي: ص ١٥ وفي صحيح ابن حبان: ج ١٥ ص ٣٧٧ والطبراني في المعجم الكبير: ج ٦ ص ١٥٢ وابن حجر والهيتمي وابن عبدالبر والمتقي الهندي والمناوي و...

العلامة الحلبي بقوله ان حديثه من الصحاح وهذا من الفضائل الخاصة بعلي (عليه السلام) لا يكاد يشاركه فيها أحد وكم له من فضائل مثل هذه.

وكان علي (عليه السلام) قد اصيب برمد وقيل أنه تخلف في المدينة من شدة الالم، ولما استمر به الرمد ركب ناقته والتحق بالنبي ووصل خيبر في تلك الساعات الحرجة، وقيل وهو الاصح وعليه اكثر المؤرخين أنه خرج مع النبي ومعه الراية وبعد خروجه اصيب بالرمد.

ومهما كان الحال فلما فشل المسلمون في معاركهم مع اليهود التي استمرت اياما استدعى النبي علياً وكان أرمد العين فمسح علي عينه بيده ودعا له فبرئت عيناه من ساعته وقال له خذ ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك وقاتلهم حتى يقولوا لا إله الا الله محمد رسول الله، فاذا فعلوا ذلك منعوا منك دمائهم وأموالهم، قال سلمة بن الأكوع فاطلق علي يهرول هرولة ونحن خلفه نتبع اثره حتى ركز الراية بين حجارة مجتمعة تحت الحصن، فأطلع اليه يهودي من رأس الحصن وقال من انت قال انا علي بن ابي طالب، فقال اليهودي علوتم وما أنزل علي موسى وخرج اليهود من حصونهم يتقدمهم أبطالهم الاشداء وفيهم الحارث أخو مرحب وهو من شجعانهم المعروفين فحمل بمن معه علي المسلمين فوثب عليه علي وضربه بسيفه فخر صريعاً، ثم حمل بمن معه علي اليهود ففترقوا بين يديه وأنخذلوا بعد مقتل الحارث وجماعته منهم وفرروا الى داخل الحصن فعز علي قائدهم مرحب مصرع اخيه وهزيمة من كان معه واخذه الحماس خرج من الحصن مزهوا بشجاعته وبطولاته وعليه درعان وقد تقلد بسيفين ومعه رمحه وهو

يقول:

قد علمت خيبر اني مرحبا شاك السلاح بطل مجرب
اذا السيوف اقبلت تلتهب اطعن أحيانا وحيننا اضرب
فبرز اليه على وهو يقول:

انا الذى سمئنى امى حيدرة كليث غابات شديد قسورة

اكيلكم بالسيف كيل السندره

فاختلف هو وعلى ضربتين، فضربه على بسيفه فقد الحجر الذي كان قد ثقبه ووضع على رأسه مكان البيضة وقد المغفر وشق رأسه نصفين حتى وصل السيف الى اضراسه، وكان لضربه كما تصفها اكثر المصادر التاريخية دوى كالصاعقة، ولما ابصر اليهود ما حل بفارسهم مرحب ولوا منهزمين واستولى المسلمون على الحصن بما فيه.

وجاء في سيرة ابن هشام^(١) عن ابن اسحاق بسنده عن أبي رافع مولى رسول الله أنه قال خرجنا مع علي بن أبي طالب حين بعثه رسول الله برأيته فلما دنا من الحصن خرج اليه اهله فقاتلهم وضربه رجل من اليهود بالسيف فاتقاه بترسه فوقع الترس وظل بيده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه، ثم القاه من يده حين فرغ، ومضى الراوى يقول: وقد رأيت بنفسى سبعة وأنا ثامنهم نجهد أن نقلب ذلك الباب فلم نستطع، وأضاف الى ذلك هيكل في كتابه حياة محمد، ان علياً بعد أن أخذ الباب بيده مكان الترسى ظل يقاتل حتى

(١) سيرة ابن هشام: ج ٣ ص ٧٩٨.

انهزم اليهود وكانوا قد حفروا خندقاً حول الحصن، فجعل الباب الذي بيده قنطرة على الخندق واجتاز المسلمون عليه الى داخل ابنة الحصن وذلك بعد ان قتل قائدهم.

وقد روى هذا الحديث جمع من علماء المسلمين منهم: ابن دحلان والطبرى وابن سعد وصاحب السيرة الحلبية وابن عبد البر في الاستيعاب وابن كثير في البداية واليعقوبي في تاريخه واعداه أكثر المؤرخين في كتبهم من الأحاديث المتواترة الذي لا تقبل التشكيك.

وروى أكثر المؤرخين ان الباب الذي تترسى به كان طوله ثمانية اشبار، وأنه اقتلع باب الحصن بيده وكانت صخرة طولها اربعة اذرع في عرض ذراعين وسمك ذراع فرمى به علي بن أبي طالب خلفه ودخل الحصن ودخله المسلمون، كما روى حديث الراية وما نتج عن اعطائها الفيروزآبادى في فضائل الخمسة عن صحيح مسلم والبخارى والترمذى وابن ماجه والنسائي وغيرهم.

ويبدو للمتبع في مجاميع الحديث والتاريخ بأن حديث الراية ومواقف على في خيبر مع مرحب وغيره وقلعه للباب كل ذلك من المتفق عليه بين المؤرخين، لم يخالف بشئ منه سوى ان هشاما في سيرته حيث نسب قتل مرحب الى محمد بن مسلمة، اعتمادا على سيرة ابن اسحاق ومغازى الواقدي واعتمد هذان على رواية موسى بن عقبة المتوفى ١٤٥ عن الزهرى وعلى رواية عبدالله بن سهل التي نسبها لجابر بن عبدالله.

وجاء في تهذيب التهذيب أن عبدالله بن سهل أكثر مروياته عن

عائشة وهي المصدر الوحيد تقريبا كما نص على ذلك ابن حجر في المجلد الثاني عشر من تهذيبه واخذ الرواية من عائشة ونسبها الى جابر بن عبدالله لتكون أقرب الى التصديق ومواقف السيدة عائشة من على لا يجهلها احد، وأما موسى بن عقبة فقد اسندها للزهري والزهري كان عميلا مقرباً للامويين ومنحرفا عن على ابن أبي طالب (عليه السلام).

ومهما كان الحال فيكفي هذه الرواية عيبا معارضتها الروايات التي وصفها أكثر المؤرخين والمحدثين بالتواتر، ولم اجد من اخذ برواية موسى بن عقبة من المؤمنين المحدثين سوى هيكل في كتابه حياة محمد فلقد بنى عليها وتجاهل غيرها، وليس ذلك بغريب عليه وعلى امثاله ممن يحاولون التقليل من خطر مواقع على (عليه السلام).

وقد وصف الاستاذ عبدالرحمن بدوي في كتابه محمد رسول الحرية مواقف على في خيبر وبطولاته وصفا دقيقا، فقال أن النبي (صلى الله عليه وآله) اعطى الراية لبعض الصحابة على التوالى ولكنهما فشلا في اقتحام الحصن ورجعوا خائبين فدعا رسول الله علياً وأعطاه الراية فخلع على درعه ليكون خفيف الحركة وأمره بأن يدعوهم الى الاسلام، فان لم يجيبوا اليه قاتلهم ومضى يقول له: فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس.

وتقدم على فدعاهم الى الاسلام فسخروا منه وخرج اليه الحارث احد شجعانهم فصرعه على ثم خرج اليه آخر فألغاه صريعا على وجه الرمال وتعالى من المسلمين صيحات السخرية من اولئك الشجعان الذين كان

اليهود يعتزون ببطولاتهم، فخرج اليه مرحب سيد فرسانهم ببطاء وكبرياء وثقة مطمئنة مهيبا ضخماً بيده حربة مخيفة ذات ثلاثة رؤوس وكل جسده الفارع الشاهق في الزرد والحديد وليس في كل بدنه ثفرة ينفذ منها سيف او رمح.

وتقدم الى على بقامته المعتدلة بلا درع ولا رمح وفي يده السيف وحده فتوقع المسلمون واليهود جميعاً أنها نهاية على، ولكنه استطاع ان يحسن الاستفادة من تخففه من الدروع والزرد وترك مرحباً يتقدم منه بدرعه وزرده وحرته ففز في الهواء متفاد يا حربة مرحب، ثم اقتحم وأهوى بكل قوته على رأس مرحب بالسيف فانفلق الحديد وسقط سيفه على الجمجمة فقدتها نصفين وسقط مرحب وسط ذعر اليهود وصيحات النصر ترتفع من معسكر المسلمين بالهتاف والتكبير.

واندفع هو ومن معه الى الباب يد كونه بكل طاقاتهم حتى اقتحموه، واليهود الذين اذهلهم قتل مرحب يفرون من بين يديه من حصن الى حصن ولم تدم المقاومة طويلاً حتى استسلم اليهود وترك النبي لهم حياتهم بالشروط التي تحدثنا عنها سابقاً.

وفي طريق النبي الى المدينة سلك الطرق المؤدية الى وادي القرى وهي قرية يسكن جماعة من اليهود ولكنهم لم يكونوا يملكون العدد والعتاد الذي يملكه يهود خيبر، ومع ذلك فلم يستسلموا للمسلمين وتجهزوا لقتالهم فعياً رسول الله اصحابه كما جاء في رواية الواقدي واعطى لوائه لسعد بن عباد الانصاري ودعاهم الى الاسلام وحذرهم من المصير الذي

انتهى اليه يهود خيبر ولكنهم رفضوا الدخول في الاسلام وأصروا على المقاومة وبرز منهم رجل وجعل يتحدى المسلمين فبرز اليه الزبير بن العوام وقتله ثم برز احد ابطالهم الاشداء فقتله على (عليه السلام) وجعل يبرز الواحد تلو الاخر ويقتله على حتى قتل منهم احد عشر رجلا وكما قتل منهم رجلا يدعوهم الى الاسلام وهم يرفضون واستمر القتال بينهم طيلة ذلك اليوم وبدخول اليوم الثاني استسلموا فاستولى النبي (صلى الله عليه وآله) على أموالهم وامتعتهم التي استخدموها في المعركة وترك لهم الارض والنخيل يعملون فيها بنصف ناتجها كما فعل مع يهود خيبر.

وانتهت معارك النبي (صلى الله عليه وآله) مع اليهود بتلك الانتصارات والمكاسب المادية والمعنوية كغيرها من المعارك التي انتصر فيها الاسلام على الشرك والحق على الباطل وكان الفضل الأول للنبي (صلى الله عليه وآله) في وضع الخطط الحكيمة التي كان يعدها في تلك المعارك ومن بعده لعلي (عليه السلام) الذي كان ينقض على ابطالهم وجنودهم كالاغصير التي لا يثبت لها شئ.

ومما ظهر من فضله (عليه السلام) في ذلك اليوم وشجاعته ما رواه الشيخ الطبرسي في كتاب اعلام الوري^(١) من كتاب المعرفة لابراهيم بن سعيد الثقفي عن الحسن بن حسين العرني وكان صالحاً عن كادح بن جعفر

(١) اعلام الوري بأعلام الهدى: ج ١ ص ٣٦٦ وراجع أيضاً أمالي الصدوق: ص ٨٦ ومناقب ابن المغازلي ص ٢٣٧ وذكر جزءاً منه الخوارزمي في مناقبه: ص ٢٢٠ والهشمي في مجمع الزوائد: ج ٩ ص ١٣١.

البجلي عن مسلم بن يسار عن جابر بن عبد الله الانصاري قال: لما قدم علي (عليه السلام) على رسول الله (صلى الله عليه وآله) بفتح خبير قال له رسول الله (صلى الله عليه وآله) (لولا أن تقول فيك طوائف من أمتي ما قالت النصراني في عيسى بن مريم لقلت فيك اليوم قولاً لا تمر بملأ الأخذوا من تراب رجلك ومن فضل طهورك يستشفون به ولكن حسبك ان تكون مني وأنا منك ترثني وأرثك، وانك مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، انك تبرئ ذمتي وتقتل علي سنتي وأنت في الآخرة أقرب الناس مني، وأنت غداً على الحوض خليفتي وأنت أول من يرد عليّ الحوض غداً وأنت أول من يكسى معي وأنت أول من يدخل الجنة من أمتي وان شيعتك على منابر من نور مبيضة وجوههم حولي اشفع لهم ويكونون في الجنة جيرانني، وأن حربك حربى وان سلمك سلمى وأن شرك سرى وان علانيتك علانيتى وأن سريرة صدرك كسريرة صدرى وأن ولدك ولدى وأنت تنجز عدتى وان الحق معك وأن الحق على لسانك وفي قلبك وبين عينيك وان الايمان مخالط لحمك ودمك كماخالط لحمى ودمى، وأنه لا يرد على الحوض مبغض لك ولن يغيب عنه محب لك غداً حتى يرد الحوض معك) فخرج علي (عليه السلام) ساجداً ثم قال: الحمد لله الذى من عليّ بالاسلام وعلمني القرآن وحببني الى خير البرية خاتم النبيين وسيد المرسلين احساناً منه إلیّ وفضلاً منه عليّ فقال له النبي (صلى الله عليه وآله) عند ذلك لولا انت يا علي لم يعرف المؤمنون بعدي.

وأما قول الرسول (صلى الله عليه وآله) لعلي يا علي انك اعطيت ثلاثة

لم أعط قلت يا رسول الله ما أعطيت، فقال أعطيت صهراً مثلي ولم أعط،
 وأعطيت زوجتك فاطمة ولم أعط وأعطيت الحسن والحسين ولم أعط عن
 الحسن بن أحمد المالكي عن أبيه عن إبراهيم عن الرضا عن أبيه (عليه
 السلام) قال: رسول الله (صلى الله عليه وآله) يا علي أنت المظلوم من بعدى
 فويل لمن ظلمك واعتدى عليك وطوبى لمن تبعك ولم يختر عليك يا علي
 أنت المقاتل بعدى فويل لمن قاتلك وطوبى لمن قاتل معك يا علي أنت
 الذي تنطق بكلامي وتتكلم بلساني بعدى وانت امامها وخليفتي عليها، من
 فارقك فارقنى يوم القيامة ومن كان معك كان معى يوم القيامة يا علي أنت
 أول من آمن بى وصدقنى وأنت أول من اعاننى على امرى وجاهد معى
 عدوى، وأنت أول من صلى معى والناس يومئذ في غفلة الجهالة يا علي
 أنت أول من تنشق عنه الأرض معى وأنت أول من يبعث معى، وأنت أول
 يجوز الصراط معى وإن ربى عزوجل أقسم بعزته وجلاله أنه لا يجوز عقبه
 الصراط الا من معه براءة بولايتك وولاية الأئمة من ولدك وأنت أول من يرد
 حوضى تسقى منه أوليائك وتذود عنه أعدائك وأنت صاحبى إذا قمت
 المقام المحمود، وتشفع لمحبينا فتشفع فيهم وأنت أول من يدخل الجنة
 وبيدك لوائى، وهو لواء الحمد وانت صاحب شجرة طوبى في الجنة أصلها
 في دارك وأغصانها في دور شيعتك ومحبيك^(١).

(١) راجع: بحار الأنوار للمجلسي: ج ٣٨ ص ١٤٠ وبشارة المصطفى لمحمد ابن علي الطبري:

الفصل العاشر

دور علي في فتح مكة

لقد تحدث التاريخ عن الدور الذي كان لعلي (عليه السلام) في صلح الحديبية وأنه هو الذي كتب بنود الاتفاق بخطه في نسختين وكانت احدهما مع قريش والثانية مع النبي، وقد التزم النبي من جانبه بكل بنود الاتفاق غير ان قريشا كانت تود علي ما يبدو نقض معاهدة الحديبية وقد وجدت في انسحاب المسلمين من معركة مؤتة منهزمين فاستخفت بقوتهم وجرها هذا الاستخفاف الى تحريض بني الدؤل من بني بكر حلفائها على خزاعة حليفة النبي (صلى الله عليه وآله) وكان عهد المودعة قد نص علي دخول خزاعة في حلف النبي (صلى الله عليه وآله) واستطاع بني الدؤل ان يتغلبوا على خزاعة بمساعدة قريش فقتلوا منهم وشددوا عليهم الحصار فذهب وفد منهم الى النبي لأبلاغه بما جرى، ولما بلغه ما جرى عليهم قال كلمته المشهورة، لا نصرت ان لم أنصر خزاعة وهي الكلمة التي تحدد موقف الاسلام من الظلم والظالمين ومن العهود والمواثيق التي تكون لخير الناس.

وعزم النبي (صلى الله عليه وآله) بعد ان استخفت به قريش ونقضت

من جانبها بنود الاتفاق وجعل يستعد لذلك وهو يحرص أذ لا يذاع هذا الامر ويتسرب الخبر من حاطب بن بلتعة فإنه أرسل كتابا الى قريش مع امرأة من مزينة يخبرها فيه بما عزم عليه النبي وأوصاها بالكتمان، فأخذت الكتاب ووضعت في رأسها ولفته بشعرها، وقبل خروجها من ضواحي المدينة نزل الوحي على النبي وأخبره بأمرها، فأرسل علياً والزبير وأمرهما بأن يجدا السير في طلبها قبل ان تفوتهما فخرجا مسرعين وادركاها على اميال من المدينة، فأسرع الزبير وسألها عن الكتاب فأنكرته وبكت فرق لها الزبير ورجع عنها ليخبر علياً بسرائرها وقال له ارجع لنخبر الرسول بذلك، ولكن علياً يعلم بأن رسول الله لا ينطق عن الهوى فقال للزبير أن رسول الله يخبرنا بانها تحمل كتاباً الى اهل مكة، وتقول أنت بانها لا تحمل شيئاً، ثم اخترط سيفه وأقبل عليها وقال: والله أن لم تخرجي الكتاب لا كشفنك فلما رأت منه العزم والتصميم اخرجته من عقيصتها ودفعته اليه فرجع به الى النبي واستدعى النبي كاتب الكتاب بعد أن جمع المسلمين فدخل عليه يرتعش من الخوف فأنبه وحذره من العودة بمثل ذلك، وأنزل الله بهذه المناسبة الآية.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾^(١) ولما أتم النبي (صلى الله عليه وآله) تجهيز جيشه خرج من المدينة في عشرة الاف مقاتل واعطى

لوائه لعلى (عليه السلام) ووزع الرايات على زعماء القبائل ومضى يقطع الطريق باتجاه مكة وفي مر الظهران جمع الطريق ابا سفيان والعباس ابن عبدالمطلب، وكان أبو سفيان قد خرج من مكة يتجسس اخبار المسلمين فتشفع العباس به عند النبي فعفا عنه وتجاهل جميع سيئاته وجرائمه وحتى موقفه من عمه الحمزة ودعا الى الاسلام وقال ويحك يا ابا سفيان ألم يأن لك أن تعلم اني رسول الله فقال بأبي وامى ما احلمك وأكرمك واعظم عفوك: اما هذه فو الله أن في النفس منها شيئاً فقال له العباس ويحك قل لا اله الا الله محمد رسول الله قبل أن تقتل كما جاء في رواية الطبرى واكثر المؤرخين، فقالها بعد ان ادرك سوء مصيره ان ظل مصراً على موقفه، وان المتتبع لتاريخه يخرج وهو على يقين، من الخرافه وانكاره لنبوت محمد (صلى الله عليه وآله).

ودخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) مكة بذلك الجيش الذي لم تعرف له مكة نظيراً في تاريخها الطويل ولواؤه بيد على بن ابي طالب وأعلن العطف العام وهو على ابواب مكة الا عن أحد عشر سبعة من الرجال وأربع من النساء فمضى على (عليه السلام) يجد في طلب اولئك الذين أهدر النبي دمائهم فقتل منهم جماعة والتجأ عبدالله بن ابي ربيعة والحرث بن هشام الى بيت اخته ام هاني بنت ابي طالب فاستجارا بها، ودخل على في طلبهما وهو مدجج بالحديد فلم تعرفه، فقالت له انا بنت عم رسول الله واخت على بن ابي طالب فأسفر لها عن وجهه فاعتنقته والدموع تنهمر من عينيها ولما نظر اليها شهر عليهما سلاحه فحالت بينه وبينهما وقالت له انت

أخي وتضع معي ذلك اني قد اجرتهما اذا اردت قتلهما فاقتلني معهما
وسأشكوك الى رسول الله ولما رأى ما بها تركها وخرج.

وجاء في رواية الواقدي أن ام هاني اغلقت عليهما الباب وقالت لهما
لا تخافا وذهبت الى رسول الله في البطحاء فلم تجده في المكان الذي اعد
له ووجدت الزهراء وبعض نسائه فقالت لهما ما لقيت من ابن امي علي لقد
اجرت حموين لى من المشركين فقلت عليهما الباب، ومضى الراوى
يقول: لقد كانت الزهراء اشد عليها من زوجها وبينما هي في حوار معها واذا
برسول الله قد اقبل فلما رآها رحب بها واجلسها الى جانبه فقالت له يا
رسول الله ماذا لقيت من أخي علي: لقد اجرت حموين لى من المشركين
فتقلت عليهما ليقتلها فقال ما كان ذلك له قد آجرنا من آجرت وامنا من
امنت وشكر لعلي سعيه وقد اجرت من اجارت ام هاني لمكانها من علي بن
أبي طالب.

وعفا رسول الله عن اهل مكة وقال لهم اذهبوا فأنتم الطلقاء ولم يترك
لهم صنماً داخل الكعبة وخارجها الا حطه تحت قدميه وهم ينظرون.
وجاء في الكشاف للزمخشري في تفسير قوله تعالى: قل جاء الحق
وزهق الباطل، ان جبرئيل قال له خذ بمخصرتك والحقها يعنى الأصنام فجعل
رسول الله (صلى الله عليه وآله) يرمى اليها بمخصرتة وهي تتهاوى من على
سطح الكعبة، وبقي صنم لخزاعة كان من قوارير، فقال لعلي ارم به فحمله
النبي حتى صعد على سطح الكعبة فرمى به علي من على سطحها وكسره
فجعل اهل مكة يعجبون ويقولون ما رأينا أسحر من محمد.

وذكر أحمد بن محمد بن اسحاق عن أبي عروبة عن جابر بن عبد الله قال: استبشرت الملائكة يوم بدر وحنين وفتح مكة بكشف عليّ الاحزاب عن وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله) فمن لم يستبشر برؤية عليّ (عليه السلام) فعليه لعنة الله^(١).

(وأما موقف علي في حنين)

لقد تحركت هوازن والنبي لا يزل في مكة وأزعجها انتصاره على قريش والتفافها حوله وكان أشد ما تخشاه ان يفاجئها بجيوشه التي خضعت لها قريش على جبروتها وقوتها ولو فعل ذلك لا تقوم لها بعده قائمة وقد تجنبت الصراع الذي كان بين محمد وحماة الاصنام خلال تلك المدة لظنها ان محمداً يظهر على قريش ويحقق ما يريد.

ولقد تجهزت هوازن وثقيف واحلافهما من مشركي العرب واعدوا العدة للقتال وتحركوا لغزو محمد في جيش يفوق عدد جيشه بثلاث مرات ولما علم محمد (صلى الله عليه وآله) بذلك خرج من مكة باثني عشر ألفاً وخرج معه من المكيين ممن لم يخالط الاسلام قلوبهم وممن أسروا الشرك واطهروا الاسلام كأبي سفيان وامثاله وكان هؤلاء بين طامع في المغنم والاسلاب وبين من دفعتهم الرغبة في الظهور معه بمظهر المناصر بعد ان اصبح قوياً مرهوب الجانب.

وتحرك جيش النبي من مكة وفي مقدمته الفرسان والابل تحمل

(١) راجع بحار الأنوار: ج ٣٩ ص ٩٣ وأمالي الصدوق: ص ٣١٣.

الذخيرة والمؤن^(١) ولواء المهاجرين مع علي بن ابي طالب ووزع الرايات على قادة الجيش وزعماء القبائل ولما علمت هوازن بان النبي قد تحرك بجيشه من مكة لقتالها اعدت خطة للغدر بالمسلمين على حين غفلة منهم فكمنوا لهم في شعاب واد من اودية تهامة حيث لا مفر لهم من المرور فيه. ويروى الرواة والمؤرخون عن جابر بن عبدالله الانصارى انه قال لما استقبلنا وادى حنين انحدرنا في واد من اودية تهامة في بداية الصبح وكان القوم قد سبقونا اليه فكمنوا لنا في شعابه ومضايقه فما راعنا ونحن نسير الى القوم لناخذهم على غفلة قبل ان يأخذوا حذرهم الا كتائب هوازن ومن معهم من العرب قد شدوا على المسلمين شدة رجل واحد من كل جانب فأمضوا فينا ضرباً وطعنأ واختلط الناس بعضهم ببعض فاستولى الخوف على المسلمين ودب فيهم الرعب فانهمزوا عن النبي (صلى الله عليه وآله) لا يلوون على شيئي وثبت رسول الله في مكانه ومعه علي والعباس بن عبدالمطلب وأبو سفيان بن الحارث وأسامة بن زيد.

وجاء في رواية المفيد في ارشاده أنه لم يبق مع النبي الا عشرة اشخاص تسعة من بني هاشم وأمين ابن أم ايمن فقتل أمين وثبت التسعة ونهزم الباقون والنبي يناديهم ايها الناس انا رسول الله محمد بن عبدالله فلم يجبه احد.

وقد اكد اليعقوبى في المجلد الثاني من تاريخه رواية المفيد غير أن

(١) المؤن: بضم الميم وفتح الهمزة جمع المؤنثة وهي القوت أو الشدة والثقل.

الحلبى في سيرته قال: لما فر الناس عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حنين لم يثبت معه سوى اربعة ثلاثة من بني هاشم على بن ابي طالب والعباس بن عبدالمطلب وكانا بين يديه يدافعان عنه وأبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب اخذ بعنان بغلته وابن مسعود عن جانبه الا يسر، وانزل الله عليه الاية.

﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مَّدْيَنَ * ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١).

ويدعى المفيد في ارشاده^(٢) ان الاية تعني بالمؤمنين علياً ومن ثبت معه من بني هاشم في ذلك الموقف الذي لم يمر على النبي أخرج منه واشد خطراً.

وعلى اى الأحوال فلقد اتفق المؤرخون على ان علياً واكثر بني هاشم ثبتوا مع رسول الله في تلك الأزمة وأن علياً كان كالمارد يضرب بسيفه عن يمينه وشماله فلم يدن احد من النبي الا جند له بسيفه كما اتفقوا على ان جماعة ممن تظاهروا بالاسلام في مكة كأبى سفيان بن حرب وشيبة بن ابي طلحة وغيرهما وقد اظهروا الشماتة ولم يستطع ابو سفيان أن يكتب ما انطوت عليه نفسه من الشرك والاصرار على عبادة الاصنام، فقال والذي

(١) التوبة: ٢٥ - ٢٦.

(٢) الارشاد: ج ١ ص ١٤٠.

يحلف به ابوسفيان لا تنتهي هزيمته دون البحر وبدت على شفّيه بسمة منكرة تظهر بالشماتة واظهر ما كان يحمله من الألام والاصنام وايتسم له كلدة بن حنبل وقيل جبلة بن الجنيد وقال الان بطل سحر محمد وقال شبيه بن أبي طلحة وقد كرمه النبي بالأمی ورد على اخيه عثمان مفاتيح الكعبة ومنحهم بذلك شرفا على جميع المكين فلقد قال لما رأى المسلمين تفرقوا عن محمد واظهرت بوادر الفرح والارتياح على كثير ممن اظهروا الاسلام بالأمس من القرشيين في مكة.

ومع أن صفوان بن أمية كان على شركه ولم يظهر الاسلام كأبي سفيان وشيبة وجبلة بن جنيد فلم يمنعه شركه من ان يغضب لتلك النكسة التي اصاب فيها محمد واصحابه، وقال: لجبلة بن جنيد اسكت فضي الله فاك، والتفت الى أبي سفيان الشيخ الحقود الساخر يا ابا حنظلة لأن يملكني رجل من قریش احب الى من أن يملكني رجل من هوازن.

ولقد ظهر بأبي سفيان حقه وسقت شماتته النهاية المرجوة من المعركة، فلم يتخل الله عن المسلمين ولم تطل بهم الهزيمة، ولا بلغت البحر كما كان يترقب لها الشامتون والحاقدون اعداء دين الله بعد ان ثبت النبي (صلى الله عليه وآله) وعلي (عليه السلام) ومن كان معهما من الهاشميين، واخذ مع تباشير الصباح يتبدل الموقف لصالح المسلمين وصاح العباس بأمر من النبي يا أهل بيعة الشجرة يا أهل بيعة الرضوان الى أين تفرون عن الله ورسوله فأخذوا يترجعون الى أن اجتمع اليه منهم نحو مائة فاستقبلوا بسيوفهم ورماحهم جموع هوازن المتدفقة كالسيل وأخذ نطاق

المعركة يتسع بين الطرفين بعد أن كانت سيوفهم ورماحهم مشرعة نحو النبي (صلى الله عليه وآله).

ثم برز جرول حامل رايتهم وكان يصنع ما يصنع على حد تعبير الطبرى فتحاماه الناس فبرز على (عليه السلام) وقتله فذب الذعر في نفوسهم كما دب الحماس في نفوس المسلمين لا سيما وقد رأوا النبي (صلى الله عليه وآله) يتقدم بنفسه نحو المشركين ويضربهم بسيفه ويقول: أنا النبي لأكذب أنا ابن عبدالمطلب

ولما التحم الجيشان قال: الآن حمى الوطيس هذا وعلى (عليه السلام) يشد على القوم عن يمين النبي وشماله يحصد الرؤس ويصرع الأبطال حتى قتل أربعين من أبطالهم كما جاء في رواية المفيد وغيره وعاد أكثر المسلمين إلى المعركة وبعضهم لم يرجع إلا بعد أن اطمأن على أن المعركة تتجه اتجاهها صحيحاً لصالح المسلمين.

ولم تتضح معالم الصباح حتى كانت المعركة تهتز من شدة القتال فأخذ النبي (صلى الله عليه وآله) حفنة من التراب أعطاها إياه على بن ابي طالب كما روى ذلك الهيثمي^(١) في مجمع الزوائد والخطيب البغدادي في تاريخه وألقاها في وجه المشركين وهو يقول: شأنت الوجوه، وتقدم نحو القوم ومعه المسلمون وبين يديه على (عليه السلام) ومن حوله بنو هاشم

(١) مجمع الزوائد: ج ٦ ص ١٨٢. وراجع أيضاً تفسير الصافي للكاشاني: ج ٢ ص ٢٨٧ وتفسير

العباسي: ج ٢ ص ٥٢ والاحتجاج للطبرسي: ج ١ ص ١٩٨ وبحار الأنوار: ج ١٩ ص ٢٠٢.

الذين ثبتوا معه من الساعات الاولى في ظلمة الليل، ولولاهم لانتهدت المعركة بنتيجة لم يكن الشرك ليحلم بها، وخلال ساعات معدودات انتهت المعركة بهزيمة هوازن وحلفائها تاركين نساءهم واطفالهم واموالهم تحت رحمة المسلمين وأتم الله النصر الذي وعد به نبيه وخرج من المعركة منتصراً عزيزاً بعد ان زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وظن الضعفاء بالله الظنون وخابة امال ابي سفيان وأمانيه بهزيمة هوازن الى حدود البحر بعد ان تمناها وتوقعها للنبي واصحابه الكرام.

واما موقف علي في غزوة تبوك

وقعت في شهر رجب من السنة التاسعة للهجرة لما بلغ النبي أن الروم المتآخمين لحدود الحجاز يعدون جيشاً قويا لغزو العرب في ديارهم وعندما اتصل به هذا النبأ لم يتردد في مواجهة تلك الجيوش بنفسه على رأس جيش قوى يستطيع حد عدوانه الغزاة، فأرسل الى القبائل العربية المنتشرة في انحاء الحجاز يدعوهم للمساهمة في صد العدوان ويحثهم على السير معه الى الحدود المتأخمة لحدود الرومان وبذل المزيد من المؤن والمعدات لهذه الغاية فاستجاب بعضهم لطلبه بقلوب عامرة بالايمان ونفوس مطمئنة بما وعد الله به المجاهدين في سبيله بأموالهم وانفسهم تاركين نساءهم وأبنائهم في فصل الصيف من تلك السنة التي سماها المؤرخون سنة العسرة وبذلوا نساء ورجالا ما امكنهم بذله من الاموال لتغطية نفقات الجيش وأنزل الله بهذه المناسبة سورة التوبة كما يدعى جماعة من

المفسرين التي تحث على الجهاد وتفضح المنافقين والمتخاذلين وتذرههم بالعذاب وسوء المصير ولم يجد بدا من الوقوف في وجه اولئك الذين كانوا يتآمرون ويخذلون الناس عنه بحزم وشدة حتى اضطروه ان يحرق على اناس منهم بيتا كانوا قد التجأوا اليه يضعون الخطط لتخذيل الناس عنه وتفتيت معنوياتهم، وبعد جهود شاقة استطاع أن يؤلف جيشاً من ثلاثين الف مقاتل.

وجاء في الطبقات^(١) الكبرى لابن سعد وسيرة^(٢) ابن هشام أن عبد الله ابن أبي خرج مع المسلمين من المدينة بمن معه من أحلافه وعسكروا خارج المدينة ولم يكن عسكرة بأقل العسكرين على حد تعبير المؤرخين، ولكنه لما تحرك (صلى الله عليه وآله) بمن معه تخلف ابن أبي وجماعته ورجعوا الى المدينة، واستخلف النبي علياً (عليه السلام) عليها في هذه الغزوة وهي الغزوة الوحيدة من الغزوات لم يشترك فيها علي بن أبي طالب (عليه السلام) وعندما نلاحظ الظروف التي رافقت هذه الغزوة والموقف المتخاذل الذي ظهر من بعض المتظاهرين بالاسلام والمؤامرات التي كانت تحاك لتخاذل المسلمين وموقف ابن أبي وجماعته الذين لا يقلون عن جيش النبي (صلى الله عليه وآله) كما جاء في الطبقات وسيرة ابن هشام عند تقييم هذه الملابس ويدرك الباحث الخبير أن بقاء علي (عليه السلام) في المدينة في هذه الغزوة كانت تفرضه مصلحة الاسلام، بعد ان ظهر للنبي

(١) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ١٦٥.

(٢) السيرة النبوية: ج ٤ ص ٩٤٦.

من المنافقين وحتى من بعض المسلمين ما ظهر وبلا شك فان بقائهم بالمدينة يشكل خطراً على الدعوة اذا لم يستخلف عليها النبي (صلى الله عليه وآله) شخصاً قوياً يحاذرون منه ويخشون بطشه وسطوته، ولم تتوفر هذه النواحي في غير علي (عليه السلام).

ولما تحرك النبي في طريقه الى تبوك ثقل عليهم وجود علي على رأس السلطة المحلية في عاصمة الدعوة وادركوا انهم لا يستطيعون أن يفعلوا شيئاً بوجوده فراحوا يرددون في المجالس والاندبة ان النبي لم يستخلفه في المدينة الاكرهابه وشاعت مقاتلهم في انحاء المدينة، ولما بلغت مقاتلهم عليا (عليه السلام) أخذ سيفه وسلاحه ولحق بالنبي وهو نازل في الجرف، فقال يا رسول الله لقد زعم المنافقون بأنك انما خلقتني لانك استخلفتني وارتدت ان تخفف مني فقال (صلى الله عليه وآله) كما جاء في رواية الطبري^(١) وابن هشام وأبي الفداء واليعقوبي وغيرهم قال: انما خلقتك لما ورائي أن المدنية لا تصلح إلا بي أوبك فأنت خليفتي في اهل بيتي ودار هجرتي وقومي، اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي.

والظاهر اتفاق المؤرخين والمحدثين على ان النبي قال لعلي هذه

(١) راجع: تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٣٦٨ وسيرة ابن هشام: ج ٤ ص ٩٤٧ والسنن الكبرى للنسائي: ج ٥ ص ١٢٤ ح ٨٤٤٦ وشواهد التنزيل للحسكاني: ج ١ ص ١٩٢ السيرة الحلبية للحلبي: ج ٣ ص ١٠٤ وراجع أيضاً بحار الأنوار للمجلسي: ج ٣٧ ص ٢٥٩ وغاية المرام للبحراني: ج ٢ ص ٥٢.

المقالة، واطاف الى ذلك أحمد في مسنده^(١) انه قال: لا ينبغي أن اذهب الا وانت خليفتي.

وجاء في فضائل الخمسة من الصحاح الستة أن الحديث مروى بالصيغة التي رواها احمد في خصائص النسائي، والموافقات للحافظ الدمشقي، ومجمع الزوائد للهيثمي وغيرهم.

وبلا شك لقد قال النبي لعلي (عليه السلام) هذه المقالة وقد استخلفه في المدينة للسبب الذي ذكرناه وغير بعيد ان يكون علي (عليه السلام) قد عز عليه أن تفوته معركة من معارك الاسلام لا سيما وانه يتجه الى عدو يفوق المسلمين بعدده وعتاده عشرات المرات فكان يتمنى أن يبقى الى جانب النبي يفيده بنفسه وروحه كما كان يصنع في بقية المعارك وعندما اشعر النبي (صلى الله عليه وآله) ذلك اجابة بتلك الكلمات التي اتفق عليها المؤرخون والمحدثون بل والصيغة التي رواها احمد والنسائي والهيثمي والحافظ الدمشقي ومحدثون الشيعة عن الأئمة من اهل البيت وجاءت منه بهذه الصيغة ليفهم المسلمون علي أن الخليفة من بعده حتى في حال غيابه عن هذه الدنيا.

وأما أن تحرشات المشركين بتلك الكلمات العابرة قد استفزته فأخذ

(١) مسند أحمد بن حنبل: ج ١ ص ٣٣١ وراجع أيضاً المستدرک للنيسابوري: ج ٣ ص ١٣٣

ومجمع الزوائد للهيثمي: ج ٩ ص ١٢٠ وخصائص أمير المؤمنين للنسائي: ص ٦٤ والمعجم الكبير للطبراني: ج ١٢ ص ٧٨ وكنز العمال للمفتي الهندي: ج ١١ ص ٦٠٤ وبحار الأنوار للمجلسي: ج ٢١ ص ٢١٤ وج ٣٥ ص ٢٩٩.

بسلاحه ولحق بالنبي يشكو اليه ما سمع ويطالب منه اعفائه من تلك المهمة فأنني اشك في ذلك، وعلى بن ابي طالب ارفع شأننا من ان يهتم ويراجع الرسول في مهمة كهذه لكلمة يسمعها من منافق او مشرك.
«لان رسول الله قال لعلي اعطيت ثلاثا لم اعط».

عن علي بن محمد القزويني عن داود بن سليمان عن الرضا عن ابيه (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام) يا علي إنك اعطيت ثلاثة لم أعط أنا قلت يا رسول الله ما اعطيت فقال أعطيت صهراً مثلي ولم أعط أنا وأعطيت زوجتك فاطمة ولم أعط أنا وأعطيت الحسن والحسين ولم أعط أنا^(١).

واما موقف علي (عليه السلام) في غزوة ذات السلاسل

لقد ذكر جماعة من المؤرخين أن عددا كبيرا من الاعراب قد اجتمعوا في مكان يدعى وادي الرمل وتفقروا على غزو المدينة على حين غفلة من اهلها، فوفد اعرابي على النبي (صلى الله عليه وآله) وأخبر بما اجتمعوا عليه كما جاء في رواية المفيد في ارشاده، فأرسل لهم النبي (صلى الله عليه وآله) جماعة من اصحابه من المسلمين حتى اقتربوا من ارضهم وكانت وعرة المسالك كثيرة الاحجار، وقد اعتصم القوم ببطن الوادي وسفوح الجبال فأنقضوا على المسلمين وقتلوا جماعة منهم فانهزموا جميعاً ورجعوا الى المدينة فأرسل غيرهم وكان نصيبهم الفشل والفرار كما سبق

(١) عيون الاخبار، ٢١٢.

ولم يجد النبي (صلى الله عليه وآله) بعد الفشل من القادة، بدا بإرسال علي (عليه السلام) فأرسله في جماعة فيهم ابو بكر وعمرو بن العاص وضم اليهم جماعة من المهاجرين والانصار، وشيعة النبي الى خارج المدينة ثم ودعه ودعا له بالنصر والظفر.

وسار علي بمن معه نحو القوم يكمن النهار ويسير الليل حتى اقترب من القوم، ولم يشك ابن العاص كما يدعى الرواة أن الفتح سيتم على يد علي (عليه السلام) فجاء الى ابي بكر يقول له: أنا اعلم بهذه الارض من علي بن ابي طالب إنها ارض مسبعة وفيها من الوحوش الضارية ما هو أشد علينا من بني سليم وغيرهم من الاعراب فكلم عليا لعله يتركنا نعلوا الوادي فجاءه أبو بكر وعرض عليه الطلب فلم يلتفت اليه ثم كلمه عمر بن الخطاب فلم يلتفت وبقي مرابطا في مكانه حتى الفجر ومع تباشير الصباح انفض بمن معه على القوم على حين غفلة منهم وأمضوا بهم قتلا وأسرا حتى استسلموا له وتم الفتح على يده ونزلت على النبي (صلى الله عليه وآله) سورة العاديات بهذه المناسبة، كما جاء في بعض المرويات فبشر النبي (صلى الله عليه وآله) بالفتح وأمر المسلمين أن يستقبلوا عليا ومن معه حين قدومه وبعد ايام خرجوا لاستقباله ومعهم النبي (صلى الله عليه وآله) ولما رآه علي مقبلا ترجل عن جواده قال له النبي اركب فان الله ورسوله عنك راضيان فاستبشر امير المؤمنين وتساقطت الدموع من عينيه ثم قال له النبي (صلى الله عليه وآله) لولا اني أشفق ان تقول فيك طوائف من أمتي ما قالت النصارى في المسيح لقلت فيك مقالة لا تمر على ملأ من الناس الا أخذوا التراب من

تحت قدميك.

وجاء في مجمع البيان للطبرسي^(١) عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) ان سورة العاديات نزلت على رسول الله لما بعث علياً الى ذات السلاسل وتغلب على من كان قد اجتمع من الاعراب لغزوا المدينة ولما نزلت عليه خرج الى الناس يصلى الغداة فقرأها في صلاته، فلما فرغ من الصلاة قال المسلمون ان هذه السورة لم تقرأها، فقال ان علياً ظفر بأعداء الله وبشرني جبرائيل في هذه الليلة.

كما ذكر ابن سعد في طبقاته ان النبي ارسله غازياً الى اليمن مرتين الأولى في السنة الثامنة للهجرة الى همدان بعد أن ارسل خالد بن الوليد ورجع بدون أن يحقق شيئاً ولما ارسل اليهم عليا (عليه السلام) تحدث معهم عن الاسلام ودعاهم اليه أسلموا بكاملهم وطابت له نفوسهم فكتب الى النبي يخبره بذلك.

والثانية كانت في رمضان من السنة العاشرة ارسله الى مذحج في جيش لا يزيد على ثلاثمائة مقاتل كما جاء في رواية ابن سعد، واطاف الى ذلك أنها اول سرية دخلت بلاد مذحج فصف اصحابه واستقبل بها تلك الجموع التي خرجت لحربه ففكر عليهم في اصحابه فأوقف هجماتهم ثم كر عليهم ثانية فشتتهم، ولم تحل بينهم وبين الهزيمة كثرة الجموع التي تدفقت لنجدتهم ومازال يطاردهم حتى قتل منهم عدداً كثيراً فأثروا السلامة

(١) مجمع البيان للطبرسي: ج ١٠ ص ٤٢٢ وراجع أيضاً تفسير الميزان للطباطبائي: ج ٢٠

١٦٨ الإمام علي (عليه السلام) من الكعبة إلى المحراب

عند ذلك بالتسليم والدخول في الاسلام وقالوا له هذه صدقاتنا فخذ منها
حق الله ثم أنه جمع الغنائم وأخرج منها الخمس وقسم الباقي بين اصحابه
ورجع الى المدينة وقيل الى مكة حيث كان النبي (صلى الله عليه وآله) قد
خرج لاداء فريضة الحج وروى له بعض الرواة مواقف وغزوات اخرى
أيضاً.

الفصل الحادى عشر

سورة براءة

لقد بقت سرايا المسلمين بقيادة علي (عليه السلام) ومن معه تطارد
فلول الشرك حتى جاءت السنة التاسعة للهجرة وبدخولها اصبح جهاد
الرسول بالسيف في الجزيرة قد اشرف على نهايته، ولم تكد السنة التاسعة
تشرف على نهايتها بدخول ذلحجة حتى أنزل الله على رسوله بعض
التشريعات التى تحدد موقفه من المشركين والعهود التى كان قد ابرمها
معهم كما يبدو ذلك من الايات الاولى من سورة براءة فأرسل النبي أبا بكر
يحج بالناس، وكان من بقى على الشرك يجتمع مع المسلمين فى موسم
الحج وأمره ان يتلو على الناس الآيات الاولى من سورة براءة فمضى أبو
بكر بمن معه من المسلمين يشرف على الحج فى ذلك العام، ولما انتهى الى
ذى الحليفة وهو المكان المعروف اليوم بمسجد الشجرة، وفيما هو يسير فى
طريقه، واذا بالوحى ينزل على النبي ويأمره بأن يرسل مكانه على بن ابي
طالب (عليه السلام)، وقال له لا يؤديها الا انت او رجل منك فأرسل النبي
علياً وأمره بأن يأخذ الايات من ابي بكر ويبلغها بنفسه فمضى على (عليه
السلام) حتى لحق بأبي بكر وهو بذى الحليفة فأخذها منه، ورجع أبو بكر

الى المدينة خائفاً أن يكون قد نزل فيه من الله شيء، فقال يا رسول الله هل أنزل في شيء فقال النبي امرت أن ابلغها أنا أو رجل مني.

وانطلق على في طريقه حتى بلغ مكة وعندما اجتمع الناس لاداء مناسكهم قرأ عليهم الايات الاولى من السورة كما جاء في البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي، ونادى في الناس لا يدخل مكة مشرك بعد عامه هذا ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فعهد الى مدته.

وفي رواية ثانية أنه تلا عليهم من سورة براءة حتى بلغ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(١).

ثم اعاد عليهم القول لا يحجن بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين رسول الله عهد موقوت فأجله الى مدته.

وأصغى المشركون الى هذا القرار بقلوب ترتعد من الخوف والحقد ووجدوا انفسهم تجاه امر لا مفر منه بعد ان أسلمت قريش وأذعنت للنبي مرغمة صاغرة كما أسلم أكثر العرب وكادت الجزيرة بكاملها تخضع لسلطة الاسلام، فما عليهم الا ان يدخلوا فيما دخل فيه الناس فأسلم اكثرهم خلال اشهر معدودات.

ويبدو من مجاميع الحديث والتاريخ أن ارسال علي في سورة براءة بعد أبي بكر ورجوع أبي بكر الى النبي، وقوله لا يؤديها الا انا اورجل مني وأنا منه كل ذلك متفق عليه بين المحدثين والمؤرخين ولا خلاف بينهم في شيء من ذلك، انما الخلاف في أن ابا بكر هل ذهب في تلك السنة لاداء مهمة كلفه بها النبي بعد أن انتزع منه الايات من سورة براءة أم انه لم يذهب وترك تبليغ الايات والاشراف على الحج لعلي (عليه السلام) فأكثر محدثي السنة على أن ابا بكر حج بالناس وكانت مهمة علي (عليه السلام) تلاوة الايات وتبليغ الموارد التي ذكرناها.

لا يخفى على المتتبع الخبير في هذا المضمار أن علماء العامة وحفاظهم أوردوا هذا الحديث في زبرهم بطرق متعددة بحيث صار متواتراً من حيث السند والرواية.

وقد رد النبي (صلى الله عليه وآله) - الذي لا يفعل إلا ما يؤمر به من قبل ربه ولا ينطق عن الهوى - أبا بكر من ذي الحليفة وانفذها مع ابن عمه وصنوه الفادي له نفسه الذي طاطأ بشجاعته وشهامته هامات العرب قائلاً (صلى الله عليه وآله): «لا يبلغها إلا أنا أو أحد مني» رواه جماعة من اعلام العامة نذكر منهم علي سبيل الاختصار، منهم الحافظ في الفضائل (ص ٤٤ مخطوط) حدثنا عبد الله بن أحمد قال: حدثنا الفضل بن الحباب، قال: حدثنا محمد بن عبد الله الخزاعي، عن سماك بن حرب عن أنس بن مالك قال: أن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث ببراءة مع أبي بكر إلى أهل مكة فلما بلغ الحليفة بعث إليه فرده، وقال: لا يذهب بها إلا رجل من أهل بيتي

فبعث علياً (عليه السلام).

ومنهم أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي في الخصائص (ص ٢٨ ط النجف) . أخبرنا محمد بن بشار قال حدثنا عفان وعبد الصمد قالا حدثنا حماد بن سلمة عن سماك بن حرب عن أنس قال بعث النبي صلى الله عليه وآله آيات براءة مع أبي بكر ثم دعاه فقال: لا ينبغي أن يبلغ هذا إلا رجل من أهلي فدعا علياً فأعطاه إياها .

وذكر الحديث العلامة الثعلبي في تفسيره (مخطوط في حدود المائة السابعة ص ١٨٢) قال: فلما كانت سنة تسع أراد رسول الله الحج ثم قال : إنه يحضر المشركون ليطوفوا عراة فلا يجب الحج حتى لا يكون ذلك . فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله أبا بكر تلك السنة أميراً على الموسم ليقم للناس الحج وبعث معه بأربعين آية من سورة براءة ليقرئها على أهل الموسم ، فلما سار دعا رسول الله صلى الله عليه وآله علياً وقال : أخرج بهذه القصة فأذن بذلك في الناس إذا اجتمعوا فخرج علي (عليه السلام) على ناقه رسول الله العضاء حتى أدرك بذي الحليفة أبا بكر فأخذها منه الحديث .

ذكره العلامة الخازن البغدادي في تفسيره المشهور (ج ٣ ص ٤٧) قال: ذكر الحديث بعين ما تقدم .

ومنهم العلامة البغوي في معالم التنزيل المطبوع بهامش تفسير الخازن (ج ٣ ص ٤١) ذكر بمثل ما تقدم من تفسير الخازن .

ومنهم فخر الدين الرازي في تفسيره الكبير (ج ١٥ ص ٢١٨ ط البهية بمصر) أورد أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمر علياً أن يذهب

إلى أهل الموسم ليقرئها عليهم، وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا يؤديها إلا أنا أو رجل من أهلي.

ومنهم الحافظ ابن كثير المذكور في كتاب (البداية والنهاية) (ج ٥ ص ٣٧ ط مطبعة السعادة بمصر). قال ابن إسحاق: حدثني حكيم بن عباد بن خيف عن أبي جعفر محمد بن علي أنه قال لما نزلت براءة على رسول الله وقد كان بعث أبا بكر ليقم للناس الحج قيل له يا رسول الله: لما بعثت إلى أبي بكر، فقال: لا يؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي ثم دعا علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقال: أخرج بهذه القصة من سورة براءة وأذن في الناس يوم النحر.

وقد روى عبد الله بن أحمد عن لوين عن محمد بن جابر عن سماك عن حنش عن علي لما أردف أبا بكر بعلي فأخذ منه الكتاب بالجحفة ورجع أبو بكر فقال يا رسول الله نزل في شيء، قال: لا ولكن جبرئيل جئني فقال لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل من أهل بيتك.

ومنهم العلامة ابن الأثر الجزري في جامع الأصول (ج ٢ ص ٢٣٣ ط السنة المحمدية بصر) أن أبا بكر بعثه في الجحفة التي أمره رسول الله في رهط إلى أن قال وفي رواية ثم أردف النبي صلى الله عليه وآله بعلي بن أبي طالب فأمره أن يؤذن ببراءة في الناس. ومنهم العلامة المحدث الهندي الدهلوي في معارج النبوة (ص ٤١٢ ط الكنهو) أورد رواية جابر بن عبد الله بعين ما تقدم.

ومنهم العلامة البيضاوي في تفسيره (ج ٢ ص ٢٧٥ ط مصطفى محمد

بمصر) روى لما نزلت ارسل رسول الله (صلى الله عليه وآله) علياً إلى آخر الحديث المتقدم، ومنهم العلامة الهيثمي في مجمع الزوائد (ج ٧، ص ٢٩ ط القاهرة سنة ١٣٥٢) روى عبد الله بن أحمد عن علي قال: نزلت عشر آيات من سورة البراءة ودعا النبي أبا بكر ليقرئها على أهل مكة ثم دعاني النبي (صلى الله عليه وآله) فقال: أدرك أبا بكر فحيثما لقيته فخذ الكتاب منه إلى أن قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) جبرئيل جائي فقال: لن يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك.

ومنهم العلامة السيوطي في الدر المنثور (ج ٣، ص ٢١١ ط مصر) أخرج ابن أبي حاتم عن حكيم بن حميد قال لي علي بن الحسين: أن لعلي ابن أبي طالب (عليه السلام) في كتاب الله إسماء ولكن لا يعرفونه، قلت ما هو، قال ألم تسمع ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ﴾^(١) هو والله الأذان.

ومنهم القاضي الشوكاني في فتح القدير (ج ٢، ط مصطفى الحلبي بمصر) روى الحديث بعين ما تقدم في الدر المنثور.

الفصل الثاني عشر

زواج فاطمة من علي (عليهما السلام)

أكثر المسلمين كانوا لا يرون لفاطمة (عليها السلام) كفواً غير علي الذي احتضنه والدها وهو صبي لم يتجاوز السادسة من عمره فدرج ونشأ في بيت النبي مع أولاده وبناته ترعاه خديجة كما ترعى بناتها، ولم يبق في بيتها بعد ان تزوج بناتها غير علي وفاطمة وهو يوم ذاك في مطلع صباه فاستقبل ذلك الحديث العظيم الذي دعا إليه كافلة ومربيه بقلب مفتوح وبصيرة نافذة يواسيه في الأزمات والشدائد ويفيده في الحروب والغزوات.

أما فاطمة فقد شاء الله ان يقترن مولدها بالحادث الجليل وتستقبل ذلك الإعصار المارد الذي أثارته الوثنية العاتية في وجه الدين الجديد وواجهت جميع ما واجهته أمها من الأحداث الجسام وقبل ان تبلغ العاشرة من عمرها واجهت تلك الصدمة العنيفة التي اصيبت بها بوفاة أمها وألقت بها في دوامة الأحداث الهائلة التي أعقبت وفاة عمها أبي طالب، واستقبلت حياتها الجديدة بالمتاعب والآلام وهي تدرك ادراكاً سليماً ما أصبح عليها من المسؤوليات الجسام في ذلك البيت الذي كانت في طفولتها الباكر تنعم في ظله مع ابن عمها علي بن أبي طالب الذي اختاره ابوها من بين أولاد أبي

طالب واتخذه ولدا في صغره وأخا يوم آخى بين المهاجرين في مكة وبينهم وبين الانصار في يثرب وصاحبا من أعز اصحابه واقربهم إلى قلبه وروحه وخليفة من بعده في مطلع الدعوة يوم دعا بني هاشم إلى الإسلام ومناصرتة على الدعوة إليه وأباً للعترة الطاهرة من بضعتة الزهراء (عليها السلام).

لقد استقبلت الزهراء حياتها الجديدة بعقل نير وقلب مفتوح لرسالة أبيها وهي تدرك على صغر سنها معنى بنوتها لمن اصطفاه الله واختاره بشيرا ونذيراً لأهل الأرض ما دامت السموات والأرض ولم تأسى على ما فاتها من مرح الصبا ولهو الحداثة ولا عز عليها أن تتخلى عما هو منتظر لامثالها من راحة وخلو بال فلم يشغلها عن رعاية ابيها والانصراف لشؤونه شيء من شؤون الطفولة ولا من شؤون الناس وصمدت لجميع الاحداث ولم تساورها الشكوك ولو لحظة واحدة وظلت تراقب الأحداث بعد هجرة أبيها في جو مشحون بالقلق على مصيره حتى انضمت إلى موكب الهجرة في البلد الامين فأحست بالانفراج مما كانت تعانيه من القلق والخوف على أبيها ودعوته وبخاصة بعد أن رأت اصحابه الجدد في دار هجرته يتسابقون إلى الإسلام والبذل والعطاء ويندفعون إلى السرايا والغزوات ويحققون الانتصار تلو الانتصار، ورأت ابن عمها البطل الذي عاشت معه طويلاً في كنف أبويها الرحيمين الكريمين، والذي لم يكن بين فتية قريش ولا بين جميع العرب من يساويه في البطولات والتضحيات والدفاع عن النبي (صلى الله عليه وآله).

ولقد رآته في تجاوز العشرين من السنين ألصق بأبيها من جميع المسلمين وقد احتل من نفسه مكاناً لم يكن ليطمع به أو يحلم ببلوغه أحد من مهاجري المسلمين وانصارهم وسمعت أباها يقول له وحشود المسلمين من حوله يوم آخى بين المهاجرين والانصار: لقد تركتك لنفسى فانت أخي في الدنيا والآخرة وكانت تحس له في نفسها بمكانة ليست لأحد من الناس وبروابط أعمق من رابطة الاخوة وابناء العمومة الأقربين ولكنها لم تكن تستطيع تفسير أحاسيسها نحوه بما خباه لهما الغد القريب من الزواج الذي اختاره الله لهما لانها كانت تؤثر بقائها إلى جانب أبيها ملتزمة بيته لتوفر له اسباب الراحة والاستقرار على الزواج وجميع متع هذه الدنيا حتى بعد ان تزوج بأكثر من واحدة من النساء.

ولما دخلت السنة الثانية من هجرة النبي (صلى الله عليه وآله) وبدأت طلائع الاستقرار تلوح للمسلمين حتى بدأ الخطاب يتسابقون إلى النبي يطلبونها منه وهو يردهم رداً جميلاً ويقول لكل من جاءه اني انتظر فيها أمر الله وبلا شك لقد كان الإمام علي ينتظر قول الرسول ولا يتكلم بهذا الزواج يمنعه الحياء عن مفاتحة النبي بذلك وفي الوقت ذاته فان الزواج يتطلب بعض الامكانيات المادية وليس لديه شيء من ذلك غير ان جماعة من اصحابه قد شجعوه على الاقدام على ذلك ولا بد لنا أن نلخص ما جاء في المؤلفات في سيرة النبي (صلى الله عليه وآله) ومجاميع الحديث حول زواجه منها بذلك المهر المتواضع والجهاز البالغ أقصى حدود البساطة كما يصفه أكثر المؤرخين والمحدثين.

لقد ذكر الكليني في الكافي^(١) عن الحسن بن محبوب عن حبيب السجستاني أنه قال: سمعت أبا جعفر يقول ولدت فاطمة بنت محمد بعد مبعثه بخمس سنين وتوفيت ولها ثمان عشرة سنة وخمسة وسبعون يوماً، فيكون لها من العمر تسع سنوات تقريباً حين زواجها، ورجح الطبري في تاريخه أنها كانت في العاشرة من عمرها وقيل كانت في الخامسة عشرة من عمرها وقيل غير ذلك.

وجاء في ينابيع المودة للقندوزي^(٢) الحنفي عن ام سلمة أنها قالت قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لو لم يخلق الله علياً ما كان لفاطمة كفاء، وقد روي ذلك صاحب كتاب الفردوس عن النبي (صلى الله عليه وآله).

وفي مناقب ابن شهر آشوب^(٣) أنه قد اشتهر في الصحاح بالاسانيد الموثوقة عن ابن عباس وعبدالله بن مسعود والبراء بن عازب وغيرهم بصيغ تختلف في تركيبها وألفاظها وتتفق في مضامينها أن أبا بكر وعمر ابن الخطاب كان ممن خطبا فاطمة من النبي بعد أن استقر في المدينة وألحا عليه في الطلب فردهما بقوله اني انتظر فيها أمر الله.

وجاء في الطبقات الكبرى لابن سعد أن أبا بكر وعمر ابن الخطاب وغيرهم حين خطباها من النبي (صلى الله عليه وآله) لم يزد علي قوله: اني

(١) الكافي: ج ١ ص ٤٥٧.

(٢) ينابيع المودة: ج ٢ ص ٢٤٤.

(٣) مناقب ابن شهر آشوب: ج ٣ ص ١٢٢.

انتظر فيها أمر الله وكان الذي يمنع علياً من خطبتها الحياء بالاضافة إلى احتياج المال فلما شجعه بعض المسلمين على خطبتها دخل على النبي وهو مطرق إلى الأرض رأسه من الحياء فأحس النبي بما في نفسه فاستقبله ببشاشته التي أعاد أن يستقبله بها ورحب بقدومه، وأقبل عليه يسأله برفق ولطف عن حاجته وألح عليه في السؤال فأجابه بصوت ضعيف وهو مطرق برأسه ذكرت فاطمة يا رسول الله ولم يزد علي ذلك فرد عليه النبي بقوله مرحباً وأهلاً، وخرج علي (عليه السلام) ليقص على أصحابه ما جرى له وكانوا بانتظاره فلما أخبرهم بما جرى له مع النبي (صلى الله عليه وآله) قالوا لقد أجابك إلى ما تريد.

وعاد رسول الله إلى بيته ليعرض عليه بضعة الزهراء رغبته علي بها، فقال لها كما جاء في رواية ابن سعد في طبقاته: لقد سألت ربي أن يزوجه خير خلقه وأحبهم إليه وقد عرفت علياً وفضله ومواقفه وجائني اليوم خاطباً فما ترين فأمسكت ولم تتكلم بشيء فخرج النبي وهو يقول:

سكوتها رضاها واقرارها.

ثم ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) جمع المسلمين وخطب فيهم وقال كما جاء في رواية كشف الغمة^(١) عن المناقب ان الله أمرني أن أزوج ابنتي فاطمة من علي (عليه السلام) وقد زوجها إياه على اربعمائة مثقال

(١) كشف الغمة للأربلي: ج ١ ص ٣٥٧ وراجع أيضاً يتابع المودة للقندوزي: ج ٢ ص ٦٢

وذخائر العقبى للطبري: ص ٢٩ وابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة: ج ١ ص ٦٥٩.

فضة ثم التفت إلى علي (عليه السلام) وقال: لقد أمرني ربي أن أزوجهك فاطمة واني قد زوجتكها على أربعمئة مثقال من الفضة أرضيت هذا الزواج يا علي، فقال: رضيت يا رسول الله وخرج ساجداً إلى الله، فقال النبي بارك الله لكما وجعل منكما النسل الكثير الطيب.

وفي رواية أنس بن مالك أنه قال بارك الله عليكما وأسعد جدكما وجمع بينكما وأخرج منكما الكثير الطيب، وأضاف إلى ذلك أنس بن مالك والله أخرج منهما الكثير الطيب.

وفي الاستيعاب^(١) لابن عبد البر ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لها: لقد زوجتك سيداً في الدنيا والآخرة وأنه لأول أصحابي اسلاماً وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً.

وأنه أمر علي بالمهر بعد أن باع درعه لعثمان بن عفان بأربعمئة وسبعين درهماً فحملها علي ووضعها بين يدي رسول الله فقبض منها النبي قبضة ودفعتها إلى بلال وقال له ابتع لفاطمة طيباً ثم قبض منها بكلتا يديه ودفعتها لابي بكر وقال له اشتر لها ما يصلحها من ثياب وأثاث إلى البيت وأرسل معه عمار بن ياسر وجماعة من اصحابه فخرجوا إلى السوق فكانوا يأتون بالشيء ويعرضونه على أبي بكر فان استصلحه اشتراه ودفعت مبلغاً من المال لأم أيمن لتشتري به أمتعة إلى البيت فكان مجموع الجهاز قميص

(١) الاستيعاب: ج ٤ ص ١٨٩٥ وراجع أيضاً كنز العمال للمتقي الهندي: ج ١٣ ص ١١٤ ح

بسبعة دراهم وخمار بأربعة وقطيفة سوداء خيرية وسريز وفراشان من خيش مصر حشو أحدهما ليف وحشو الآخر من صوف الغنم وأربعة مرافق من أدم الطائف حشوها أذخر وستر رقيق من صوف وحصير هجري ورحى لليد ومخضب من نحاس لغسل الثياب وسقاء وقعب لشرب الماء والبن وكيزان من خزف وعبائة وقربة ماء وغير ذلك من الأدوات المبتدلة للطبقات الفقيرة^(١).

ولما تم الجهاز وعرض علي رسول الله (صلى الله عليه وآله) جعل يقلبه بيده ثم بكى وقال: بارك الله لقوم جلّ آئيتهم الخزف وبهذا النحو من البساطة تمت الخطبة وتم الزواج وكان الجهاز من أبسط ما عرفته المدينة وذلك في شهر رجب من السنة الثانية للهجرة واحتفل بنو عبد المطلب بهذا الزواج الذي اختاره الله سبحانه وأراده لهذين الزوجين قبل أن يريداه وكتب الله لذكراه الخلود ولهذين الاسميين الكريمين أن يكونا مثلاً للإنسان الكامل الذي تكاملت إنسانيته وأصبح المثل الأعلى لكل بني الإنسان من ذكر وانشى، ولو حاول أبلغ الناس واقدروهم على الطهارة والعفة والفضيلة في كلمة واحدة أو أكثر لما وجد لهذه المفاهيم الفاظاً تتناسب معها وتعبر عنها غير هذين الاسميين اللذين اتحدا مع تلك المفاهيم فكان علي (عليه السلام) خير الناس بعد رسول الله وأحب الرجال إليه، وفاطمة سيدة النساء أحب النساء إليه كما جاء في رواية السيدة عائشة وغيرها من

(١) راجع: أمالي الطوسي: ص ٤٠ وبحار الأنوار: ج ٤٣ ص ٩٤ وبيت الأحزان القمي: ص ٤٩.

الرواة وقد استجاب الله للنبي (صلى الله عليه وآله) فأخرج منها النسل الطيب وأئمة الهدى خلفاء الله في ارضه وامناؤه على وحيه الذين من تمسك بهم نجا ومن تخلف عن سيرتهم وتعاليمهم ضل وغوى كما جاء في أصح المرويات عند السنة والشيعة.

وهكذا استقبلت سيدة النساء فاطمة الزهراء حياتها الجديدة في ذلك البيت المتواضع بيت حارثة بن النعمان الملاصق لبيت أبيها الذي أعده لها علي (عليه السلام) تلك الحياة التي وصفها المؤرخون والمحدثون بالخشونة والفقر، ولم نر واحداً منهم حاول ان ينفي عنها ما كانت تقاسيه من شظف العيش والفقر ويصف جهازها بغير هذا النوع من الأثاث المتواضع، ذلك لأن اباهم لم يكن يملك شيئاً ولا يدخر لنفسه شيئاً مما كانت تدره عليه الغنائم وكان يتنكر لمظاهر الغنى والاغنياء ويواسي المساكين في جميع مظاهر حياته، وزواجها كان صورة صادقة لأبيها لم يكن يملك المال لا من طريق التجارة ولا من طريق الارث فلقد كان والده مع علو شأنه وعظيم مكانته فقيراً لا يملك ما يسد به حاجة عياله مما دفع محمداً (صلى الله عليه وآله) ان يقترح على اعمامه ان يأخذ كل واحد منهم ولداً من أولاده ليخففوا عنه ثقل ما كان يعانيه فأخذ كل واحد من أولاده واختار لنفسه من بينهم علياً وهو صبي لم يتجاوز الثامنة من عمره ولم يحترف عملاً يدر عليه المال طيلة صحبته للرسول لا من نوع التجارة التي كانت تتعاطها قريش ولا من نوع الزراعة حرفة سكان يثرب، ولم يكن يملك سوى درعه فباعها وجهاز بئسها زوجته.

وكان الزواج بتلك البساطة من مظاهر الحياة وقد استقبلا حياتهما الجديدة واستسلما لمشيئة القدر الذي كان ينتظرهما وتقدمت سيدة النساء إلى ساحة الحياة الجديدة تحمل على منكبها اعباء المشاركة مستجيبة للمشيئة الكبرى صابرة على مرارتها لتفوز بنعيم الأخرة راضية مطمئنة إلى زوجها تغمرهما المودة والوداعة، ولم يكن علي (عليه السلام) يهون عليه ان يراها تدير شؤون البيت كادحة مجهدة فحاول ان يساعدها في بعض اعمالها ما أمكنته ظروفه ولكن استقراره في المدينة كان محدود بسبب الغزوات والسرايا التي كان يقودها احياناً ويشترك فيها حيناً آخر فأشفق عليها أن تبقى على حالتها هذه لا سيما بعد ما أصبحت أمّاً وتضاعفت جهودها بسبب ذلك ، وظروفه لا تمكنه من مشاركتها الكاملة وليس باستطاعته أن يستأجر أو يشتري لها من يعينها فقال لها ذات يوم وقد عرف أن أباهما رجع من احدى غزواته بسبي وغنائم: يا سيدة النساء لقد ضاق حدي لأجلك وهذا رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد رجع بسبي من احدى غزواته فاذهبي إليه والتمسي منه احدى المسيات لعلها تخفف بعض الاعمال وكانت تطحن الشعير فأجابته والرحى في يدها والتعب باد عليها افعل ان شاء الله، فلما اتمت عملها انتظرت ساعة لتسترد بعض قواها ثم خرجت إلى بيت ابيها بخطوات بطيئة، فلما رآها رحب بها وهش في وجهها كعادته، ثم سألها عن حاجتها فمنعها الحياء ان تذكر له ما جاءت من أجله وردت عليه بقولها جئت لأسلم عليك وعادت من حيث أتت لتخبر علياً (عليه السلام) بما جرى لها ولكن حرصه عليها دعاه لان يقوم

بنفسه ليقص على النبي (صلى الله عليه وآله) ما تعانیه بضعته من الجهد والعناء في ادارة البيت فأخبر النبي (صلى الله عليه وآله) بحالها وهي مطرقة من الأستحياء فأجاب (صلى الله عليه وآله) لا والله لا أعطيكما وادع أهل الصفة تتلوى بطونهم ولا أجد ما انفق عليهم ولكن ابيع ما تحت يدي من الغنائم وأنفق عليهم فرجعا إلى البيت لا يلويان على شيء في رواية أحمد ابن حنبل^(١) في حياتهما وعزوفهما عن الدنيا ونعيمها.

ومست شكواها قلب النبي (صلى الله عليه وآله) وشغلته عن كل شيء فأقبل عليهما ليخفف عنهما وقال لهما برفق ألا أخبركما بخير مما سألتماني فقال بلى يا رسول الله فقال سبحا بعد كل صلاة ثلاثا وثلاثين وتكبران ثلاثا وثلاثين وتحمدان ثلاثا وثلاثين ثم ودعهما ومضى ومضت السنة على ذلك في كل صلاة كما تؤكد بعض المرويات^(٢).

وجاء عن علي (عليه السلام) أنه قال: والله ما تركت هذه الوصية بعد أن علمنيها رسول الله ، وطابت نفسيهما بعد هذه الوصية وتغلبت على جميع المتاعب وأخذت خط النبي في جميع نواحي الحياة، وحدث عنها الرواة أنها كانت مع كل ذلك طيلة حياتها مع أبيها وبعلمها لا ترى الا واضحة المحيا باسمه الثغر لم تغرب بسمتها الا بعد وفاة أبيها، لا يجري لسانها بغير

(١) راجع مسند أحمد بن حنبل: ج ١ ص ١٠٦ ومجمع الزوائد للهيتمي: ج ١٠ ص ١٠٠ وذخائر العقبي للطبري: ص ١٠٦.

(٢) راجع المصادر السابقة. وصحيح البخاري: ج ٤ ص ٤٨ وج ٦ ص ١٩٣ كتاب النفقات، وصحيح مسلم: ج ٨ ص ٨٤ باب التسييح أول النهار وعند النوم.

الحق ولا تنطق الا بالصدق عزوفة عن الشر محبة للخير وافية بالوعد صدوقة في القول حافظة للسر، لقد ورثت كل خصال الخير من أبيها وعاشت مع زوجها وهي تعلم بأنه لم يبلغ ما بلغه رسول الله إلا أنه كان صورة ثانية عنه في جميع صفاته وخصاله.

وروى عمرو بن دينار عن عائشة انها قالت: ما رأيت أحداً اصدق من فاطمة غير أبيها^(١).

لقد قنعت في اليسير من العيش لانها سمعت أباها يقول للناس اجملوا في الطلب فانه ليس للعبد الا ما كتب له في هذه الدنيا، ولن يذهب عبد منها حتى يأتيه ما كتب له فيها، وقد قال لها يا فاطمة اصبري على مرارة الدنيا لتفوزي بنعيم الآخرة، ولم تكن تستشرف ببصرها إلى ما ليس من حقها أو تنزل إلى سؤال أحد غير ربها، بل كانت غنية بنفسها قريرة بحالها لانها سمعت اباها يقول: ليس الغنى من كثرة المال انما الغنى غنى النفس، ويقول لاعرابي وهو يعظه، إذا صليت فصل صلاة مودع ولا تحدثن بحديث تعتذر منه غدا واجمع اليأس عما في أيدي الناس، فإن اليأس عما في أيدي الناس هو الغنى الحاضر وسمعت الإمام علي (عليه السلام) يقول لبعض أصحابه، ليجتمع في قلبك الافتقار إلى الناس والاستغناء عنهم فيكون افتقارك اليهم في لين كلامك وحسن بشرك، ويكون استغناؤك عنهم في نزاهة عرضك

(١) راجع مجمع الزوائد للهيتمي: ج ٩ ص ٢٠١ باب مناقب فاطمة (عليها السلام). ومسنده أبي

يعلى: ج ٨ ص ١٥٣ وبحار الأنوار: ج ٤٣ ص ٨٤

وبقاء عزك.

ولم تحفل بزخارف الدنيا ومظاهرها وقد سمعت اباها يقول من اصبح وهمه الدنيا شئت الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يؤته من الدنيا إلا ما كتب له، ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله له غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة^(١).

وقد قال لعلي وفاطمة تسمعه، يا علي من عرضت له الدنيا فاختر الآخرة على الدنيا فله الجنة ومن اختار الدنيا استخفافاً بآخرته فله النار^(٢).

وسمعت اباها يقول: ان ربي عز وجل عرض علي أن يجعل لي بطحاء مكة ذهباً، فقلت لا يارب: ولكن اجوع يوماً واشبع يوماً فالיום الذي أجوع فيه فأتضرع اليك وأدعوك وأما اليوم الذي اشبع فيه فأحمدك واثني عليك^(٣).

وكان من أبرز صفاتها الصبر على البلاء والشكر عند الرخاء والرضا بواقع القضاء بعدما روت عن ابيها (صلى الله عليه وآله) انه قال: ان الله إذا أحب عبداً ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضي اصطفاه، وروت عنه انه قال: ان الله أوحى إلى موسى بن عمران وقال له: أنا أعلم بما يصلح عبدي المؤمن فليصبر على بلائي واليشكر نعمائي واليرضى بقضائي اكتبه في الصديقين

(١) مسند أحمد ابن حنبل: ج ٥ ص ١٨٣.

(٢) معارج اليقين في اصول الدين للسبزواري: ص ٢٩٦ وجامع السعادات للنراقى: ج ٢ ص ٤٤.

(٣) راجع: حلية الأبرار للبحراني: ج ١ ص ٢٢٠ وبحار الأنوار: ج ١٦ ص ٢٢٠.

عندي^(١).

وكانت من أقرب الناس إلى أبيها في الجود والسخاء لأنها سمعته يقول: السخاء شجرة من أشجار الجنة اغصانها متدلّية إلى الأرض فمن اخذ منها غصنا قاده ذلك الغصن إلى الجنة، وسمعته يقول السخي قريب من الله قريب من الناس وقريب من الجنة بعيد عن النار^(٢) وإن الله جواد يحب الجواد وجاء في دلائل الإمامة^(٣) عن الحسين عن أمه الزهراء (عليها السلام) أنها قالت قال رسول الله: إياك والبخل فإنه عاهة لا تكون في كريم، إياك والبخل فإنه شجرة في النار واغصانها في الدنيا فمن تعلق بغصن من اغصانها أدخله النار وسمعت زوجها علياً (عليه السلام) يقول: من يبسط يده بالمعروف إذا وجده ويخلف الله له ما أنفق في الدنيا ويضاعف له في آخرته^(٤).

وبلغ من جودها وسخائها أنها كانت تؤثر على نفسها وتعطي الفقراء قوتها الذي لا تملك سواه اقتداءً بأبيها وبعلمها وبهم نزلت الآية ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾^(٥) والاية تقول: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ

(١) توحيد الصدوق: ص ٤٠٥ ومستدرک الوسائل: ج ٢ ص ٤٠٩.

(٢) زبدة البيان للأردبيلي: ص ٣٢٤.

(٣) دلائل الإمامة لمحمد بن جرير ابن رستم الطبري الآملي الشيعي: ص ٧١.

(٤) الكافي: ج ٤ ص ٤٣.

(٥) الحشر: ٩.

حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴿١﴾.

وقد روى المحدثون سنة وشيعة مائة الروايات في فضلها وكرامتها ومن غير المستبعد أن يكون المحبون أن يذكروا في تاريخها الحافل بالقيم والتضحيات في سبيل أبيها ورسالته التي جسدها في سلوكها وأقوالها يغنيها عن التعلق بالغيبيات التي لا تتسع لها أفاق الكثير من الناس ولا يقوى على تحملها إلا من أوتي الحكمة وفصل الخطاب.

وبقت فاطمة الزهراء طيلة حياتها مع أبيها وزوجها الإمام وذابت في حبهما كما تذوب الشموع وكانت مستقراً للذرية الطاهرة التي انحدرت بمشيئة الله صانع المشيئات من نبي ووصي فأولدت لهما الحسن والحسين وقال فيهما جدهما هذا ولداي امامان قاما أو قعدا وادخلهما تحت كسائه مع أبيهما وأمهما فأنزل الله عليه ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(٢) وأخبر الأمة بجميع اجيالها المتتالية إلى يوم البعث انهما وأباهما وأمهما والأئمة الأطهار من ولد الحسين لن يفترقا عن القرآن ما دام على وجه الأرض اناس يقدسونه ويرددون آياته، كما أولدت زينب وأم كلثوم.

وأول مولود استقبله رسول الله من دوحة النبوة والامامة سبطه الحسن (عليه السلام) في نصف رمضان من السنة الثالثة للهجرة فأقر به عين الزهراء

(١) آل عمران: ٩٢.

(٢) الاحزاب: ٣٣.

ومحببها وسعى البشير نبأ ولادته إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فخفف إليها يحدوه الشوق للنظر إلى مولوده الجديد الذي وجد فيه وفي أخيه الحسين الذي ولد بعده بأقل من عام سلوته عن ولديه اللذين استردهما الله إليه صغيرين قبل سن الفطام وتفتح قلبه لهذين الحفيدين ورأى فيهما امتداداً لحياته على هذه الأرض ومنفسا لما يفيض به قلبه من عاطفة الأبوة بعد أن يئس من الأولاد بموت خديجة في حين انه خلال سبع سنوات على وفاتها قد تزوج بخمس من النساء كما جاء في سيرته من هي في سن مبكر من حياتها ومع ذلك لم يرزق بولد من هاتيك الزوجات إذا إستثينا مارية القبطية التي أولدها إبراهيم فكان يداعبه ويحنو عليه ويرتاح إلى حركاته ونموه السريع وملامحه تزهو في قسماته وتزداد وضوحاً على مرور الايام ولكن مشيئة الله قضت بأن ينتظره الموت في أواخر السنة التاسعة من هجرته بعد ان عاش ستة عشر شهرا أو تزيد على اشهر الروايات فدب في جسمه المرض ولم يمهلته سوى أيام معدودات فبكاه النبي حتى ظهر ذلك لاصحابه وانقطعت بموته ذرية الرسول الا من ابنته فاطمة سيدة النساء.

قالت بنت الشاطي في كتابها تراجم سيدات بيت النبوة: فليس بغريب بعد هذا إذا أقبل (صلى الله عليه وآله) على سبطيه الحسن والحسين يغمرهما بكل ما امتلأ به قلبه الكبير من حب وحنان ويفيض عليهما من عاطفة الأبوة ما شاء له الحرمان من الولد على كثرة ما تزوج به من النساء وليس بعجيب ان دعاها ابنيه وشمهما وضمهما إليه وكان أسماهما نعمة حلوة في فمه يستلذ بها ويمل من ترديدها وان يجد فيهما انسه وسلوته

عمن فقد من الأبناء ومضت تقول: لقد آثر الله الزهراء بالنعمة الكبرى فخص في ولدها ذرية نبيه المصطفى وحفظ بها اشرف سلالة عرفتها البشرية منذ كانت ، كما كرم الله علياً (عليه السلام) فجعل من صلبه نسل خاتم الأنبياء فكان له من هذا الشرف مجد الدهر وعز الأبد.

ولعل محمداً لو خير أي بناته تكون وعاء لنسله الطاهر وأي أصهاره يكون أباً لأهل البيت الشريف لاختار ماختره الله فعلى اقرب اصهاره إليه مكانا وأمسهم به رحما في عروقه يجري الدم الهاشمي الاصيل وعند عبد المطلب يلتقي نسبه بنسب الرسول العظيم.

ومضت تقول وكان علي (عليه السلام) يعرف منزلته عند النبي ويعتز بها إلى حد جعله يسأل الرسول ذات يوم وقد غمره فيض من عطفه أيهما أحب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ابنته فاطمة أم زوجها علي فأجابه رسول الله في ابتسامة لبقة: فاطمة أحب اليّ منك وأنت أعزّ عليّ منها.

وبلا شك فقد كان لموقف النبي (صلى الله عليه وآله) من فاطمة وبنيتها أثر عميق في نفسها ونفس ابن عمها علي (عليه السلام) فأحست فاطمة بالغبطة والسعادة إذا استطاعت بفضل الله سبحانه أن تهيب لأبيها هذه المتعة التي وجدها في سبطيه الغالبين ولم يكن علي (عليه السلام) أقل منهما سعادة وغبطة بهذا الاتصال الوثيق الذي مزج دمه بدم النبي وأخرج من صلبه ذرية سيد العرب والعجم أبناء بنته الزهراء وآل بيته الكرام وذهب دون الناس جميعا بمجد الأبوة لسلالة النبي وسلام الله عليه حيث يقول: كل بني قوم ينتمون لأبائهم ألا ولد فاطمة فأني أنا أبوهم وقال فيهما أكثر من

مرة وحوله حشد من المهاجرين والانصار:

انهما ابناي وأبنا ابنتي اللهم اني احبهما واحب من يحبهما^(١).

لقد عاشت الزهراء طيلة حياتها مع علي (عليه السلام) في بيت ابيها يوم ضمه إليه وهو في سن الطفولة شطرا من حياتهما والشرط الآخر بعد زواجهما في البيت الذي اعده لهما، وبلا شك حينما وافقت على الزواج منه كانت تعرفه من جميع نواحيه وتعرف فيه الرجل الذي توفرت فيه أفضل الصفات وتكاملت فيه جميع المواهب وقد وجدت فيه الرجل الذي تكتمل فيه حياتها وتتم بينهما وحدة لا يفصمها الا الموت وفوق ذلك فقد ارتبطت حياتهما مع ذلك برباط أوثق وأصلب من جميع أنواع الروابط التي تشد الناس بعضهم إلى بعض رابطة الإيمان بنبوة محمد ورسالته التي ذابا في سبيلها ونسيا نفسيهما وجميع متع الدنيا وملذاتها كما ذابت أم الزهراء في سبيلها وسبيل زوجها العظيم من قبل.

وأما مصحف فاطمة (عليها السلام)

لقد أحصى المسلمون الأوائل على الرسول جميع أقواله وأفعاله ومن هؤلاء انتقلت سنة الرسول (صلى الله عليه وآله) إلى الطبقة الثانية وغيرها من الطبقات، وبلا شك فان أكثرهم وعياً لأقواله وأفعاله من الطبقة الأولى اولئك الذين كانوا على صلة به في أكثر الأوقات وفي مختلف المناسبات

(١) راجع: أسد الغابة لأبن الأثير: ج ٢ ص ١١ ومطالب السؤل لأبن طلحة الشافعي: ص ٣٣٤

وروى البخاري في صحيحه: ج ٤ ص ٢١٦ [اللهم إني أحبهما فأحبهما].

وعلى هذا الأساس لا بد وأن يكون للصحابة الأوائل دور في هذه الناحية ابرز من أولئك الذين دخلوا الاسلام في السنين الأخيرة من حياتهم ممن امتلأت مجاميع الحديث السنية بمروياتهم وأصبحوا من أوسع المصادر لها في حين ان صلاتهم بالرسول (صلى الله عليه وآله) كانت محدودة للغاية لذلك كان موقف الباحثين من مروياتهم مشوباً بالحذر في الوقت ذاته لا يستبعد أحد على الذين لازموا منذ بعثته إلى ان اختاره الله إليه ان يرووا عنه آلاف الروايات وبخاصة إذا كانوا من المقربين إليه كعلي (عليه السلام) وغيره من الصحابة الأبرار في حين أن مجاميع السنة لم ترو عنهم إلا القليل لما روته عن غيرهم في السنين الثلاثة الأخيرة من حياته كما يجب ان لا نستبعد ما ترويه المصادر الشيعية عن مصحف فاطمة الزهراء ذلك الكتاب الذي ورد ذكره على لسان الأئمة من أهل البيت لأن الزهراء لم تفارق أباهما طيلة حياتها وكانت ترعاه وتتولى خدمته وتسمع احاديثه وأخباره وخطبه بنحو لم تتوفر لغيرها من الناس إذا استثنينا ابن عمها علياً (عليه السلام).

فليس بغريب والحال هذه ان تكون السيدة فاطمة (عليها السلام) قد جمعت قسماً مما سمعته منه ومن زوجها في التشريع والأخلاق والأداب وما سيحدث في مستقبل الزمان من الأحداث والتقلبات وقد ورث الأئمة من أبنائها في جملة ما ورثوه عنها هذا الكتاب واحد بعد واحد.

وقد جاء في رواية الكليني^(١) عن احمد بن عمرو الحلبي عن أبي

بصير أنه قال دخلت على أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) فقال لي يا أبا محمد لقد علم رسول الله علياً ألف باب من العلم يفتح له في كل باب ألف باب قلت هذا والله العلم فنكت ساعة في الأرض ثم قال: انه لعلم وما هو بذلك يا أبا محمد ان عندنا الجامعة وما يدريهم ما الجامعة فقلت جعلت فداك وما الجامعة قال صحيفة طولها سبعين ذراع بذراع رسول الله وأملائه من فلق فيه وخط علي بيمينه فيها كل حلال وحرام وكل شيء يحتاج إليه حتى أرش الخدش وأضاف إلى ذلك الراوي أن الإمام قال: ان عندنا الجفر وما يدريهم ما الجفر أنه وعاء من آدم فيه علم النبيين والوصيين وعلم العلماء الذين مضوا من بني اسرائيل، ثم قال الإمام (عليه السلام): وان عندنا مصحف فاطمة (عليها السلام) وما يدريهم ما مصحف فاطمة قلت وما مصحف فاطمة: قال مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد.

كما جاء في الكافي عن علي بن الحكم عن الحسين بن أبي العلاء أن الإمام الصادق (عليه السلام) كان يقول ان عندنا الجفر الأبيض قلت فأني شيء فيه: قال الزبور لداود وتوراة موسى وانجيل عيسى ومصحف إبراهيم ومصحف فاطمة (عليها السلام).

وحتى لا يلتبس الأمر على أحد ويظن ظان أن كلمة مصحف تعني قرآناً غير الموجود بين أيدي الناس، أو يستقل أحد هذا الاسم فيفسره بغير واقعه بقصد التشويه والتضليل قال الإمام ما أزعج أن فيه قرآناً، بل فيه ما يحتاج الناس إلينا ولا نحتاج إلى أحد حتى أن فيه الجلدة وأرش الخدش.

ومضى الإمام (عليه السلام) يقول عندي الجفر الاحمر، فقال له الراوي وأي شيء فيه فقال (عليه السلام) فيه السلاح وذلك انما يفتح للدم فيفتحه صاحب السيف، فقال له عبد الله بن يعفور: أصلحك الله ايعرف ذلك بنو الحسن ، فقال أي والله: كما يعرفون الليل انه ليل والنهار أنه نهار ولكن يحملهم الحسد وطلب الدنيا على الجحود والانكار ولو طلبوا الحق بالحق لكان خيراً لهم، إلى غير ذلك من المرويات المتفقة في مضامينها على ان الجامعة ومصحف فاطمة والجفر هذه المسميات الثلاثة قد توارثها الأئمة (عليهم السلام) عن جدهم علي وجدتهم الزهراء وتكاد الروايات التي تعرضت لها تكون صريحة في محتويات تلك المسميات الثلاثة لا تتعدى ما جاء به النبي (صلى الله عليه وآله) من أحكام وتشريعات وارشادات وغير ذلك من المواضيع ومن غير المستبعد ان يكون فيها بالاضافة إلى ذلك اشارة لبعض الأحداث والتقلبات التي حدثت خلال الشهور أو السنين والقرون التي تلت وفاته كما تلقاها من الوحي ، كما تشير إلى ذلك رواية الفضيل بن سكرة عن الإمام الصادق وقد جاء فيها ان الإمام الصادق (عليه السلام) قال: كنت أنظر في كتاب فاطمة ليس من يملك الأرض ألا هو مكتوب فيه باسمه واسم أبيه وما وجدت لولد الحسن فيه شيئاً وألمحت إلى ذلك رواية الحسين بن أبي العلاء ومع أن المرويات التي تحدثت عن هذه الكتب وقد تعرض لمضامينها ومحتوياتها، وليست تلك المضامين بعيدة المنال عن النبي وعن طريق الوحي، وليس غريباً على النبي (صلى الله عليه وآله) ان يخبر علياً وفاطمة (عليهما السلام) بشيء مما كان وسيكون، ومع

ذلك فقد استغل جماعة من المحدثين والمؤلفين هذه الأسماء للتشنيع والتشويش على المرويات الشيعية، فقالوا ان لفاطمة قرآنا غير القرآن الموجود بين المسلمين وان لعلي كتابين الجفر والجامعة يحتويان على الحوادث الكونية والأحداث العالمية إلى انقراض العالم، والكتابان مبنيان على حروف ورموز وحسابات يعتمد عليها أئمة الشيعة فيما يخبرون به من الغيبات وأضاف هؤلاء إلى ذلك ، أن القسم الأكبر من الشيعة يعتقدون بأن الأئمة عندهم من الغيب ما لا يمكن أن يكون لأحد سواهم.

الفصل الثالث عشر

في أسمائهم (عليهم السلام) المكتوبة على العرش والكرسي

روى علي بن الفضيل بن العباس عن أبي الحسن علي بن إبراهيم ، عن محمد ابن غالب بن حرب ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة عن يحيى بن سالم عن مسعر عن عطية عن جابر قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) مكتوب على باب الجنة لا إله إلا الله ، محمد رسول الله علي أخو رسول الله . قبل أن يخلق الله السماوات والأرض بألفي عام^(١).

وفي أمالي الصدوق^(٢) : للهمداني عن علي بن إبراهيم عن جعفر بن سلمة عن الثقيفي عن عبدالواحد بن أبي عمرو عن الكلبي عن أبي صالح عن أبي هريرة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : مكتوب على العرش : أنا الله لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي ومحمد عبدي ورسولي أيده بعلي ، فأنزل الله عز وجل : ﴿هُوَ الَّذِي آتَىٰكَ بِنَصْرِهِ

(١) راجع: شواهد التنزيل للحسكاني: ج ١ ص ٢٩٦. وتاريخ بغداد: ج ٧ ص ٣٩٨ وتاريخ ابن

عساكر: ج ٤٢ ص ٥٩ وفضائل الصحابة لأحمد ابن حنبل: ج ٢ ص ٣٦٩.

(٢) أمالي الصدوق: ص ٢٨٤ وراجع تاريخ بغداد: ج ١١ ص ١٧٣.

وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ فكان النصر عليا (عليه السلام) ودخل مع المؤمنين فدخل في الوجهين جميعاً (صلى الله عليه وآله).

وذكر في أمالي الصدوق: عن عبد الرحمان بن أبي العلاء الحضرمي عن سعيد ابن المسيب عن أبي الحمراء قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): رأيت ليلة الاسرى مكتوبا على قائمة من قوائم العرش: أنا الله لا إله إلا أنا وحدي خلقت جنة عدن بيدي، محمد صفوتي من خلقي، أيده بعلي ونصرته بعلي^(٢).

وفي الخصال^(٣): في وصية النبي (صلى الله عليه وآله) إلى أمير المؤمنين عليه السلام: يا علي إني رأيت اسمك مقرونا باسمي في أربعة مواطن فأنست بالنظر إليه إني لما بلغت بيت المقدس في معراجي إلى السماء وجدت على صخرتها: لا إله إلا الله محمد رسول الله أيده بوزيره ونصرته بوزيره فقلت لجبرئيل: من وزيرى؟ فقال: علي بن أبي طالب فلما انتهيت إلى سدرة المنتهى وجدت مكتوبا عليها: إني أنا الله لا إله إلا أنا وحدي محمد صفوتي من خلقي، أيده بوزيره ونصرته بوزيره فقلت لجبرئيل: من وزيرى؟ فقال: علي بن أبي طالب. فلما جاوزت السدرة انتهيت إلى عرش رب العالمين جل جلاله فوجدت مكتوبا على قوائمه: أنا الله لا إله إلا أنا وحدي، محمد حبيبي أيده بوزيره ونصرته بوزيره فلما

(١) الانفال: ٦٢.

(٢) راجع: المصادر السابقة.

(٣) الخصال: ص ٢٠٧ وراجع أيضاً ينابيع المودة للقندوزي: ج ٢ ص ٣٠٣.

١٩٨ الامام علي (عليه السلام) من الكعبة إلى المحراب

رفعت رأسي وجدت علي بطنان العرش مكتوباً: أنا الله لا إله إلا أنا وحدي ،
محمد عبدي ورسولي ، أيدته بوزيره ونصرته بوزيره.

وفي الخصال : عن الحسن بن علي بن محمد العطار عن سليمان بن
أيوب المطلبي عن محمد المصري عن موسى بن إسماعيل بن موسى بن
جعفر عن آبائه عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال : قال رسول الله صلى
الله عليه وآله : دخلت الجنة فرأيت علي بابها مكتوباً بالذهب : لا إله إلا الله ،
محمد حبيب الله ، علي ولي الله ، فاطمة أمة الله ، الحسن والحسين صفوة
الله على مبغضهم لعنة الله^(١).

وفي قصص الأنبياء^(٢) : بالاسناد إلى الصدوق عن إبراهيم بن هارون
عن أبي بكر أحمد بن محمد بن محمد بن يزيد القاضي عن قتيبة بن سعيد
عن الليث بن سعيد وإسماعيل بن جعفر عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال
رسول الله (صلى الله عليه وآله) : لما خلق الله آدم ونفخ فيه من روحه التفت
آدم يمئة العرش فإذا خمسة أشباح فقال : يا رب هل خلقت قبلي من البشر
أحدا قال : لا.

قال آدم: يا رب من هؤلاء الذين أرى أسماءهم ؟ فقال : هؤلاء خمسة
من ولدك لولاهم ما خلقتك ولا خلقت الجنة ولا النار ولا العرش ولا
الكرسي ولا السماء ولا الأرض ولا الملائكة ولا الجن ولا الانس ، هؤلاء

(١) المصدر السابق وراجع أيضاً مناقب الخوارزمي: ص ٢٤٠.

(٢) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٤٧ وراجع أيضاً فرائد السمطين: ج ١ ص ٣٦ وراجع

المطالب: ص ٤٦١ وروى قريباً منه الخوارزمي في المناقب: ص ٢٥٢.

خمسة شققت لهم اسما من أسمائي فأنا المحمود وهذا محمد ، وأنا الاعلى وهذا علي ، وأنا الفاطر وهذه فاطمة ، وأنا ذو الاحسان وهذا الحسن ، وأنا المحسن وهذا الحسين ، آليت علي نفسي أنه لا يأتيني أحد وفي قلبه مثقال حبة من خردل من محبة أحدهم إلا أدخلته جنتي ، وآليت بعزتي أنه لا يأتيني أحد وفي قلبه مثقال حبة من خردل من بغض أحدهم إلا أدخلته ناري ، يا آدم هؤلاء صفوتي من خلقي بهم أنجي من أنجي وبهم أهلك من أهلك .

وفي رواية أخرى عن أبي الصلت الهروي عن الرضا صلوات الله عليه قال : إن آدم صلوات الله عليه لما أكرمه الله تعالى بإسجاده ملائكته له وبإدخاله الجنة ناداه الله : ارفع رأسك يا آدم ، فانظر إلى ساق عرشي ، فنظر فوجد عليه مكتوباً : (لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، علي بن أبي طالب أمير المؤمنين ولي الله ، وزوجته فاطمة سيدة نساء العالمين ، والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة) فقال آدم : يا رب من هؤلاء ! قال عز وجل : هؤلاء ذريتك لولاهم ما خلقتك^(١) .

وفي قصص الأنبياء^(٢) : ذكر المرتضى بن الداعي عن جعفر الدورستاني عن أبيه عن الصدوق عن الحسين بن محمد بن سعيد عن فرات بن إبراهيم عن الحسن بن الحسين عن إبراهيم بن الفضل عن الحسين بن

(١) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٤٨.

(٢) المصدر السابق، وراجع أيضاً المناقب للخوارزمي: ص ٣١٨ وينايع المودة للقندوزي: ج ١

علي الزعفراني عن سهل بن سنان عن أبي جعفر بن محمد الطائفي عن محمد بن إسحاق عن الواقدي عن مكحول عن طاووس عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لما خلق الله تعالى آدم وقفه بين يديه فعطس فألهمه الله أن حمده . فقال : يا آدم أحمدتني ، فوعزتي وجلالي لولا عبدان أريد أن أخلقهما في آخر الزمان ما خلقتك . قال آدم : يا رب بقدرهم عندك ما اسمهم ؟ فقال تعالى : يا آدم انظر نحو العرش ، فإذا بسطرين من نور أول السطر : لا إله إلا الله محمد نبي الرحمة وعلي مفتاح الجنة ، السطر الثاني : آليت على نفسي أن أرحم من والاهما ، وأعذب من عاداهما .

وذكر أحمد بن محمد عن علي بن الحكم عن عبد الرحمان عن بكير الهجري عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : إن أول وصي كان على وجه الأرض هبة الله بن آدم ، وما من نبي مضى إلا وله وصي ، وكان عدد جميع الأنبياء مائة ألف نبي وأربعة وعشرين ألف نبي ، خمسة منهم أولو العزم : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ، وإن علي بن أبي طالب كان هبة الله لمحمد (صلى الله عليه وآله) ، ورث علم الأوصياء وعلم من كان قبله . أما إن محمداً ورث علم من كان قبله من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام .

وعلى قائمة العرش مكتوب : حمزة أسد الله وأسد رسوله وسيد الشهداء ، وفي زوايا العرش مكتوب عن يمين العرش ربنا وكلتا يديه يمين : (علي أمير المؤمنين) فهذه حجتنا على من أنكر حقنا وجحدنا ميراثنا ، وما

منعنا من الكلام وأمامنا اليقين ، فأى حجة تكون أبلغ من هذا^(١) .

قال في النهاية في حديث الحجر الأسود يمين الله في أرضه هذا كلام تمثيل وتخيل ، ومنه الحديث الآخر : وكلتا يديه يمين ، أي أن يديه تبارك و تعالى بصفة الكمال لا نقص في واحدة منهما ، لان الشمال ينقص من اليمين .

وأراد عليه السلام أنه مكتوب عن يمين العرش ، وليس شمال العرش أنقص من يمينه ، بل لكل منهما شرافة وفضيلة . قوله : وأمامنا اليقين أي ما يمنعنا من الكلام والموت المتيقن أمامنا نصل إليه عن قريب ، ونخرج من أيدي الظالمين ونفوز بثواب الله رب العالمين .

وفي كشف اليقين^(٢) : من كتاب الإمامة عن هشام بن سالم عن الحارث بن المغيرة النضري قال : حول العرش كتاب جليل مسطور : إني أنا الله لا إله إلا أنا ، محمد رسول الله ، علي أمير المؤمنين .

وفي كشف اليقين^(٣) من كتاب الإمامة عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : لما أخطأ آدم خطيئته توجه بمحمد وأهل بيته ، فأوحى الله إليه : يا آدم ما علمك بمحمد ؟ قال : حين خلقتني رفعت رأسي فرأيت في العرش مكتوباً: محمد رسول الله ، علي أمير المؤمنين ولي الله .
عن محمد بن أحمد بن الحسن بن شاذان عن محمد بن عبد الله عن

(١) الكافي: ج ١ ص ٢٢٤ والبحار: ج ١١ ص ٤١ .

(٢) كشف اليقين لأبن طاووس: ٥٥ .

(٣) كشف اليقين: ص ٣٧ .

٢٠٢ الامام علي (عليه السلام) من الكعبة إلى المحراب

عبادة بن يعقوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : والذي بعثني بالحق بشيراً ما استقر الكرسي و العرش ولا دار الفلك ولا قامت السماوات والأرض إلا بأن كتب عليها: لا إله إلا الله محمد رسول الله ، علي أمير المؤمنين ولي الله، وإن الله تعالى لما عرج بي إلى السماء واختصني اللطيف بنداؤه قال : يا محمد! قلت: لبيك ربي وسعديك ، قال : أنا المحمود وأنت محمد ، شققت اسمك من اسمي ، وفضلتك على جميع بريتي فانصب أخاك علياً علماً لعبادي يهديهم إلى ديني ، يا محمد إنني قد جعلت علياً أمير المؤمنين اماماً، فمن تأمر عليه لعنته ومن خالفه عذبتة ، ومن أطاعه قربته ، يا محمد إنني جعلت علياً إمام المسلمين فمن تقدم عليه أخزيتة ، ومن عصاه أشجيتة إن علياً سيد الوصيين وقائد الغر المحجلين وحجتي على خلقي أجمعين.

وفي كتاب الفردوس قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): لما عرج بي إلى السماء وعرضت علي الجنة وجدت علي أوراق الجنة مكتوباً: لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، علي بن أبي طالب ولي الله ، الحسن والحسين صفوة الله.

وفي مناقب الخوارزمي عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): مكتوب علي باب الجنة : (محمد رسول الله ، علي بن أبي طالب أخو رسول الله) قبل أن يخلق الله السماوات

في اسمائهم (عليهم السلام) المكتوبة على العرش والكرسي ٢٠٣ والأرض^(١).

ومنه عن علي (عليه السلام) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):
أتاني جبرئيل وقد نشر جناحيه فإذا فيها مكتوب : (لا إله إلا الله ، محمد
النبي) ومكتوب على الآخر : لا إله إلا الله ، علي الوصي^(٢) .
روى الكراجكي في كنز الفوائد^(٣) : قال حدثني الشريف طاهر بن
موسى الحسيني بمصر سنة سبع وأربعمائة عن عبد الوهاب بن أحمد
الخلال عن أحمد بن محمد بن زياد عن أبي الحسن الطهراني ، عن أبي
الحسن التمار عن أبي سعيد عن عبد الرزاق عن معمر قال : أشخصني هشام
بن عبد الملك عن أرض الحجاز إلى الشام زائراً له ، فسرت فلما أتيت
أرض البلقاء رأيت جبلاً أسود وعليه مكتوب أحرفاً لم أعلم ما هي ،
فعجبت من ذلك . ثم دخلت عمان قصبه البلقاء ، فسألت عن رجل يقرأ ما
على القبور والجبال ، فأرشدت إلى شيخ كبير فعرفته ما رأيت ، فقال :
اطلب شيئاً أركبه لأخرج معك ، فحملته معي على راحلتي وخرجنا إلى
الجبيل ومعني محبرة ، وبياض ، فلما قرأه قال لي : ما أعجب ما عليه
بالعبرانية، فنقلته بالعربية فإذا هو : باسمك اللهم جاء الحق من ربك بلسان
عربي مبين : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، وعلي ولي الله (صلى الله
عليهما). وكاتبه موسى بن عمران بيده.

(١) كشف الغمة: ص ١٠٠

(٢) كشف الغمة: ص ٨٧

(٣) كنز الفوائد: ص ١٥٤.

وفي المناقب^(١) لمحمد بن أحمد بن شاذان القمي باسناده عن ابن مسعود قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: إن للشمس وجهين، فوجه يضيئ لأهل السماء، ووجه يضيئ لأهل الأرض، وعلى الوجهين منهما كتابة، ثم قال: أتدرون ما تلك الكتابة؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: الكتابة التي تلي أهل السماء: الله نور السماوات والأرض، وأما الكتابة التي تلي أهل الأرض: علي نور الأرضين.

وباسناده عن ابن مسعود قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): لما خلق آدم ونفخ فيه من روحه عطس آدم فقال: الحمد لله فأوحى الله تعالى إليه: حمدتني عبدي! وعزتي وجلالي لولا عبدان أريد أن أخلقهما في دار الدنيا ما خلقتك، قال: الهي فيكونان مني؟ قال: نعم يا آدم ارفع رأسك فانظر، فرفع رأسه فإذا مكتوب على العرش: لا إله إلا الله، محمد نبي الرحمة، وعلي مقيم الحجة، من عرف حق علي زكى وطاب، ومن أنكر حقه لعن وخاب، أقسمت بعزتي أن ادخل الجنة من أطاعه وأتبع أوامره وأقسمت بعزتي أن ادخل النار من عصاه وخالف أمره.

وروى الحسن بن سليمان في كتاب المحتضر ما رواه من كتاب المناقب لابن البطريق باسناده عن أبي هريرة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): مكتوب على العرش: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له محمد عبدي ورسولي أيده بعلي بن أبي طالب) وذلك قوله تعالى في كتابه العزيز:

(١) مائة منقبة للقمي: ص ٧٧ وراجع مدينة المعاجز للبحراني: ج ٢ ص ٤٠٦.

﴿هُوَ الَّذِي آتَدُكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ بعلي بن أبي طالب.

وفي كتاب المختصر للحلي ص ١٨٩ قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ليلة أسري بي إلى السماء أمر الله عز وجل بعرض الجنة والنار علي ، فرأيتها جميعا ، رأيت الجنة وألوان نعيمها ، ورأيت النار وألوان عذابها ، وعلى كل باب من أبواب الجنة الثمانية : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، علي ولي الله^(١) .

ومن تفسير محمد بن العباس بن مروان عن جعفر بن محمد بن مالك عن أحمد بن محمد بن عمرو عن عبد الله بن سليمان عن إسماعيل بن إبراهيم عن عباد بن محمد عن جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام قال : هبط على النبي (صلى الله عليه وآله) ملك من المقربين له عشرون ألف رأس ، فوثب النبي (صلى الله عليه وآله) ليقبله فقال له الملك : مهلاً مهلاً يا محمد ، فأنت أكرم من أهل السماوات وأهل الأرض أجمعين ، والملك يقال له : محمود ، فإذا بين منكبيه : (لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، علي الصديق الأكبر) فقال له النبي (صلى الله عليه وآله) : منذ كم هذا الكتاب مكتوب بين منكبيك ؟ قال : من قبل أن يخلق الله أباك آدم باثني عشر ألف عام^(٢) .

ومن كتاب المعراج تأليف الشيخ الصالح أبي محمد الحسن ياسناده

(١) راجع: نظم درر السمطين للحنفي: ص ١٢٢ ومعارج الوصول الى معرفة فضل آل الرسول

للزرندي الشافعي: ص ٤٨ وكشف الغمة: ج ١ ص ٩٤.

(٢) راجع: مدينة المعاجز للبحراني: ج ٢ ص ٤١٣ وتأويل الآيات لشرف الدين: ج ٢ ص ٦٦٤.

عن الصدوق رفعه عن أبي الحمراء قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): لما أسري بي إلى السماء دخلت الجنة فإذا مثبت على ساق العرش الأيمن : إني أنا الله لا إله إلا أنا وحدي غرست جنة عدن بيدي ، أسكتها ملائكتي ، محمد صفوتي من خلقي ، أيده بعلي ونصرته بعلي^(١) .

وعن ابن فضال عن مروان ابن مسلم عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : مسطور بخط جليل جلي وواضح حول العرش : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، علي أمير المؤمنين .

ومنه عن الصدوق عن ابن الوليد عن الصفار عن البرقي عن أبيه عن أحمد ابن النضر عن جابر الأنصاري قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ما بال أقوام يلومونني في محبتي لأخي علي بن أبي طالب ؟ فوالذي بعثني بالحق نبياً ما أحببته حتى أمرني ربي جل جلاله بمحبته ، ثم قال : ما بال أقوام يلومونني في تقديمي لعلي بن أبي طالب ؟ فوعزة ربي ما قدمته حتى أمرني عز اسمه بتقديمه وجعله أمير المؤمنين وأمير أمتي وإمامها ، أيها الناس إنه لما عرج بي إلى السماء السابعة وجدت على كل باب سماء مكتوباً : - (لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، علي بن أبي طالب أمير المؤمنين ولي الله) ولما صرت إلى حجب النور رأيت على كل حجاب مكتوباً (لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، علي بن أبي طالب أمير المؤمنين ولي الله)^(٢) .

(١) أمالي الصدوق: ص ٢٨٤ وراجع أيضاً: روضة الواعظين للنيسابوري: ص ٤٢ وشرح

الأخبار للمغربي: ج ٢ ص ٣٨٠ والفضائل لأبن شاذان القمي: ص ١٦٨ والجواهر السنية

للحر العاملي: ص ٢٢٠ ونظم درر السطمين: ص ٧٧.

(٢) راجع: المختصر للحلي: ص ٣٢٤.

الفصل الرابع عشر

على (عليه السلام) في حجة الوداع

في الخامس والعشرين من شهر ذي القعدة من السنة العاشرة للهجرة تحرك موكب النبي من المدينة باتجاه بيت الله تحف به تلك الالوف التي قدرها بعض المؤرخين بتسعين ألف و البعض الاخر بما يزيد على مائة الف مقبطين بهذا اللقاء الذي لم يشهد تاريخ العرب نظيراً له من قبل لانه لقاء بين عرب الجزيرة من جميع جهاتها تحت راية واحدة وبهدف واحد يرددون كلمات الرسالة:

(لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك لبيك) وجاء في الارشاد للمفيد^(١) أن النبي (صلى الله عليه وآله) قبل خروجه من المدينة بأيام كتب إلى علي وكان قد وجهه إلى اليمن أو نجران وأمره ان يوافيه لمكة حاجاً، وخرج علي بمن معه قاصداً مكة ليحج معه في عامه هذا ومعه الغنائم التي اصابها في غزوته، والتقى

(١) إرشاد المفيد: ج ١ ص ١٧٢.

بالنبي وقد اشرف على دخول مكة فاستبشر بلقائه وقال له بم أهلت فقال له يا رسول الله: انك لم تكتب إلي يا هلالك ولا عرفتيه فعقدت نيتي بنيتك وقلت اللهم إهلالاً كما هلال نبيك وسقت معي من البدن اربعا وثلاثين. فقال له رسول الله: الله أكبر وانا سقت معي ستاً وستين فأنت شريكي في حجي ومناسكي وهديي فأقم على احرامك وعد إلى جيشك وعجل به حتى نجتمع بمكة وكان قد سبق الجيش حينما بلغ مشارفها.

وفي هذه السنة امر النبي من لم يسق معه الهدى ممن كان فرضه القرآن أن يحل احرامه يجعلها عمرة، ثم بعد ذلك عندما يريد الصعود إلى عرفات أن يحرم للحج وساق معه الهدى يبقى على احرامه إلى ان يتم مناسك الحج وجرى لفظ بين المسلمين حول هذا التشريع الذي اعتبروه مفاجأة لهم، فقال رسول الله: لولا اني سقت الهدى لاحتلت وجعلتها عمرة مفردة، وهذه هي احدى المتعتين التي نهى عنها الخليفة الثاني واباحها رسول الله بقوله: متعتان كانتا على عهد النبي وأنا أحرمها وأعاقب عليهما.

وفي هذه السنة خطب رسول الله اصحابه اكثر من مرة وبين لهم أحكام الإسلام في الحج وغيره وأشار إلى مصيره المحتوم مما أثار في نفوسهم كوامن الخوف على حياته لاسيما وقد سمعوه مرة يقول لعلي: لا القاكم بعد عامي هذا ومر يقول في مستهل خطابه على تلك الجموع: أيها الناس يوشك أن ادعى فأجيب وتوالى منه التلميح بنهاية أجله فقال لهم مرة: ان جبرائيل كان يعرض على القرآن في كل عام مرة، وفي هذه السنة عرضه على مرتين واني يوشك أن ادعى فأجيب وأنزل الله عليه:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ وكان شديد الحرص على تبليغ

الاحكام فوقف بين تلك الجموع في مكة اكثر من مرة وفي عرفات ومنى وفي كل مناسبة كان يلوح بالمصير الذي لاينجو منه احد ويؤكد عليهم بالتزام الاحكام والعمل والسير على الخطوات التي رسمها اليهم، وفي طريقه من مكة إلى المدينة ومعه تلك الحشود التي لم تشهدا مكة من قبل وقبل ان يتفرق الناس، نزل في مكان قريب من جحفة على غير ماء وكلاء فاستغرب المسلمون نزوله في ذلك المكان الذي لم يكن منزلاً لاحد من قبله ولم يكن هو ينزل فيه لولا أن الوحي خاطبه بلهجة لم يعهدا من قبل، يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس.

وجاء في البداية^(١) والنهاية لابن كثير الدمشقي عن زيد بن أرقم قال:

أن النبي لما رجع من حجة الوداع ونزل في غدير خم أمر بدوحات فقممن ثم وقف تلك الجموع، وقال أيها الناس كأني قد دعيت فأجبت:

إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف

تخلفوني فيهما فانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض.

أن الله مولاي وأنا ولي كل مؤمن ومؤمنة، وأخذ بيد علي (عليه

السلام) وقال: من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من

وأضاف إلى ذلك أن الراوي قال لزيد بن أرقم: أنت سمعته من رسول الله فقال ما كان في الدوحات أحد الأراه بعينه وسمعه بأذنه. وفي كتاب البدايه والنهاية (ج ٧ ص ٣٦٣) قال الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي حدثنا عبدالله بن علي بن محمد ابن بشران حدثنا علي بن عمر الحافظ حدثنا أبونصر حبشون بن موسى بن أيوب الخلال حدثنا علي بن سعيد الرملي حدثنا ضمرة بن ربيعة القرشي عن ابن شوذب عن مطر الوراق عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال: (من صام يوم ثمانى عشرة من ذي الحجة كتب له صيام ستين شهراً وهو يوم غدیر خم لما أخذ النبي (صلى الله عليه وآله) بيد علي بن أبي طالب فقال: (الست ولي المؤمنين، قالو: بلى يا رسول الله، قال من كنت مولاه فعلي مولاه) فقال عمر بن الخطاب بخ بخ لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم ومسلمه فأنزل الله عز وجل ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾.

وفي نفس الكتاب قال الامام أحمد: حدثنا عفان حدثنا أبو عوانه عن المغيرة عن أبي عبيد عن ميمون بن أبي عبدالله قال قال زيد بن أرقم وأنا اسمع نزلنا مع رسول الله بوادي يقال له واد خم فأمر بالصلاة فصلاها بهجير قال: فخطبنا وظلل لرسول (صلى الله عليه وآله) بثوب على شجرة سمرة من

(١) إذا أردت أن تطلع على مصادر حديث الغدير فعليك بمراجعة كتاب الغدير للعلامة

الشمس فقال: «الستم تعلمون أو الستم تشهدون أني أولى بكل مؤمن من نفسه، قالوا: بلى، قال: فمن كنت مولاه فأناً علياً مولاه، اللهم عادي من عاداه ووال من والاه».

ومضى ابن كثير يقول: أن صدر الحديث متواتر يعني بذلك قول النبي لعلي من كنت مولاه فهذا علي مولاه وأما بقيته وهي اللهم والي من والاه وغير ذلك مما ورد في أكثر الروايات فقوية الاسناد، على حد تعبيره، ومضى يقول: أن رباح بن الحارث قال: جاء رهط إلى علي بالكوفة فقالوا السلام عليك يا مولانا فقال: وكيف اكون مولاكم وأنتم قوم عرب فقالوا سمعنا رسول الله يوم غدیر خم يقول من كنت مولاه فهذا علي مولاه، وقال رباح بن الحارث فلما مضوا تبعتهم وسألت عنهم فقل لي أنهم من الانصار فيهم أيوب الانصاري.

كما روى عن أبي هريرة أنه دخل المسجد فاجتمع عليه الناس فقام اليه شاب وقال انشدك الله أسمعت رسول الله يقول لعلي يوم غدیر خم، من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه فقال اللهم نعم.

وفي رواية ثانية رواها عن أبي هريرة في البداية (ج ٧- ص ٣٦٣) ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ نزلت على النبي بهذه المناسبة.

وقال ابن كثير في بدايته بعد ان أطل الحديث عن موقف النبي في

غدیر خم، قال: ان علي ابن ابي طالب جمع الناس في الرحبة وفيهم جماعة

٢١٢ الامام علي (عليه السلام) من الكعبة إلى المحراب

من الصحابة كانوا قد حجوا مع النبي في السنة العاشرة من هجرته فقام سبعة عشر رجلاً ممن حضروا معركة بدر فشهدوا ان النبي (صلى الله عليه وآله) أخذ بيد علي وقال:

الست اولى بالمؤمنين من انفسهم قالوا بلى يا رسول الله فقال من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاده.

ومضى ابن كثير يقول: أن الطبري قد الف في حديث الغدير مجلدين جمع فيهما اسانيدہ والفاظه، وعلى أي الاحوال فقد روى حديث الغدير بالنص الذي ذكرناه جميع المحدثين والمؤرخين كما رواه كل من الامام أحمد في مسنده والرازي في تفسيره والبغدادى في تاريخه والطبراني في ذخائره وصاحب الرياض النضرة وفيض الغدير، وأكد كل هؤلاء أن عمر بن الخطاب بعد أن انتهى النبي (صلى الله عليه وآله) من خطابه هنا علماً وقال له: اصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، كما نص جماعة من المؤرخين أن ابابكر قال له ذلك، وأن الاية اليوم أكملت لكم دينكم نزلت على النبي بهذه المناسبة.

وقال: المفيد في ارشاده أن النبي أفرد لعلي خيمة وأمر المسلمين أن يدخلوا عليه فوجاً ويسلموا عليه باء مرة المؤمن ففعل ذلك كلهم حتى من كان معه من ازواجه ونساء المسلمين.

وجاء في الكافي للكليني^(١) عن علي بن ابراهيم عن أبيه عن ابن ابي

(١) الكافي: ج ١ ص ٢٨٩ وراجع أيضاً تفسير الميزان للطباطبائي: ج ٦ ص ١٦ وتفسير الصافي

للكاشاني: ج ٢ ص ٥٢.

عمير عن عمرو بن اذينة عن زرارة والفضيل بن يسار وبكير بن أعين
ومحمد بن مسلم وبريل بن معاوية عن أبي جعفر الباقر أنه قال: أمر الله عز
وجل رسوله بولاية علي وأنزل عليه، ﴿إِنَّمَا وَلَيْكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ
آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(١).

فلم يدروا ما هي الآية فأمر الله محمداً أن يفسرها لهم كما فسر لهم
الصلاة والزكاة والصيام والحج، فلما أتاه ذلك من الله ضاق به ذرعا
وتخوف أن يرتدوا عن دينهم ويكذبوه فضاق صدره وراجع ربه فأوحى
إليه، ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا
بَلَغْتَ رَسُولَهُ وَاللَّهُ يَعَصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٢) فصدع بأمر الله وقام بولاية
علي يوم غدير خم فأنزل الله عليه ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ
عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٣).

وقال ابن الجوزي في تذكرته^(٤): لقد اتفق علماء السيرة على ان قصة

الغدير كانت بعد رجوع النبي (صلى الله عليه وآله) من حجة الوداع في
ثامن عشر من ذي الحجة، ومعه من الصحابة مائة وعشرون ألفاً وقد سمعوا
منه مقالته في علي (عليه السلام) بصريح العبارة دون التلويح والاشارة

(١) المائة: ٥٥.

(٢) المائة: ٦٧.

(٣) المائة: ٣.

(٤) تذكرة خواص الأئمة: ص ٣٠ وتفسير الثعلبي في سورة سأل سائل وينابيع المودة:

ومضى يقول: ان أبا اسحاق الثعلبي في تفسيره ذكر باسناده ان النبي (صلى الله عليه وآله) لما قال ذلك وبينه للمجتمع شاع في البلاد والامصار، فبلغ ذلك الحرث بن النعمان الفهري فأتاه على ناقة له واناخها على باب المسجد وقال يا محمد:

انك امرتنا أن نشهد أن لا إله الا الله وأنك رسول الله فقبلنا منك ذلك وأمرتنا بأن نصلي خمسة صلوات في اليوم والليله ونصوم شهر رمضان ونحج البيت ونزكى اموالنا فقبلنا منك ذلك، ثم لم ترضى بذلك حتى رفعت بضبعي ابن عمك وفضلته على الناس وقلت من كنت مولاه هذا علي مولاه فهذا شئ منك او من الله.

فقال رسول الله: وقد اجمرت عيناه: والله الذي لا إله الا هو أنه من الله وليس مني وكرر ذلك ثلاثاً، فقام الحرث وهو يقول اللهم ان كان ما يقوله محمد حقاً فارسل علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب اليم فوالله ما بلغ ناقته حتى رماه الله بحجر فوق علي هامته وخرج من دبره^(١) فمات من ساعته فأنزل الله ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾^(٢).

ثم قال: فأما قوله من كنت مولاه: فان علماء العربية ذكروا ان المولى يرد على وجوه أحدها المالك ومنه قوله تعالى: ﴿ضرب الله مثلاً عبداً

(١) راجع السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٣٣٧.

(٢) سورة المعارج: ١.

مملوكاً لا يقدر على شيء^(١) وهو كل على مولاة أي على مالكة والثاني بمعنى المعتق بالكسر والثالث بمعنى المعتق بالفتح والرابع بمعنى الناصر، ومنه قوله تعالى، ﴿ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم﴾^(٢)، أي لناصر لهم، والخامس بمعنى ابن العم ومن ذلك قول القائل:

مهلاً بني عمنا مهلاً موالينا لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا

والسادس حليف وفي ذلك قال بعضهم:

موالي حلف لاموالي قرابة ولكن قطينا يسألون الاتاويبا

السابع المتولى لضمان الجريرة وحياسة الميراث وكان ذلك في الجاهلية ثم نسخ بأية المواريث والثامن الجار، وانما سمي بالمولى لماله من الحقوق بالمجاورة التاسع السيد المطاع وهو المطلق وقال في الصحاح كل من ولى أمر احد فهو وليه والعاشر بمعنى الأولى قال الله تعالى ﴿فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم﴾^(٣) أي أولى بكم.

ومضى يقول: فاذا ثبت ذلك لم يجز حمل لفظ المولى في الحديث على ما لك الرق لان النبي لم يكن ما لكاً لرق على ولا على المولى المعتق بالكسر لانه لم يكن معتقاً لعلي (عليه السلام) ولا على المعتق بالفتح لأن

(١) النحل: ٧٥.

(٢) محمد ﷺ: ١١.

(٣) الحديد: ١٥.

علياً كان حراً ولا علي الناصر لانه (عليه السلام) كان ينصر من ينصر رسول الله ويخذل من يخذله ولا علي ابن العم لانه كان ابن عمه ولا علي الحليف لان الحلف بين الغرماء للتعاضد والتناحر، وهذا المعنى موجود فيه ولا علي المتولى لضمان الجريرة لما قلنا من أن ذلك نسخ بآية المواريث، ولا علي الجار، لانه يكون لغوا من الكلام، ولا علي السيد المطاع، لانه كان مطيعاً له يقيه بنفسه ويجاهد بين يديه بكل ما يملك فتعين الوجه العاشر وهو الاولى، ومعناه من كنت أولى به من نفسه فعلي أولى به من نفسه وأضاف إلى ذلك أن الحافظ ابا الفرج يحيى بن سعيد الثقفى الاصبهاني صرح بذلك في كتابه مرج البحرين ويدل على ذلك قول النبي في مطلع الحديث ألت أولى بالمؤمنين من انفسهم، واستطرد يقول: وهذا نص صريح في اثبات ولايته وقبول طاعته^(١).

ولم يكن موقف النبي في غدير خم آخر المواقف التي وقفها من اختيار علي للخلافة من بعده بل تلاها موقف آخر في أيامه الأخيرة من حياته لا يقل في معناه ومضمونه عن مواقفه السابقة مثل يوم الدار وفي غزوة تبوك وغدير خم وغير ذلك من المواقف التي كان يعده فيها للخلافة تصريحاً وتلميحاً وغير ذلك، وجاء في مسند أحمد ابن حنبل^(٢) ان رسول

(١) راجع: كتاب أقسام المولى للشيخ المفيد قدس سره.

(٢) مسند أحمد بن حنبل: ج ٣ ص ١٧ وراجع أيضاً المعجم الكبير للطبراني: ج ٣ ص ٦٦ وكنز العمال للمتقي الهندي: ج ١ ص ١٧٣ وج ٥ ص ٢٩٠ وج ١٤ ص ٤٣٥ ورواه مسلم في صحيحه: ج ٧ ص ١٢٣ باب من فضائل علي ابن أبي طالب.

الله (صلى الله عليه وآله) قال: أوشك أن ادعى فاجيب واني تارك فيكم الثقلين كتاب الله عزوجلّ جبل ممدود من السماء الى الأرض وعترتي أهل بيتي، وان اللطيف الخبير أخبرني انهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما.

وأضاف إلى ذلك الشيخ المفيد في ارشاده أنه قال: ايها الناس لألفيتكم ترجعون بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض^(١) فتلقوني في كتيبة كمجر السيل الجرار، ألا وأن علي بن أبي طالب أخي ووصيي يقاتل بعدي على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله إلى غير ذلك من أمثال هذه المواقف التي لا يستعصي فهم مقصوده منها على احد.

عن لسان جبرائيل قال: رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما أسرى بي الي السماء وصرت أنا وجبرئيل إلى السماء السابعة قال جبرائيل يا محمد، هذا موضعي ثم زخ بي في النور زخه فاءذا أنا من ملائكة الله تعالى في صورة علي (عليه السلام) اسمه على ساجد تحت العرش ويقول اللهم اغفر لعلي وذريته ومحبيه و أشياعه واتباعه والعن مبغضيه وأعاديه وحساده إنك على كل شئ قدير^(٢).

(١) الإرشاد: ج ١ ص ١٨٠ وراجع أيضاً: أحمد ابن حنبل في مسنده: ج ٤ ص ٣٦٦ السنن الكبرى للنسائي: ج ٢ ص ٣١٥ ح ٣٥٩٧ والبخاري في صحيحه: ج ١ ص ٢١ كتاب العلم وج ٥ ص ١٢٣ وج ٨ ص ١٣ كتاب الحدود، وصحيح مسلم: ج ٥ ص ١٠٧ وغيرهم من علماء المسلمين ذكروا صدر الحديث باختلاف يسير.

(٢) البحار ج ٣٩ ص ٩٨. وراجع أيضاً مناقب ابن شهر آشوب: ج ٢ ص ٧٢.

وقال: ان رسول الله رأى ملكاً على صورة علي (عليه السلام) فظنه علياً فقال يا أبا الحسن سبقتني إلى هذا المكان، فقال جبرائيل ان هذا ليس علي بن ابي طالب هذا ملك علي صورته، وإن الملائكة اشتاقوا إلى علي بن ابي طالب فسألوا ربهم أن يكون ملك علي صورته فيرونه^(١).

وكان جبرائيل جالس عند النبي (صلى الله عليه وآله) إذا قبل علي (عليه السلام) فضحك جبرئيل (عليه السلام) فقال: يا محمد هذا علي بن ابي طالب قد اقبل فقال النبي (صلى الله عليه وآله) يا جبرئيل ايعرفونه أهل السماوات، قال: يا محمد والذي بعثك بالحق نبياً ان أهل السماوات لأشد معرفة له من أهل الارض، ما كبر تكبيرة في غزوة إلا كبرنا معه ولا حمل حملة الا حملنا معه ولا ضرب ضربة بسيف إلا ضربنا معه^(٢).

عن جبرئيل قال: يا محمد ان الله عز وجل يكثر الثناء والصلاة على علي بن ابي طالب (عليه السلام) فوق عرشه فاشتاق العرش إلى علي بن ابي طالب (عليه السلام) فخلق الله عز وجل هذا الملك على صورة علي بن ابي طالب (عليه السلام) تحت عرشه لينظر إليه العرش فيسكن شوقه وجعل تسبيح هذا الملك وتقديسه وتمجيده ثواباً لشيعة أهل بيتك يا محمد^(٣).

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) يا علي ان جبرئيل (عليه السلام) اخبرني فيك بأمر قرت به عيني وفرج به قلبي قال: لي يا محمد، إن الله

(١) البحار ج ٣٩ ص ٩٨.

(٢) البحار ج ٣٩ ص ٩٨.

(٣) البحار ج ٣٩ ص ٩٧.

تعالى قال لي: أقرئ محمداً مني السلام وأعلمه أن علياً امام الهدى ومصباح الدجى والحجة على اهل الدنيا فإنه الصديق الاكبر والفاروق الاعظم وأني أليت بعزتي أن لا ادخل النار اهدأ تولاه وسلم له وللأوصياء من بعده ولا أدخل الجنة من ترك ولايته والتسليم اليه ولأوصياء من بعده^(١).

قال رسول (صلى الله عليه وآله) ان جبرئيل (عليه السلام) اتاني فقال: يا محمد ربك يأمرك بحب علي بن أبي طالب (عليه السلام) ويأمرك بولايته^(٢).

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) إن جبرئيل (عليه السلام) جاثني من عند الله عز وجل بورقة خضراء مكتوب فيها بياض اني افترضت محبة علي بن أبي طالب على خلقي فبلغهم ذلك عني^(٣).

عن جبرائيل عن ميكائيل عن اسرافيل عن اللوح عن القلم عن الله عز وجل (ولاية علي بن أبي طالب حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي)^(٤).

عن صدقة بن موسى قال حدثني أبي عن علي بن موسى الرضا عن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد عن ابيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه علي (عليه السلام) قال: (خرجت مع رسول

(١) البحار ٢٧ ص ١١٣.

(٢) البحار ج ٣٩ ص ٣٧٣.

(٣) بحار ج ٣٩ ص ٢٧٥.

(٤) البحار ج ٣٩ ص ٢٤٦.

٢٢٠ الامام علي (عليه السلام) من الكعبة الى المحراب
الله (صلى الله عليه وآله) ذات يوم نمشي في طرقات المدينة اذ مررنا بنخيل
من نخيلها فاءذا صوت من قبل نخلة باخرى: هذا النبي المصطفى و علي
المرتضى ثم جزناهما فصاحت ثانية بثالثة هذا موسى وهارون، ثم جزناهما
فصاحت رابعة بخامسة هذا نوح و ابراهيم، ثم جزناهما فصاحت سادسة
بسابعة: هذا محمد سيد النبيين وهذا علي سيد الوصيين فيتسم النبي (صلى
الله عليه وآله) ثم قال يا علي سمي نخل المدينة صيحانياً لانه صاح بفضلي
و(فضلك)^(١) عن عبد الله بن احمد بن عامر الطائي حدثنا أبي حدثني أبو
الحسن علي بن موسى الرضا قال: حدثني أبي موسى بن جعفر قال حدثني
أبي جعفر بن محمد قال: حدثني أبي محمد بن علي قال: حدثني أبي علي
بن الحسين قال: حدثني أبي الحسين بن علي قال: حدثني أبي علي بن أبي
طالب (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) (يا علي إن الله
عز وجل قد غفر لك ولأهلك ولشيعتك ولمحبي شيعتك فأبشر فانك الانزع
البطين المتزوع من الشرك البطين من العلم^(٢) .

عن محمد بن عبد الله بن عمر بن مسلم اللاحقي الصفار، قال حدثنا
أبو الحسن علي بن موسى الرضا قال حدثني أبي عن أبيه جعفر بن محمد
عن أبيه عن أبي محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين
عن أبيه علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه
وآله): (يا علي أنا مدينة العلم وأنت بابها، كذب من زعم أنه يصل الى

(١) كفاية الطالب ص ٢٥٥.

(٢) المناقب لابن المغازلي ص ٨٥ و ٤١.

المدينة الآ من الباب^(١).

عن سليمان بن بلال عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله يوم بدر: هذا رضوان ملك من ملائكة الله ينادي لاسيف الا ذوالفقار، لافتى الآ علي^(٢).

عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عن ابيه علي بن الحسين سيد العابدين عن ابيه الحسين الشهيد (عليه السلام) قال: سمعت جدّي رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقول من احب ان يحيى حياتي، و يموت ميتتي، ويدخل الجنة التي وعدني ربي فليتول علي بن ابي طالب (عليه السلام) وذريته و أهل بيته الطاهرين أئمة الهدى و مصابيح الدجى من بعدي فأنهم لن يخرجوكم من باب الهدى إلى باب الضلالة.

(١) المناقب لابن المغازلي ص ٨٥ - ٤٠.

(٢) كفاية الطالب ص ١٨٥ - ٢٨٠.

الفصل الخامس عشر

على (عليه السلام) بعد البيعة

لقد انصرف أمير المؤمنين عن دنيا الخلافة مادام الإسلام يوشك ان يتعرض للخطر اذا بقى على موقفه المتصلب منها، يجمع القرآن كما انزله الله على رسوله ويشرح لهم غوامضه وأسراره وأقبل على مدرسته والتف الناس من حوله بعد ان وجدوه مشعلاً من انوار محمد (صلى الله عليه وآله) يضى لهم انحاء حياتهم الروحية والاجتماعية ويحل لهم ما تشعب من مشاكلهم أو اصابه تعقيل.

وإذا تجاهل المسلمون أحاديث الوصاية والخلافة لمصالح سياسية طفت عليهم، فليس بوسعهم ان يتجاهلوا قول الرسول فيه أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن اراد المدينة فليأتها من بابها^(١) ولا بوسعهم أن ينكروا صلته الوثيقة بالرسول التي يسرت له أن يأخذ منه ما لم يتيسر لاحد سواه وهو القائل علمني رسول الله الف باب من العلم يفتح لي في كل باب الف باب،

(١) راجع كتاب الفدير: ج ٦ ص ٥٤ للعلامة الأميني حيث أنه ذكر عشرات المصادر من

علماء المسلمين ذكروا الحديث وصحّوه.

ولقد سمعوا الرسول يقول: يوم نزلت الآية (وتعيها اذن واعيه) لقد سألت ربي ان تكون اذنك يا علي فأعطاني ذلك، وسمعوا علياً (عليه السلام) يقول بعد ذلك والله ما ترددت بشيء سمعته من رسول الله ولا نسيت منه شيئاً.

لذلك لم يكن لهم بديل عن الرجوع اليه كلما تعقدت لديهم الامور وتراكمت الحوادث التي كان يفرضها الزمان وما يتجدد فيه من أحداث وتقلبات، ولم يكن هو لديه ما يشغله عن تفقيه الناس وتعليم الاحكام ونشر رسالة الإسلام وبتدوين الحديث والفقهاء.

وتؤكد المرويات الصحيحة أنه جمع القرآن وفسر غوامضه وبين مجملاته ومتشابهاته بعد أن كان مبشراً في الألواح وصدور الحفاظ طيلة حياة الرسول (صلى الله عليه وآله).

وحدث السيوطي في الاتقان عن ابن حجر أنه قال: وقد ورد عن علي (عليه السلام) أنه جمع القرآن على ترتيب نزوله بعد وفاة الرسول، واطاف إلى ذلك أن محمد بن سيرين كان يقول: لو اصبحت ذلك الكتاب كان فيه العلم^(١) ويبدو من ذلك أن علياً (عليه السلام) لم يقتصر على نصوص القرآن وآياته بل ضم إليها تفسير غوامضه واسباب نزوله. وجاء في مناقب ابن شهر آشوب أن علياً آل علي نفسه أن يجمع القرآن ولا يضع ردائه على عاتقه الا للصلاة^(٢).

(١) الصواعق المحرقة: ص ١٢٦ وراجع أيضاً الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٢ ص ١٠١،

والاصابة لابن حجر: ج ٢ ص ٢٥٣.

(٢) مناقب ابن شهر آشوب: ج ١ ص ٣٢٠.

وفي اعيان الشيعة^(١) عن الشيرازي امام أهل السنة في الحديث والتفسير وأبي يوسف يعقوب في تفسيره عن ابن عباس في تفسيره قوله تعالى: ﴿لَا تَحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنْ عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْآنَهُ﴾^(٢)، أنه قال: أن الله طمّن محمد أن يجمع القرآن بعده علي بن أبي طالب فجمع الله القرآن في قلب علي وجمعه على بعد وفات رسول الله بستة أشهر وأضاف إلى ذلك عن ابي رافع أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال في مرضه الذي توفي فيه لعلي: يا علي هذا كتاب الله خذ اليك، فجمعه علي (عليه السلام) في ثوب فمضى إلى منزله فلما قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله) جلس علي (عليه السلام) في بيته فألفه كما أنزل الله وكان به عالماً.

وروى جماعة من المحدثين أن علياً (عليه السلام) جمع القرآن مرتباً حسب النزول وأشار إلى عامه وخاصه ومطلقه ومقيده ومحكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه وعزائمه ورخصه وسنته وآدابه كما نبه على اسباب النزول في آياته البيّنات، وأملى ستين نوعاً من انواع علوم القرآن وذكر لكل نوع مثلاً يخصه.

وجاء في بعض المرويات^(٣) التي تحدثت عن هذا الموضوع ان علياً لما سئل عن الناسخ والمنسوخ قال: ان الله سبحانه بعث رسوله بالرافة

(١) أعيان الشيعة: ج ٤ ص ٥٩٨.

(٢) القيامة: ١٧.

(٣) وسائل الشيعة: ج ٢٨ ص ٦٧ وبحار الأنوار: ج ٧٦ ص ٥٩ وجامع أحاديث الشيعة

للبروجردي: ج ٢٥ ص ٣٣١.

والرحمة فكان من رأفته ورحمته أنه لم ينقل قومه في الفترة الأولى من نبوته عن عاداتهم حتى استحکم الإسلام في قلوبهم وحلت الشريعة في صدورهم وكانت شريعتهم في الجاهلية أن المرأة اذا زنت حبست في بيت وحدها حتى يأتيها الموت واذا زنى الرجل نفوه من مجالسهم وشموه وآذوه وعروه، وجاءت الآية الكريمة تقر ما كانوا عليه في جاهليتهم.

﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نَسَائِكُمْ فَاَسْتَشْهَدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةٌ مِّنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسَكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَقَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا * وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانَهَا مِنْكُمْ فَأَذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾^(١).

فلما كثر المسلمون وقوى الإسلام وأستوحشوا امور الجاهلية أنزل الله ﴿الزاني والزانية فأجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾^(٢)، فكانت هذه الآية ناسخة للآية الأولى.

وفي تاريخ يعقوبي^(٣) أن علي بن أبي طالب جمع القرآن بعد وفاة الرسول وأتى به يحمله على جمل وقال لابي بكر ومن حوله هذا القرآن قد جمعته لكم، وكان جزأه سبعة أجزاء كما يروى يعقوبي كل جزء ثمانمائة وسبعة وثمانون آية ما بين ستة عشر سورة وخمسة عشر سورة وعدد من

(١) النساء: ١٥ - ١٦.

(٢) النور: ٢.

(٣) تاريخ يعقوبي: ج ٢ ص ١٢٧.

الجزء الاول البقرة وسورة يونس والعنكبوت والروم ولقمان وضم السجدة والذاريات وهل اتى على الانسان ومضى بعد الاجزاء السبعة والسور التي يحويها كل جزء منها مما يشير إلى ان عليا قد جمعه ورتبه حسب نزوله على النبي (صلى الله عليه وآله).

ونسب، اليعقوبي إلى علي (عليه السلام) أنه قال: أنزل القرآن على اربعة ارباع ربع فينا وربع في عدونا وربع امثال وربع محكم ومتشابه ورواية ينابيع المودة التي تؤيدها رواية أبي بصير عن الباقر، تنص على أنه نزل اربعة ارباع فيهم وفي عدوهم ربعان والثالث سنن وامثال والرابع فرائض وأحكام وقد تكرر توزيع القرآن بهذا النحو في المرويات عن الأئمة (عليهم السلام) كما جاء في الكافي وغيره، وعلى تقدير صحة هذه المرويات وللشك في صحتها مجال واسع فعلى تقدير صحتها فالمراد من الربع الذي نزل فيهم هو الايات التي تعرضت لمن آمن وجاهد وأخلص في أعماله وعمل الصالحات والطاعات من السابقين واللاحقين، والأيات التي بهذه المضامين لا تقل عن ربع القرآن وانما صح نسبتها لهم لأن كل من كان بهذه الصفات يتمثل مبادئهم سواء سبقهم او تأخر عنهم والايات التي في عدوهم هي التي تعرضت للكفار والمنافقين والفاسقين والكاذبين والمرائين من الاولين والآخرين وبلاشك فان من كان بهذه الصفات من الدعدائهم وخصامهم سواء سبقهم او تأخر عنهم لانهم دعاة حق وخير وعدالة ورحمة ومن لم يكن بهذه الصفات هو عدوهم).

ومهما كان الحال فالروايات التي تنص على انه نزل فيهم وفي

اعدائهم وفي السنن والاحكام والفرائض لا بد من تفسيرها بما ذكرنا، والى هذا التفسير تشير رواية العياشي^(١) عن الامام الباقر (عليه السلام) وقد جاء فيها ان القرآن نزل اثلاثاً ثلث فينا وفي محبيننا، وثلث في اعدائنا واعداء من كان قبلنا وثلث سنن وامثال).

ومضى الامام يقول على حد زعم الراوي: ولو ان الاية اذا نزلت في قوم ثم مات اولئك القوم ماتت الاية لما بقى من القرآن شيء، ولكن القرآن يجري اوله على آخره ما دامت السموات والارض ولكل قوم آية يتلونها هم منها في خير او شر إلى غير ذلك من الروايات التي تشير إلى ما ذكرنا).
والامر في هذه المرويات سهل بعد ان لم تكن من حيث سندها ومتنها من مستوى الصحيح) واما المرويات التي تنص على ان علياً (عليه السلام) قد جمع القرآن حسب نزوله وترتيبه فهي شائعة بين الرواه، وليس في متونها ما يدعو إلى التشكيك بها والالتجاء إلى التأويل والتحوير).

وجاء عن الامام الصادق (عليه السلام) ان امير المؤمنين (عليه السلام) بعد ان تم جمعة اخرجه إلى الناس وقال لهم: هذا كتاب الله عزوجل كما انزله الله إلى محمد (صلى الله عليه وآله) وقد جمعته من اللواح فقالوا: عندنا مصحف جامع فيه القرآن لا حاجة لنا فيه، فقال اما والله ما ترونه بعد يومكم هذا ابدأ انما علياً أن اخبركم به لتقرؤوه).
ومجمل القول ان الامام (عليه السلام) بعد ان فرضت عليه مصلحة

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٠ وراجع أيضاً تفسير الفيض الكاشاني: ج ١ ص ٢٤ وغاية المرام

الإسلام العليا ان ينصرف عن الخلافة اتجه اولاً إلى جمع القرآن وتدوين الفقه فألف الجامعة بخط يده واملاء رسول الله على حد تعبير الراوي وقد تحدثنا عن الجعفر والجامعة وغيرهما مما ينسب لعلي (عليه السلام) خلال حديثنا عن مصحف فاطمة (عليها السلام) وكان له دور بارز في القضاء والافتاء لم يكن لاحد سواه من اقطاب الصحابة فكان قوله الفصل اذا تعقدت الامور ورأيه الاول والاخير اذا تباينت الآراء وختلفت الاتجاهات ولم يكن باستطاعة احد ان يصرف الأنظار عنه إلى غيره ولا ان يحول بين الناس وبين الرجوع اليه في مشاكلهم واحكام دينهم، وحتى من كانت السلطة بيدهم لم يجدوا بدا من الرجوع اليه والعمل برأيه في جميع المشاكل التي كانت تعترضهم ولم يجدوا لها حلاً من كتاب وسنة، بالرغم من انه كان يهتم تحويل الأنظار عنه واضعاف مركزه في النفوس ولكنهم ادركوا ان ذلك لم يكن في مقدورهم ولا في مقدور أي سلطة كانت فانسجموا مع الواقع الذي يفرض نفسه، وبلغ الحال بعمر بن الخطاب المدبر الاول لكل ما تلا وفاة الرسول من احداث إلى اقصائه عن الخلافة حتى بلغ به الحال ان قال مخاطباً اولئك الذين كانوا يتصدرون للافتاء في مسجد الرسول، لا يفتي احدكم في المسجد وعلى حاضر، ولاكثر من مناسبة كان يقول لا بقيت لمعضلة ليس لها ابو الحسن، ولولا علي لهلك عمر^(١).

(١) راجع: الاستيعاب: ج ٣ ص ٣٩ والرياض النضرة: ج ٢ ص ١٩٤ وتفسير الصنعاني: ج ٥

ص ١٥٤ وينابيع المودة: ج ٣ ص ١٣٧ ومناقب الخوارزمي: ص ٤٨ وابن الجوزي في

وإذا استطاعوا اخصامه ان يصرفوا الخلافة عنه بذلك الاسلوب الذي اتبعوه لتحقيق رغباتهم فلن يستطيعوا ان يصرفوا الأنظار عن فقهه وعلمه وقضائه، لاسيما وان اكثر المسلمين سمعوا رسول الله يقول: (انا مدينة العلم وعلي بابها) وما إلى ذلك في عشرات المناسبات كما ذكرناه لقد استقبل المسلمون حياة جديدة وإحداثاً متنوعة وأماماً لها اديانها ومعتقداتها وغير ذلك مما لم يصرف المسلمون نظيراً له من قبل ووجدوا انفسهم في هذا المنطلق الواسع احوج اليه من أي زمان مضى بعد ان فقدوا رسول الله الذي كانوا إذا سألوه اجابهم وإذا لم يسألوه ابتدأهم فلا تلم بأحد شبهة الاكشفاها، ولا تنزل بهم غاشية الا جلاها، ولا يطرق في صدر احدهم وسواس الا وجدوا عنده الدواء الشافي، اما وقد رحل عن دنياهم وانقطع بموته النور الذي كان يصل من السماء ويكشف ما كان يدور في صدور المنافقين، وما كان يتناجي به اهل المكر والسوء فيفضح امرهم وينبه المسلمين إلى مواقع الخطر ومواطن السوء، مما دعا اهل الضلال والنفاق إلى ان يكونوا في حذر دائم من ان يفضح الله امرهم، ويكشف للرسول والمؤمنين ما يبيتون وما يدبرون وقد حكى الله في الاية من سورة التوبة ما كان يدور في نفوسهم من الخوف والقلق فقال: يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزئوا ان الله مخرج ما تحذرون، وقد ارتفع كل ذلك بعد وفاة الرسول، وترك لهم كتاب الله الذي لا يتأنيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكلهم يعلمون ان احداً غير علي (عليه السلام) لم يزوده النبي بكل ما تحتاج اليه الامة في حاضرها وغداها وكان يقول وهو على ثقة من

نفسه وملايين المسلمين لا ينكرون عليه ما يقول:

سلوني قبل ان تفقدوني، فوالذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء
فيما بينكم وبين الساعة، ولا عن فئة تهدي مائة وتضل مائة الا انبثكم
بناعقها وقائدها وسائقها ومناخ ركايبها ومحط رحالها.

ثم يلتفت اليهم ثانية ويقول:

سلوني عن كتاب الله فوالله الذي لا اله الا غيره ما من اية الا وانا اعلم
بليل نزلت ام بنهار ام بسهل ام جبل ويروي عنه ابن ابي الحديد انه كان
يقول: لو ثنيت لي الوسادة لحكمت بين اهل التوراة بتوارتهم وبين اهل
الانجيل بانجيلهم وبين اهل القرآن بقرانهم^(١).

وكما سمعوه يقول ذلك سمعوا الرسول (صلى الله عليه وآله) يقول
فيه كما جاء في رواية عبد الله بن عباس، والله لقد اعطى علي بن ابي طالب
تسعة اعشار العلم، وأيم الله لقد شاركهم في الجز العاشر، ولو تجاهلنا هذه
النصوص، واستعرضنا حياة الامام علي (عليه السلام) نجد انه قد امضى
اكثر من ثلاثين عاما إلى جانب رسول الله كان لا يفارقه فيها الا في
ضروراته، وحتى لو فرضنا انه لم يستخلفه من بعده بنص قاطع كما يزعم
أهل السنة، بل كان يؤمله ويعدده لها حسبما يدعون لو افترضنا ذلك لا بد
وأنه كان يزوده بما لديه مما تحتاجه الأمة في دينها ودنياها ليسير بها نحو
الأفضل وكما يريد الله، ومن غير المألوف والمعقول أن يستخلفه كما هو

(١) شرح نهج البلاغة: ج ٦ ص ١٣٦ وراجع أيضاً: مناقب الخوارزمي: ص ٩١ ومطالب السؤل

للشافعي ص ١٤٩ وينايع المودة للقمندوزي: ج ١ ص ٢١٦.

الواقع الذي لا ريب فيه، أو يؤهله لها كما شاء لهم الهوى أن يزعموا ويتركه لمؤهلاته ومواهبه كغيره من بقية اصحابه في حين أن المؤهلات والمواهب التي كان يتمتع بها تكفي وحدها لأن تجعله في القمة بين الأفاضل وعباقرة العصور.

ولا بد لي وأنا في معرض الحديث عن انصرافه إلى خدمة الإسلام ونشر الأحكام ان اقدم بعض الأمثلة من مواقفه في هذا السبيل ولو كان ذلك ليس بجديد، ولكن الحديث عن سيرته يفرض على الباحث ان يشير ولو بصورة موجزة إلى جميع نواحيها.

قد جاء في تذكرة الخواص لابن الجوزي عن أحمد بن حنبل في فضائله بسنده إلى أبي ظبيان ان أتى عمر بن الخطاب بأمرأة قد زنت فأمر بوجعها وفيما هم يعدون العدة لذلك واذا بعلي (عليه السلام) قد أقبل ولما اطلع على حالها أمرهم باخلاء سبيلها، وقال لعمر بن الخطاب انها مجنونة آل فلان، وقد قال رسول الله رفع القلم عن النائم حتى يستيقظ وعن الصبي حتى يحتلم وعن المجنون حتى يفيق^(١)، كما أشار إلى ذلك البخاري: ج ٤، ص ١٧٧.

وروى الرواة ان عمر ابن الخطاب اتى بأمرأة وضعت حملها لسنة شهر من تاريخ زواجها فأمر بوجعها فأنكر عليه أمير المؤمنين حكمه

(١) راجع: مسند أحمد ابن حنبل: ج ١ ص ١٤٠ وراجع أيضاً المستدرک علی الصحیحین: ج ١ ص ٢٥٨ وصححه علی شرط الشيخین والسنن الکبری للبيهقي: ج ٤ ص ٢٦٩ والاستيعاب لابن عبد البر: ج ٣ ص ١١٠٣.

وارجعه إلى كتاب الله الكريم، فقال له عمر: وكيف ذلك يا أبا الحسن فقال: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾^(١) وفي آية ثانية، ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾^(٢).

ومضى يقول: من هاتين الايتين تبين ان أقل الحمل ستة اشهر بعد استثناء مدة الرضاع لمن أراد ان يتم الرضاع كما جاء في الآية الأولى، فقال عمر بن الخطاب اللهم لا تبغني لمعضلة ليس لها أبو الحسن^(٣).

وجاء في الارشاد للمفيد^(٤) ان رجلاً شرب الخمر في عهد أبي بكر، ولما استدعاه ووقف بين يديه أمر باقامة الحد عليه فادعى بأنه لا يعلم تحريمها لانه نشأ بين قوم يستحلونها فارتج على أبي بكر ولم يدر ما يصنع فأشار عليه جلساؤه ان يسأل علياً عن حكم هذه الحادثة ولما استدعاه وسأله عن ذلك قال: يطوف به رجلان من المسلمين على مجالس المهاجرين والانصار فان تبين ان أحد تلا عليه آية التحريم أو أخبره تحريمها اقيم عليه حد الله، وان لم يتبين ذلك فلا شيء عليه لان رسول الله قال الحدود تدرأ بالشبهات، فلم يجد الخليفة بدا من الأخذ بقوله فأرسله مع رجلين من ثقة المسلمين إلى مجالس الأنصار والمهاجرين فلم يشهد احد بأنه قد تلا عليه

(١) البقرة: ٢٣٣.

(٢) لقمان: ١٤.

(٣) راجع: تفسير السمعاني: ج ٥ ص ١٥٤ والرياض النضرة: ج ٢ ص ١٩٤ والمتقى الهندي: ج ٣ ص ٢٢٨، ٩٦.

(٤) الارشاد: ج ١ ص ٢٠٠.

الآية أو أخبره بحرمتها فأطلق سبيله.

وسئل أبو بكر عن الكلاله التي ورد ذكرها في آية المواريث، فقال أقول فيها برأي فأنا أصبت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي أو من الشيطان ولما بلغ علياً (عليه السلام) قوله قال: ما اغناه عن الرأي في هذا المكان أما علم أن الكلاله هم الأخوة والأخوات من قبل الأب وحده أو الأم وحدها ثم تلا الآية.

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنَّ أَمْرًا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ
وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿وإن كان رجل يورث كلاله أو امرأة وله اخ أو اخت
فلكل واحد منهما السدس فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في
الثلث﴾^(٢).

ورى في الارشاد^(٣) أن قدامة بن مظعون شرب الخمر وأراد عمر بن
الخطاب أن ينفذ فيه عقوبة فاحتج عليه قدامة بالاية.

﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا
إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾^(٤).

فتوقف عن اقامة الحد عليه بحجة أن الآية تنفي عنه الجناح إذا آمن

(١) النساء: ١٧٦.

(٢) النساء: ١٢.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المائدة.

وعمل الصالحات، ولما بلغ ذلك علياً (عليه السلام) قال لعمر بن الخطاب لماذا تركت اقامة الحد عليه وقد شرب الخمر، فقال لان الآية تنص على ان الذين اتقوا وعملوا الصالحات ليس عليهم جناح فيما طعموا، قال أمير المؤمنين (عليه السلام) ان الذين اتقوا وعملوا الصالحات لا يستحلون ما حرم الله.

فأررد قدامة واستتبه فان تاب فأقم عليه الحد، وان لم يتب فاقتله لانه مستحل لما حرم الله في كتابه، ولما أيقن قدامه ان الإسلام لا يعفيه من العقوبة أظهر التوبة وتعرض لعقوبة شرب الخمر، وكان أبو بكر يرى انها اربعون جلدة فأخبره علي بأنها ثمانون جلدة فأخذ برأيه ومضت على ذلك. وتهمت امرأة حامل بالزنا في عهد عمر بن الخطاب وشهد عليها الشهود بذلك فأمر برجمها فقال له علي (عليه السلام) مهلاً ان لك سبيل عليها، فأبي سبيل لك على ما في بطنها، والله سبحانه يقول: ولا تزر وازرة وزر أخرى. فقال له عند ذلك: لا عشت لمعضلة ليس لها أبو الحسن وأشار عليه ان يمهلها حتى تلد ما في بطنها فإذا وضعت حملها ووجدت لولدها من يكفله أقم عليها حد الله واذا لم تجد له كفيلاً امهلها إلى ان يستغني عنها ولدها.

وجاء عن سعيد بن المسيب أن رجلاً من أهل الشام وجد مع امرأته رجلاً فقتلها وجيء به إلى معاوية فأشكل عليه القضاء في ذلك فكتب إلى أبي موسى الأشعري ليسأل علي بن أبي طالب عن القضاء في مثل ذلك، ولما سأله الأشعري عن ذلك قال له: عزمت عليك أن تخبرني عن مصدر

هذه الحادثة فقال له أبو موسى ان معاوية كتب الي أن اسألك عن القضاء في مثل ذلك فقال له: «ان لم يأت بأربعة شهود فليعط برمته.

وسئل عمر بن الخطاب عن عدة الحامل المتوفى عنها زوجها فأجابهم بأنها تنتهي بوضع الحمل يقول تعالى ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾^(١) ولما سئل علي عن ذلك أجاب بان عدتها لا تنتهي إلا بأبعد الأجلين من وضع الحمل ومضي اربعة اشهر وعشرا بمعنى انها إذا وضعت حملها قبل مضي أربعة اشهر وعشرة أيام من تاريخ الوفاة تبقى في العدة إلى يتم لها أربعة اشهر وعشرة أيام واذا لم تضع حملها خلال اربعة اشهر وعشرا تبقى في العدة إلى ان تضع حملها ولا تحل للازواج قبل ذلك، أما اللواتي تنتهي عدتهن بوضع الحمل فهن المطلقات الحوامل.

ولما سئل عن مصدر هذا الحكم قرأ الآية ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾^(٢).

وكان يرى ان الطلاق الثلاث بلفظ واحد يقع طلاقاً واحداً ولا يمنع من تراجع الزوجين عملاً بالاية الكريمة التي تنص على ان الطلاق مرتان ﴿فَإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾^(٣) بضميمة الآية ﴿فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾^(٤) وكان عمر بن الخطاب يمضيه ثلاثا ويراها

(١) الطلاق: ٤.

(٢) البقرة: ٢٣٤.

(٣) البقرة: ٢٢٩.

(٤) الطلاق: ١.

موجبا للتحريم حتى تنحك زوجا غيره مع اعترافه بأن رسول الله لا يرى هذا النوع من الطلاق موجبا لتحريم الزوجة على مطلقها، وظل عمر بن الخطاب على اصراره الزاما للمطلق بما الزم به نفسه كما ينسب له أهل السنة ولا يزال أكثر السنة في فقههم يعملون برأي عمر بن الخطاب في هذه المسألة وروى الرواة ان يعلى بن امية وكان واليا لعمر بن الخطاب على اليمن سئل عن امرأة قتلت هي وخليتها ولداً لزوجها فهل القصاص على الاثنين أو على أحدهما، فتوقف في الجواب ورجع إلى أمير المؤمنين فيه، فقال له: رأيت لو أن نفرأ اشترك في سرقة جزور فأخذ هذا عضواً وهذا عضواً أكنت قاطعهم، قال نعم فقال له علي أمير المؤمنين وكذلك الحال هنا فكتب ابن الخطاب لعامله اقتلها معاً فلو اشترك أهل صنعاء في قتله استحقوا القتل.

وقد ابتلي عمر بن الخطاب في توزيع ميراث رجل مات وترك امراة وابنتين وأبوين ولم يهتد إلى المخرج من ذلك لو اعطي الزوجة ثمنها والبنتين الثلثين والابوين الثلث زادته السهام على التركة بثمن الزوجة، وبعد ان تداول الأمر مع بعض الصحابة استقر الرأي على الحاق هذا الفرض وامثاله من الفروض التي تزيد فيها السهام على التركة واستقر على الحاقه بما لو مات شخص وعليه ديون لا تفي بها التركة فالحل في مثل ذلك هو ادخال النقص على جميع كل بحسبه فأفتاهم في فروع الميراث بادخال النقص على جميع الورثة بما في ذلك الابوين والزوجة فأعطي الزوجة ثلاثة من سبع وعشرين واعطي البنيتين ستة عشر سهما والابوين ثمانية لكل واحد اربعة اسهم فصار ثمن الزوجة تسعاً.

بينما كان علي (عليه السلام) يرى في مثل ذلك ان الزوجة تأخذ سهماً كاملاً ويأخذ كل من الابوين سدسه ويدخل النقص على البنتين لا غير، لان الزائد من التركة عن السهام في بعض الفروض يرد عليهما، وقيل انه ادخل النقص على البنتين والأب لا غير، وهو الذي عليه الشيعة في فقهم، هذا الفرع من فروع مسألة العول التي وقف فيها الشيعة إلى جانب والسنة إلى آخر وكان الخلاف قد وقع فيها بين الصحابة انفسهم، ويدعي ابن الجوزي في تذكرته ان علياً (عليه السلام) كان يخطب في أيام خلافته، وفيما هو يتحدث عن الصفات التي يجب ان تتوفر في الحاكم قام إليه رجل وقال: تقول يا أمير المؤمنين في رجل مات وترك امرأة وابنتين وأبوين فقال لكل واحد من الابوين السدس وللابنتين الثلثان فقال له السائل والمرأة فأجابه علي الفور: صار ثمنها تسعاً، وازداد إلى ذلك ابن الجوزي ان هذا الجواب من أبلغ الأجوبة.

ولو صح ذلك فلقد أجابهم علي مذهب القائلين بالقول وفي الوقت ذاته فانه أراد بقوله صار ثمنها تسعاً الزامهم بمخالفة القرآن في ذلك حيث انه حصر ارث الزوجة في الربع والثلث وهذا الحصر دليل واضح على سهامها لا تنقص عن ذلك ولا تزيد، والذين يجوزون ادخال النقص عليهم اولئك الذين يأخذون الزيادة فيما لو زادت التركة عن سهامهم كما لو ترك الميت زوجة وبناتان أو ابوين وبناتاً فان البنت في الفرض الأول تأخذ الزائد بكامله وفي الفرض الثاني تأخذه هي والأب كل بحسب نصيبه، فيكون جوابه إلى مخالفتهم لكتاب الله.

ومن الفروض التي خفي فيها حكم الله على حكام عصره وكان لهم فيها رأي مخالف لرأيه، ما لو ترك الميت زوجة وبنتين مثلاً أو بنتا وابوين أو اختين مثلاً فقد افتاهم بان ما زاد عن سهام البنتين والاختين يرد عليهما، بينما افتاهم ابن الخطاب بأن الزائد يعود إلى أخوة الميت أو اعمامه إذا لم يكمن له أخوة، ومضى اهل السنة في فقهم على ذلك مع الاختلاف الشديد بين أئمة مذاهبهم وفقهائهم في بعض فروض التعصيب كما يبدو ذلك من مجاميعهم الفقهية.

وجاء عن عبد الله بن العباس انه كان يقول: ليس على وجه الأرض أعلم بالفرائض من علي بن أبي طالب ومع تبحر ابن عباس في الفقه والحديث والتفسير واللغة وغير ذلك من الفنون فقد اجاب من سأله عن نسبة علمه إلى علم علي بن أبي طالب، أجاب كنسبة قطرة من مطر في البحر المحيط^(١).

وقد اجمع المسلمون على اختلاف نزعاتهم ونحلهم وغيرهم من الباحثين والمستشرقين على انه كان قطب الإسلام وموسوعته الكبرى لجميع العلوم الإسلامية كالفقه والقضاء والفلسفة والعربية وما يتفرع عنها ولم يقف علمه بالفقه عند علمه بنصوصه واحكامه ومداركه بل تجاوزه إلى العلم بأدوات الفقه وكل ما يتوقف عليه من العلوم لعلم الحساب فلقد كانت معرفته باللغة حد الاعجاب من معاصريه ومن جاء بعدهم من العلماء وأئمة

(١) راجع: البحار: ج ٤١ ص ١٤٢ وينايع المودة للقمندوزي: ج ١ ص ٤٣٧.

المذاهب بل أن أكثر المتأخرين عنه ينتهي علمهم إليه.
ويجمع الرواة على أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال للمسلمين :
أتقاكم علي فقد كان اقضى أهل زمانه لانه كان أعلمهم بالفقه والشريعة
وهما المصدر الأول للقضاء، ولقد أوتي مع ذلك من قوة العقل ما يكشف
له عن الوجه الأقرب إلى الصواب والمنطق واوتي من صفاء الوجدان
وسرعة الانتباه ما سهل له استخدام علمه في حل الخصومات وكان اسبق
القضا إلى اقرار ما يسمى بالحق العام مراعاة لفكرة العدل بين الناس بدون
نظر إلى موقف الجانبين المتخاصمين، وفي ذلك ما فيه من الاحترام للنظام
العام وتأکید العدالة بين الناس وواجبات الافراد نحو المجتمع الذي يعيشون
فيه وقد سبق بذلك زمانه في مراعاة هذا الحق بعشرات السنين.

لقد سمع في احدى الليالي صوت مستغيث يدعو من يجيره فهرع إليه
بنفسه مسرعا يقول قد أتاك الغوث والفرج، وما لبث أن رأى رجلاً يمسك
برجل امسالك شديداً ولما اقبل عليه امير المؤمنين خلاه وقال: يا امير
المؤمنين لقد بعت هذا الرجل ثوباً بتسعة دراهم فأعطاني دراهم على غير
الشرط، ولما طلبت منه غيرها شتمني ولطمني لطماً موجعاً، فقال علي (عليه
السلام) للمشتري: ابدلها له وطلب من المدعي بينه علي اللطمة فجاءه بها
فقال للمضروب اقتص منه، فقال لقد عفوت عنه، فقال لك ذلك ولكن بقي
عليه الحق العام ومقتضاه ان يعاقب وينال جزائه ليكون عبرة لكل من يفكر
في الاعتداء على الناس ويعبث بحقوقهم وكرامتهم ولا يحترم النظام، وبما
أنه هو المسؤول عن حماية المجتمع من الفوضى والفساد فقد امسك

بالضارب على مشهد من المضروب ولطمه بيده تسع مرات وقال هذا حق السلطان.

وكما ذكرنا لقد كان المصدر الأول لجميع العلوم التي ظهرت بعد زمانه فقد أمعن النظر في القرآن وفي الدين واعتبرهما من المواضيع التي يجب فيها التفكير والتأمل ومنه أخذ الناس علم الكلام أو ما يسمى بالفلسفة الإسلامية ووجد المتصوفة بذر التصوف في نماذج شتى من نهج البلاغة ومن حياته وزهده فنسبوا التصوف إليه واتخذ اماماً للمتصوفين [حاشاه].

وقال في شرح النهج ويتحدث عن علي وفضائله ما أقول في رجل تعزى إليه كل فضيلة وتنتهي كل فرقة وتتجاذبه كل طائفة فهو رئيس الفضائل وينبوعها وأبو عذرها وسابق مضمارها ومجلي حليتها، وكل من بزغ فيها فمنه آخذ وله اقتفى وعلى مثاله احتذى وقد عرفت أن أشرف العلوم هو العلم الإلهي لان شرف العلم بشرف المعلوم والمعلوم أشرف الموجودات.

وكما ان علم الكلام والفلسفة الإسلامية تنتهي إليه وقد وضع اصولها قبل ان يتحدث بها أحد من الناس كذلك الفقه الاسلامي الذي حمل لوائه أئمة المذاهب فهو أساسه وكل فقه في الاسلام عولوا عليه أما أصحاب أبي حنيفة لمحمد بن الحسن وأبو يوسف وغيرهما فقد أخذوا عن أبي حنيفة وقد قرأ الشافعي على محمد بن الحسن الشيباني تلميذ أبي حنيفة فيرجع الشافعي بهذه الوساطة إلى أبي حنيفة.

وقرأ أحمد بن حنبل على الشافعي فيرجع في فقهه إلى أبي حنيفة

وابو حنيفة تتلمذ علي الإمام جعفر بن محمد وجعفر بن محمد ينتهي في علمه وفقهه إلى جده علي ابن أبي طالب (عليه السلام).

وأما مالك فقد قرأ علي ربيعة الراي، وربيعه أخذ عن عكرمة، وعكرمة أخذ عن عبد الله بن العباس، وعبد الله مصدره الإمام علي بن أبي طالب، ومضى يقول: وان شئت رددت إليه علم الشافعي من حيث أنه كان من تلامذة مالك ومالك من تلامذة ربيعة، وينتهي في علمه إلى علي (عليه السلام) كما ذكرنا.

وقد أراد علي بن أبي طالب (عليه السلام) ان يكون ركن العربية في علومها كما كان ركن الإسلام في علومه وساعده علي ذلك تبخره فيها ومنطقة السليم وقواه الذهنية الخارقة فهو بحق واضح الاساس فيها وممهّد طريقها لكل من أتى بعده ومما أثبتته التاريخ ان أبا الأسود الدؤلي دخل علي أمير المؤمنين يوماً فرآه مطرقاً مفكراً فقال له: فيما تفكر يا أمير المؤمنين فقال اني سمعت في بلدكم هذا لحناً فأردت ان أضع كتاباً في أصول العربية ثم القي إليه صحيفة فيها الكلام اسم وفعل وحرف.

وفي رواية ثانية قال اكتب يا أبا الاسود ما أمليه عليك فتناول أبو الأسود قلماً وصحيفة فأملى عليه كلام العرب يتركب من اسم وفعل وحرف، فالاسلم ما أنبأ عن المسمى والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل، وان الاشياء ثلاثة ظاهرة ومضمرة وشيء ليس بظاهر ولا مضمرة، يعني بذلك اسم الإشارة ثم قال: ان هذا النحو يا أبا الأسود فعرف ذلك العلم بعلم النحو من ذلك اليوم.

وأضاف إلى ذلك ابن أبي الحديد في شرح النهج ان كبار الصحابة يرجعون إليه ولا يجدون له بديلاً ويقفون عند رأيه واثقين بأنهم قد أخذوا بحكم الله ومن المعدن الذي أخذ عنه استاذه ومعلمه الأكبر محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله).

لقد استطاع علي (عليه السلام) بعد الرسول (صلى الله عليه وآله) ان يجد منفذا لطاقاته العلمية في مجتمع تراكت فيه المشاكل والتبست الأمور ووجد المسلمون انفسهم امام واقع جديد وأحداث جديدة في سبيل الإسلام بأقل أثر من جهاده في عصره الأول وان اختلف الشكل والمظهر، ومع ذلك فقد كان يتمنى وقد رأى الدعوة بدأت تشق طريقها لتلك عروش القياصرة والأكاسرة وتحقق نبؤة ابن عمه الامين يوم كان المسلمون يحفرون الخندق حول مدينتهم ليقفوا به من شر أبي سفيان وزمرته طغاة قريش والأحزاب.

لقد سخروا منه يوم ذاك حين أخبرهم ان لضربته في الخندق بريقا سطع نوره وانتشر في الفضاء حتى بلغ قصور الرومان والأكاسرة في بلاد فارس، وقالوا بان محمد يعدنا بقصور الفرس والرومان ونحن اليوم لا نأمن على نفوسنا ان نخرج لقضاء حاجتنا، ولكن المؤمنين يعتقدون بأن محمداً لا ينطق عن الهوى ظلت كلماته تلك ماثلة في اذهانهم وظل فيها شبح ذلك البريق الذي سطع من ضربة محمد بن عبد الله في الخندق وانتشر في فضاء المدينة وما حولها.

لقد كان علي (عليه السلام) يتمنى ان يكن ولو جندياً مع أولئك الغزاة

إلى ما وراء الحدود وما داموا يحملون إلى تلك البلاد رسالة محمد (صلى الله عليه وآله) التي كان يفنى في سبيلها ولا يفكر بغيرها، ولا يضره إذا تحقق أهدافه ان يكون أميراً أو مأموراً، وإذا طالب بالخلافة بالأمس فذاك ليتسع الإسلام وينتشر في انحاء المعمورة، وطالما كان يرمي بنظراته تلك الجموع المدججة بالسلاح تودع المدينة في طريقها لخارج الحاجز ويتمنى لو يتاح له ان يكون معهم حيث يريدون ولكن ذلك كان محظوراً عليه وعلى غيره من كبار الصحابة فيعود طأويأ قلبه على هم جديد فوق ما طواه عليه من هموم وأحزان.

لقد اتخذ أبو بكر قرار بأن لا يخرج من المدينة علي (عليه السلام) وغيره من كبار الصحابة ممن يطمحون لمعالي الأمور وللإستيلاء على السلطة وفرض عليهم الإقامة بها حتى لا تتسع صلتهم بالناس، فوقف هو وغيره حيث أراد لهم الخليفة لا يبرحون منها إلا بإذن ولأجل محدود وأوصى خليفته بذلك من بعده.

وجاء في وصيته كما يدعي الرواة^(١) احذر هؤلاء من اصحاب رسول الله الذين انتفخت اودجتهم وطمحت ابصارهم، وطبق خليفته ابن الخطاب هذه الوصية بمنتهى الدقة، فكان يأتيه الرجل منهم يستأذنا في الخروج إلى الجهاد فلا يأذن له ويقول:

لقد كان لك في غزوك مع رسول الله ما يبلغك ويكفيك وخير لك من

(١) راجع: كنز العمال للمتقي الهندي: ج ٥ ص ٦٧٩ وتاريخ ابن عساكر: ج ٦ ص ٤١٦ وتاريخ

المدينة لأبن شبه النميري: ج ٢ ص ٦٧٣.

الغزو اليوم ان لا ترى الدنيا ولا تراك ورضي أمير المؤمنين بذلك وقنع من دنياه بتفقيه الناس في دين الله، وتشريع الأحكام لا يوغر صدره ان يرى حقه مسلوباً منه يرتع به غيره ما دام الإسلام في طريقه يسير بخطا واسعة يدك العروش ويهز الجبابرة والطغاة، وبقي طيلة حياته يهب لهم العون والنصح ويعمل بكل ما لديه من جهد وطاقات لتسير الأمور في طريقها الصحيح ويسود العدل والأمن والسلام وشعاره والله لأسالمن ما سلمت امور المسلمين ولم يكن جور إلا علي خاصة.

ولم يقف علم علي الواسع على المحسوسات وما يتمكن ان يتوصل إليه الإنسان بل تعدى ذلك لما يسمى بالغيبيات التي اتصلت إليه من النبي عن طريق الوحي كما صرح بذلك في كلام له بعد ان هزم اصحاب الجمل في البصرة من الزنج وغيرهم، بعد عشرات السنين، فقال له بعض اصحابه: لقد اعطيت علم الغيب يا امير المؤمنين فضحك وقال للرجل كما جاء في نهج البلاغة رقم ١٤٤:

وليس هو بعلم الغيب وانما هو تعلم من ذي علم، وانما علم الغيب علم الساعة وعند الله سبحانه بقوله ﴿أَن اللّٰهُ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾^(١) فهذا علم الغيب الذي لا يعلمه أحد إلا الله وما سوى ذلك فعلم علمه الله لنبيه وعلمنيه ودعالي بأن يعيه صدري وتظم عليه جوانحي وكان يقول لاهل الكوفة، أيها الناس لا يجرمنكم شقاقي ولا يستهوينكم عصياني، ولا تتراموا

بالأبصار عندما تسمعونه مني ، فوالذي فلق الحبة وبرا النسمة ان الذي أخبركم به عن النبي الامي ما كذب المبلغ ولا جهل السامع .
ومن أمثلة ما تحدث عنه وأخبر به مما وقع بعضه بعد وفاته بعشرات السنين وبعضه بمئات السنين فقد جاء في حديثه عن البصرة: وأيم الله لتفرقن بلدتكم حتى كأني أنظر إلى مسجدها كجؤجؤ سفينة أو نعامة جاثمة، نهج البلاغة رقم الخطبة ١٢، وقد تحقق هذا النبأ مرتين الأولى في عهد القادر بالله احمد بن إسحاق بن المقتدر، الذي بويع بالخلافة سنة ٣٨١، ومرة في عهد عبد الله بن عبدالقادر الملقب بالقائم بأمر الله، والذي بويع سنة ٤٢٢، وفي المرتين غمرت المياه وغرق كل ما كان فيها وهلك خلق كثير من أهلها^(١).

كما أخبر عن خراب البصرة وهلاك جمع كبير من أهلها بواسطة الزنج في حديث له يصف الغزاة وما يضعونه في البصرة وجهاتها وكان يوجه كلامه إلى الاحنف بن قيس أحد زعمائها الكبار، يا أحنف كأني به وقد سار بالجيش الذي لا يكون له غبا ولا لجب ولا قعقة لجم ولا حمحة خيل يشرون الأرض باقدامهم كأنها اقدم النعام، ويل لسككم العامرة والدور المزخرفة التي لها اجنحة كأجنحة النسور وخراطيم كخراطيم الفيلة من اولئك الذين لا يندب قتلهم ولا يفتقد غائبهم^(٢).
وتحققت هذه النبوة باجماع المؤرخين في سنة ٢٥٥ من عهد

(١) شرح النهج ج ١، ص ٨٤

(٢) نهج البلاغة رقم ١٢٦، ج ٢.

العباسيين في خلافة المهدي وكان الامام العسكري ذاك معتقلا في سامراء وقد ادعى صاحب الزنج أنه علوي النسب، فطلب المهدي من الامام (عليه السلام) ان يبدي رأيه فيه، فقال كما جاء فيه: ان صاحب الزنج ليس بعلوي. وهكذا تحدث عن خراب البصرة بواسطة التتر كما جاء في خطبته رقم ١٢ وقد اجتاح التتر أكثر البلاد الإسلامية ويبدو انهم اصطدموا في البصرة بمقاومة شديدة حتى فتكوا فيها باهلها ذلك القتل الذريع كما يصف ذلك ابن أبي الحديد من شرح النهج ج ٢، حيث وقع ذلك في عصره وقد وصفهم الامام (عليه السلام) بقوله : كأنني أراهم قوما كان وجوههم المجان المطرقة، يلبسون السرق والديباج ويتعقبون الخيل العتاق، ويكون هناك استمرار في القتل حتى يمشي المجروح على المقتول ويكون المفلت أقل من المأسور.

وتحدث عن الكوفة وما سيحل بها من الخراب والدمار وجور الولاة كالحجاج بن يوسف الثقفي وغيره فقال كما جاء في خطبته رقم ٤٧ من نهج البلاغة كأنني بك يا كوفان تمدين مد الأديم العكاظي تعركين بالنوازل وتركين بالزلزال واني لأعلم أنه ما أراد الله بك جبار سوء الا ابتلاه الله بشاعل رماه بقاتل.

وقد تحدث ابن أبي الحديد في شرح النهج بما جرى عليها من ولاة الجور الذين حكموها على جماجم الصلحاء والأبرياء كالثقفين وزياد بن أبيه وعبد الله بن زياد وخالد القسري وغيرهم من الطغاة وأعوان الظالمين انظر [ص] ٢٨٦ و ٢٨٧ في النهج.

وتنبأ بخلافة مروان بن الحكم ومن تعاقب على الحكم من بعده وما سيحل بالمسلمين من جورهم واستهتارهم بالقيم والمقدسات، فقال: أما أن له امرة كعلقة الكلب أنفه وهو أبو الأكبش الأربعة وستلقى الأمة منه ومن ولده يوماً أحمر، واطاف إلى ذلك في وصف ما تعانيه الأمة منهم والله لا يزالون حتى لا يدعوا الله محرماً الا استحلوه ولا عقداً الا حلوه، وحتى لا يبقى بيت مدر أو وبر إلا دخله ظلمهم وحتى يقوم الباكيان يبكيان باك يبكي لدينه وباك يبكي لديناه، ومضى في وصفهم حتى انتهى إلى القول: فأقسم بالله يا بني أمية عما قليل لتعرفنها في ايدي غيركم وفي دار عدوكم.

الفصل السادس عشر

في آية الشهادة

ومن الآيات الدالة على أفضلية أمير المؤمنين (عليه السلام) وتقدمه على جميع الأنام سوى نبينا محمد (صلى الله عليه وآله) هي قوله تعالى ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾^(١).

ان الله تعالى أخبر وحكى عن الكفار أنهم أنكروا كون محمد (صلى الله عليه وآله) نبيه مرسلًا من جهته، وهو جلّ جلاله لقن رسوله (صلى الله عليه وآله) في ردّ قولهم الاحتجاج عليهم بأمرين: الأول شهادة الله على رسالته، والثاني شهادة من عنده علم الكتاب.

أما شهادة الله تعالى فبالدلائل الواضحة والحجج القاطعة من اظهار المعجزات وخوارق العادات على يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) لصدق رسالته، فعلى هذا تكون شهادة الله تعالى فعلياً لا قولياً وهذه الشهادة مقصودة في قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو

الْعَلِمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»^(١) وهو عزّ شأنه وجلّ جلاله شهد على وحدانية نفسه من عجب خلقه ولطيف حكمته ووضع ميزانه فيما خلق، والشاهد على ذلك كون (قائما بالقسط) في الآية حالاً من اسم الجلالة، كما في التفاسير.

فالقيام بالقسط اشارة إلى البرهان على صدق شهادته تعالى في الأفق والأنفس، فإن وحدة النظام تدل على وحدة واضعه، ولعلك لو تأملت ذيل الآية تتجلى لك الحقيقة، وهو قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ تفرد بالألوهية وكمال العزة والحكمة فلا يغلبه أحد على ما قام به من سنن القسط والعدل ووضع كل شيء على وفق حكمته فإذا ظهرت لك الحقيقة من ان شهادته عزّ وجلّ على صدق رسالته اظهر المعجزات وخرق العادات على يده، فاعلم ان من جملة المعجزات بل من أعظمها انزل القرآن عليه بحيث تحدى به العرب وعجزت الفصحاء والبلغاء عن الاتيان بسورة من مثله، ومن الواضح قبح اظهار المعجزة على يد الكاذب، تعالى الله عن ذلك. إن قلت: لعل الآية الكرية نزلت تسلياً لرسول الله يعني ان الله تعالى يعلم انك رسوله فلا يضرك تكذيب الكفرة كقول القائل في مقام تسلية نفسه: إن الله يعلم ويشهد بصدق ادعائي فعلى هذا لا يلزم من شهادة الله تعالى على رسوله اظهار المعجزات وخرق العادات على يده.

قلنا: بين المقامين فرق واضح لأن الآية نزلت في رد الكفار

والمعاندين وفي مقام الاحتجاج عليهم، فلا يتم الاحتجاج إلا بظهور المعجزات وخوارق العادات، وفي الآية تلويح بل للمنصف تصريح بذلك، لأن الآية لو كانت هكذا كفى بالله شهيدا ومن عنده علم الكتاب لاحتل أن تكون في مقام التسلي لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقط دون الاحتجاج والرد عليهم، ولكنها مع ذكر (قل) في صدرها، وضم (بيني وبينكم) إليها تدل على أنها في مقام الاحتجاج والرد عليهم، وذلك لا يمكن إلا بالمعجزات وخوارق العادات.

ومعنى شهادة من عنده علم الكتاب

وأما شهادة ﴿مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ وكيفيتها فستضح لك بعد أن تعلم المراد من الموصول في الآية الشريفة. واعلم أن الله تعالى اكتفى في إثبات رسالة رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) بشهادة نفسه وشهادة من عنده علم الكتاب، وجعلها في عرض شهادته وجعله عديلاً لنفسه وقريناً لساحة قدسه، ومن البديهي أنه ليس انضمام شهادة من عنده علم الكتاب إلى شهادة الله تعالى من قبيل ضم شهادة عدل إلى شهادة عدل آخر، أو دليل ظني إلى آخر لأن الرسالة والنبوة من الأصول لا تثبت إلا بالعلم واليقين، فعلى هذا يكون ضم شهادة من عنده علم الكتاب إلى شهادة الله تعالى ضم برهان مستقل إلى برهان مستقل آخر، وهذا متوقف على ثبوت عصمة الشاهد وإلا لا يحصل للإنسان يقين.

أخي العزيز فتعال معي نلاحظ الأخبار والأحاديث التي جاءت من

طريق العامة والخاصة في شأن ﴿مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ حتى يتضح الأمر، إن شاء الله تعالى .

فمن طريق العامة : قال العلامة سليمان بن إبراهيم الحنفي القندوزي في تفسير قوله : قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب : الثعلبي وابن المغازلي بسنديهما عن عبد الله بن عطاء قال : (كنت مع محمد الباقر - رضي الله عنه - في المسجد فرأيت ابن عبد الله ابن سلام ، قلت : هذا ابن الذي عنده علم الكتاب . قال : إنما ذاك علي بن أبي طالب ^(١) .

الثعلبي وأبو نعيم بسنديهما عن زاذان ، عن محمد بن الحنفية ، قال : ﴿مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ علي بن أبي طالب .

عن الفضيل بن يسار ، عن الباقر (عليه السلام)، قال : (هذه الآية نزلت في علي عليه السلام ، إنه عالم هذه الأمة) . وفي رواية عنه قال : (إيانا عنى خاصة ، وعلي أفضلنا وأولنا وخيرنا بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم) .

عن عمر بن أذينة ، عن جعفر الصادق عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - : (ألا إن العلم الذي هبط به آدم عليه السلام من السماء إلى الأرض وجميع ما فضلت به النبيون إلى خاتم النبيين في عترة خاتم النبيين صلى الله عليه وآله) ^(٢) .

(١) ينابيع المودة: ج ١ ص ٣٠٧ وتفسير الثعلبي: ج ٥ ص ٣٠٣ وراجع أيضاً شواهد التنزيل للحسكاني: ج ١ ص ٤٠٤ وفي أرجح المطالب: ص ١١١ و٨٦ ومناقب الشافعي: ص ١٥٧ تفسير القرطبي: ج ٩ ص ٣٢٩ .

(٢) راجع ينابيع المودة للقندوزي: ج ١ ص ٣٠٦ وتفسير نور الثقلين للحويزي: ج ٢ ص ٥٢٣ .

وقال الصادق عليه السلام : (علم الكتاب كله - والله - عندنا ، وما أعطي وزير سليمان بن داود عليه السلام إنما عنده حرف واحد من الاسم الأعظم وعلم بعض الكتاب كان عنده ، قال تعالى : الذي عنده علم من الكتاب - اي بعض الكتاب - ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ﴾^(١) . وقال تعالى لموسى عليه السلام : ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً﴾^(٢) بمن التبويض . وقال في عيسى عليه السلام : ﴿وَلَا يَبِينُ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ﴾^(٣) بكلمة البعض . وقال في علي : ومن عنده علم الكتاب أي كل الكتاب ، وقال : ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ، وعلم هذا الكتاب عنده عليه السلام) .

عن عطية العوفي ، عن أبي سعيد الخدري قال : (سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن هذه الآية الذي عنده علم من الكتاب قال : ذاك وزير أخي سليمان بن داود عليه السلام . وسألته عن قول الله عز وجل : قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب قال : ذاك أخي علي بن أبي طالب^(٤) .

عن محمد بن مسلم ، وأبي حمزة الثمالي ، وجابر بن يزيد ، عن الباقر عليه السلام ، وروي عن علي بن فضال والفضيل بن يسار وأبي بصير ، عن

(١) النحل : ٢٧ .

(٢) الاعراف : ١٤٥ .

(٣) الزخرف : ٦٣ .

(٤) ينابيع المودة للقندوزي : ص ١٠٣ .

الصادق عليه السلام ، وروى أحمد الحلبى ومحمد بن فضيل ، عن الرضا عليه السلام ، وقد روي عن موسى بن جعفر وعن زيد بن علي عليه السلام وعن محمد بن الحنفية، وعن سلمان الفارسي وعن أبي سعيد الخدري وإسماعيل السدي أنهم قالوا في قوله تعالى : قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ، هو علي بن أبي طالب عليه السلام) .

قال بعض المحققين : (إن الله تبارك وتعالى بعث خاتم أنبيائه وأشرف رسله وأكرم خلقه بمنه وفضله العظيم بسابق علمه ولطفه بعد أخذه العهد والميثاق على أنبيائه وعباده بمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله: لتؤمنن به ولتنصرنه آل عمران ٨١ ولما فتح الله أبواب السعادة الكبرى والهداية العظمى برسالة حبيبه على العرب وقريش وخصوصا على بني هاشم بقوله تعالى : وأنذر عشيرتك الأقربين ورهطك المخلصين اقتضى العقل أن يكون العالم بجميع أسرار كتاب الله لا بد أن يكون رجلا من بني هاشم بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأنه أقرب به من سائر قريش ، وأن يكون إسلامه أولا ليكون واقفا على أسرار الرسالة وبدء الوحي ، وأن يكون جميع الأوقات عنده بحسن المتابعة ليكون خبيرا عن جميع أعماله وأقواله ، وأن يكون من طفولته منزها عن أعمال الجاهلية ليكون متخلقا بأخلاقه ومؤدبا بآدابه ونظيراً بالرشد من أولاده ، فلم يوجد هذه الشروط عند أحد لما سئل سعيد بن جبير، ومن عنده علم الكتاب قال: عبدالله بن سلام قال: لا وكيف وهذه السورة مكية وعبدالله بن سلام أسلم في المدينة بعد الهجرة، فلم يعرف سبب نزول السورة التي نزلت قبل الهجرة، ولما

كان حاله هذا لم يعرف حق تأويلها بعد إسلامه ، مع أن سلمان الفارسي الذي صرف عمره الطويل ثلاث مائة وخمسين سنة في تعلم أسرار الإنجيل والتوراة و الزبور و كتب الأنبياء السابقين و القرآن لم يكن من عنده علم الكتاب لفقده الشروط المذكورة ، فكيف يكون من عنده علم الكتاب كأبن سلام الذي لم يقرأ الإنجيل ، ولم يوجد فيه الشروط ، ولم يصدر منه مثل ما صدر من علي يعسوب الدين من الأسرار و الحقائق في الخطبات ، مثل قوله : (سلوني قبل أن تفقدوني ، فإن بين جنبي علوما كالبحار الزاخرة) ، و مثل ما صدر من أولاده الأئمة الهداة - عليهم سلام الله وبركاته - من المعارف و الحكم في تأويلات كتاب الله و أسرار.

وقال القرطبي في تفسيره : (قال عبد الله بن عطاء : قلت لأبي جعفر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهم - : زعموا أن الذي عنده علم الكتاب عبد الله بن سلام ، فقال : إنما ذلك علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ، وكذلك قال محمد بن الحنفية ^(١) .

قال أبو حيان الأندلسي المغربي في تفسيره : (قال قتادة : كعبد الله ابن سالم و تميم الداري و سلمان الفارسي . وقال مجاهد : عبد الله بن سلام خاصة . و هذان القولان لا يستقيمان إلا أن تكون الآية مدنية ، و الجمهور يقول : على أنها مكية . وقال محمد ابن الحنفية و الباقر عليه السلام : هو علي ابن أبي طالب ^(٢) .

(١) الجامع لأحكام القرآن: ج ٩، ص ٣٣٦.

(٢) أبو حيان البحر المحيط: ج ٥، ص ١٠١.

قال العلامة الفيض الكاشاني في تفسيره : (وفي الاحتجاج : سألت رجل علي بن أبي طالب - صلوات الله عليه - عن أفضل منقبة له ، فقرأ الآية وقال : إياي عنى بمن عنده علم الكتاب ^(١) .

عن علي بن إبراهيم القمي ، عن الصادق عليه السلام : (الذي عنده علم الكتاب هو أمير المؤمنين عليه السلام . وسئل عن الذي عنده علم من الكتاب أعلم أم الذي عنده علم الكتاب ؟ فقال : ما كان علم الذي عنده علم من الكتاب عند الذي عنده علم الكتاب إلا بقدر ما تأخذ البعوضة بجناحها من ماء البحر ^(٢) .

وعن الإمام الصادق عليه السلام : (علم الكتاب والله كله عندنا ، والله كله عندنا ^(٣) .

أخي المكرم فبعد ما لاحظت الأخبار والأحاديث، وعلمت بمعنويتها أن المراد من الموصول في الآية : «ومن عنده علم الكتاب» هو سيد الوصيين أمير المؤمنين عليه السلام فجدير بك أن تعلم أن شهادته عليه السلام على صحة الرسالة فعلية و قولية . أما القولية فالإقرار باللسان عن هو المثل الأعلى في المعارف . وأما الفعلية فبمتابعتة له والاتباع لأمره والانتهاه بنهيه .

ويعجبني جدا ما قاله العلامة آية الله العظمى ، السيد الخوئي في

(١) الفيض الكاشاني تفسير الصافي: ج ٣، ص ٧٧

(٢) علي بن إبراهيم: تفسير القمي: ج ١، ص ٣٦٧.

(٣) تفسير القمي: ج ١، ص ٣٦٨.

تفسير القرآن (البيان: ص ٩١) في تصديق علي عليه السلام الرسالة . قال ، :
 (إن تصديق علي عليه السلام - وهو على ما عليه من البراعة في البلاغة
 والمعارف و سائر العلوم - لإعجاز القرآن هو بنفسه دليل على أن القرآن
 وحى إلهي ، فإن تصديقه بذلك لا يجوز أن يكون ناشئاً عن الجهل
 والاعتقار ، كيف وهو رب الفصاحة والبلاغة ، وإليه تنتهي جميع العلوم
 الإسلامية ، وهو المثل الأعلى في المعارف ، وقد اعترف بنبوغه وفضله
 المؤلف والمخالف ؟ وكذلك لا يجوز أن يكون تصديقه هذا تصديقاً
 صورياً ناشئاً عن طلب منفعة دنيوية من جاه أو مال ، كيف وهو منار الزهد
 والتقوى ، وقد أعرض عن الدنيا وزخارفها ، ورفض زعامة المسلمين حين
 اشترط عليه أن يسير بسيرة الشيخين ، وهو الذي لم يصانع معاوية بإبقائه
 على ولايته أياما قليلة مع علمه بعاقبة الأمر إذا عزله عن الولاية ، وإذن فلا
 بد من أن يكون تصديقه بإعجاز القرآن تصديقا حقيقياً مطابقاً للواقع ناشئاً
 عن الأيمان الصادق . وهذا هو الصحيح^(١) .

إن قلت : المنكر للأصل - وهو النبي صلى الله عليه وآله وسلم - فلا
 تكون شهادته قاطعة للخصومة بالنسبة إلى النبوة ، فكيف يستشهد الله
 عزوجل بشهادته على ثبوت النبوة ويحتج بها على منكري النبوة والرسالة ؟
 ويقال : إنما لا يجوز الاكتفاء بشهادة الفرع إذا كان القبول مستندا
 إلى مجرد الإقرار والاعتراف مع غض النظر عن ظهور مقامه ودرجته من

كونه عالماً بالكتاب ، واقفاً على كل شيء ، قادراً على إظهار المعجزات وخوارق العادات الملازم للعصمة والصدق عقلاً، وأما إذا كان الاستشهاد به من حيث كونه كذلك - كما في المقام - حيث لم يذكر الشاهد باسمه بل بوصفه لينظر المنكر في شأنه ويراجع إليه ويظهر عنده ثبوت آثاره فينكشف عنده ثبوت الوصف للشاهد وأحقية المشهود به فهو قاطع للخصومة ومثبت للدعوى بالضرورة وإن لم يعترف به المنكر عناداً.

فبما أوضحناه وبيناه ظهر واتضح أن شهادة علي على إثبات الرسالة فعلية وقولية ، وأنها صارت كالمعجزة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وأيضاً أن المراد من الموصول في ﴿ومن عنده علم الكتاب﴾ هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام . وفي الموصول أقوال أخر ينبغي أن نلفت النظر إليها وإلى ردها . قال بعض : (المراد من الموصول هم الذين أسلموا من علماء أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وتميم الدارمي وسلمان الفارسي) وهذا القول مردود بأن السورة مكية ، وهؤلاء أسلموا بالمدينة . وأن شئت زيادة توضيح فلاحظ أقوال المفسرين في ذيل الآية .

قال أبو حيان الأندلسي في تفسيره : (والجمهور على أنها مكية)^(١) .

وقال الطبري في تفسيره : (عن أبي بشر قال : قلت لسعيد بن جبیر

ومن عنده علم الكتاب أهو عبد الله بن سلام ؟ قال : هذه السورة مكية فكيف يكون عبد الله بن سلام ؟)^(٢) .

(١) البحر المحيط: ج ٩ ص ٤٠١ .

(٢) جامع البيان: ج ١، ص ١٠٤ .

وقال القرطبي في تفسيره : (قال ابن جبير : السورة مكية وابن سلام أسلم بالمدينة بعد هذه السورة ، فلا يجوز أن تحمل هذه الآية على ابن سلام^(١) .

وقال الألوسي في تفسيره : (وأجيب عن شبهة ابن جبير بأنهم قد يقولون : إن السورة مكية وبعض آياتها مدنية ، فلتكن هذه من ذلك . وأنت تعلم أنه لا بد لهذا من نقل . وفي البحر : أن ما ذكر (يعني كون الآية في شأن ابن سلام) لا يستقيم إلا أن تكون هذه الآية مدنية والجمهور على أنها مكية ؟ . والشعبي أنكر أن يكون شيء من القرآن نزل به^(٢) .

وقال الفخر الرازي في تفسيره : (إثبات النبوة بقول الواحد والاثنين مع كونهما غير معصومين من الكذب لا يجوز ، وهذا السؤال واقع^(٣) .

فإن قلت : ما تقول في الآية التي تصرح على أن أحداً من بني إسرائيل شهد على صحة الرسالة والنبوة وهي قوله تعالى في سورة الأحقاف (آية ١٠) : ﴿ قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ ؟ قلنا : وإن قال بعض المفسرين إن الشاهد هو عبد الله بن سلام ، إلا أن هذا القول مردود لأن سورة الأحقاف كلها مكية ، وعبد الله بن سلام أسلم بالمدينة . وقال الطبري في تفسيره : (قوله : و شهد شاهد من بني

(١) الجامع لأحكام القرآن: ج ٩، ص ٣٣٦.

(٢) الألوسي روح المعاني: ج ١٣، ص ١٥٨.

(٣) التفسير الكبير: ج ١٩، ص ٧٠.

إسرائيل على مثله اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم :
 وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله ، وهو موسى بن عمران عليه السلام ،
 على مثله يعني على مثل القرآن ، قالوا : ومثل القرآن الذي شهد عليه
 موسى بالتصديق التوراة) . وقال أيضا : (سئل داود عن قوله قل أرأيتم إن
 كان من عند الله وكفرتم به - الآية ، قال داود : قال عامر : قال مسروق :
 والله ، ما نزلت في عبد الله بن سلام ، ما نزلت إلا بمكة وما أسلم عبد الله إلا
 بالمدينة ، ولكنها خصومة خاصم محمد صلى الله عليه وآله وسلم بها قومه .
 قال : فالتوراة مثل القرآن ، وموسى مثل محمد صلى الله عليه وآله وسلم
 فآمنوا بالتوراة وبرسولهم وكفرتم ^(١) .

وبالجملة لا شاهد لتفسيره بعبد الله بن سلام ، بل الشاهد موجود على
 خلافه وهو نزول السورة بمكة ، وتوهم أن السورة مكية إلا هذه الآية
 استتباط من القائل ، لأن العقل يستقل بقبح الاحتجاج بما لا حجية له ،
 فكيف يحتج الله تعالى شأنه بما لا يكون حجة ويجعلها حجة وكافية قاطعة
 للخصومة . وقال بعضهم : (إن كون الآية مكية لا ينافي أن يكون الكلام
 إخباراً عما سيشهد به) ، وفيه أي معنى لأن يحتج على قوم يقولون : لست
 مرسلأ ، بأن يقال لهم : صدقوه اليوم لا بعض علماء أهل الكتاب سوف
 يشهدون عليه .

فإن قلت : ذكر بعضهم أن المراد بالوصول هو الله عز وجل فكأنه

(١) الطبري: جامع البيان: ج ٢٦، ص ٦.

قيل : كفى بالله الذي عنده علم الكتاب شهيداً. فيقال : هذا من عطف الذات وهو الموصول مع صفته (علم الكتاب) إلى نفس الذات وهو الله تعالى ، وهذا قبيح غير جائز، ومضافاً إلى ذلك أن هذا القول مناف لأخبار كثيرة تقول : إن المراد من الموصول في ﴿من عنده علم الكتاب﴾ هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام .

وقد اتضح مما ذكرناه أن الآية لا تنطبق على أحد من علماء اليهود كعبد الله بن سلام ونظرائه وإخوانه ، لأن هؤلاء أسلموا بعد الهجرة والحال أن السورة مكية باتفاق الجمهور ، فإذا لم يصدق الموصول على عبد الله بن سلام وأمثاله ثبت صدقه على أمير المؤمنين عليه السلام لأن الأقوال لا تزيد عن أربعة ، فإذا بطل ثلاثة ثبت الرابع بلا ريب .

وأما المراد من الصلة (علم الكتاب) ، فقال بعضهم : هو التوراة والإنجيل ، وهذا قول من قال : إن المراد من (من) الموصول علماء أهل الكتاب ، وقد علمت أن السورة مكية وأن علماء اليهود والنصارى أسلموا في المدينة . وقال بعضهم : هي التوراة بالخصوص وهو كما ترى كسابقه . وقال بعضهم : هو اللوح المحفوظ . وهذا قول من اعتقد أن المراد من الموصول هو الله تعالى ، وقد علمت أنه من قبيل عطف الذات مع صفته إلى الذات وهو غير جائز . وقال بعضهم : إن المراد بها هي القرآن يعني من تحمل هذا الكتاب وتحقق بعلمه واختص به ويعلم تأويله وتنزيله ، وظاهره وباطنه ، وناسخه ومنسوخه ، ومحكمه ومتشابهه ، ومطلقه ومقيده ، ومجمله ومبينه .

فإن قلت : من أين هذا العموم والاستغراق ؟ قلت : إضافة العلم إلى الكتاب تفيد العموم ، فيكون المراد العلم بكل الكتاب الذي لم يفرط فيه من شئ ، ولا رطب ولا يابس إلا فيه وهذا ملازم لكمال العصمة وتمام القدس .

أخي العزيز إن العلم بظاهر الكتاب وباطنه لا يحصل بالاكتساب وإنما هو موهبة جليلة لا يليق بها إلا من اجتمعت فيه الفضائل الكريمة منها العصمة و الطهارة يؤتيها الله من يشاء حسب مراتب استعداده ، ولذا اختلف نصيب الأنبياء في العلم والكمال ، فمنهم من أوتي حرفاً واحداً، ومنهم أوتي حرفين أو ثلاثة أو أزيد ، ولم يؤت الجميع أحد من الأنبياء وأوصيائهم عليه السلام إلا نبينا وأوصياؤه - صلى الله عليهم أجمعين - . ولم يكن منع الجميع من بخل من المبدأ الفياض - تعالى عن ذلك علوا كبيرا - بل من جهة عدم استعدادهم له - وهذا يدل على ارتفاعهم (عليهم السلام) درجات الكمال ظاهرها وباطنها وأولها إلى آخرها ألف ألف مرة بحيث لا يتصور فوقها درجة ومرتبة ، (فبلغ الله بكم أشرف محل المكرمين ، و أعلى منازل المقربين ، وأرفع درجات المرسلين حيث لا يلحقه لاحق ، ولا يفوقه فائق ، ولا يسبقه سابق ، ولا يطمع في إدراكه طامع .

فعلى هذا إن الآية الكريمة تدل على أن علم الكتاب كله عند مولانا أمير المؤمنين والأئمة المعصومين من ذريته - سلام الله عليهم أجمعين - ، وأيضا تدل على أنهم أعلم وأفضل من أولي العزم من الأنبياء : لأن علومهم

محدودة وليس عندهم علم الكتاب كله . والشاهد على ذلك آيات وروايات، ومن الآيات التي تصرح بذلك هي الآية التي جاءت في شأن سليمان بن داود ووزيره ووصيه عليهما السلام وهي قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ * قَالَ عَفْرَيْتُ مَنْ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٍّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿١﴾

والمراد من الموصول (الذي) آصف بن برخيا ، وزير سليمان عليه السلام كما يظهر من الروايات ، وعنده علم بعض الكتاب لأكمله ، كما هو واضح من كلمة (من) البعضية ، سواء كان المراد من الكتاب اللوح المحفوظ أو جنس الكتب المنزلة أو كتاب سليمان.

فعن أبي سعيد الخدري، قال: سألت رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن هذه الآية الذي عنده علم من الكتاب قال: ذلك وزير أخي سليمان بن داود (عليه السلام) وسألته عن قول الله عز وجل: قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب قال (صلى الله عليه وآله): ذلك أخي علي بن أبي طالب^(٢).

(١) النحل: ٣٨ - ٤٠.

(٢) القندوزي، يتابع المودة: ص ١٠٣.

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) في حديث طويل: «فأيما أكرم على الله نبيكم أم سليمان (عليه السلام) فقالوا: بل نبينا أكرم يا أمير المؤمنين، قال فوصى نبيكم أكرم من وصي سليمان، وإنما كان عند وصي سليمان من اسم الله الأعظم حرف واحد سأل الله اسمه فخسف له الأرض ما بينه وبين سرير بلقيس فتناوله في أقل من طرفة العين، وعندنا من اسم الله الأعظم اثنان وسبعون حرفاً، وحرف عند الله تعالى استأثر به دون خلقه، فقالوا: يا أمير المؤمنين فإذا كان هذا عندك فما حاجتك الى الانصار في قتال معاوية وغيره واستغارك الناس الى حربه ثانية فقال (عليه السلام): بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون إنما ادعو هؤلاء القوم الى قتاله ليثبت الحجة وكمال المحنة^(١).

وعن عبدالله بن الوليد السمان قال: قال أبو عبدالله (عليه السلام): «ما يقول الناس في اولى العزم وصاحبكم أمير المؤمنين قال: قلت: ما يقدمون على اولى العزم أحداً قال: فقال أبو عبدالله (عليه السلام): إن الله تبارك وتعالى قال لموسى (عليه السلام) وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة ولم يقل: كل شيء، وقال لعيسى (عليه السلام) ولا بين لكم بعض الذي تختلفون فيه ولم يقل كل شيء وقال لصاحبكم أمير المؤمنين قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب وقال الله عز وجل ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين وعلم الكتاب عنده (عليه السلام)^(٢).

(١) البحراني، تفسير البرهان: ج ٣ ص ٢٠٥.

(٢) تفسير نور الثقلين: ج ٢ ص ٦٨.

الفصل السابع عشر

آية خير البرية في علي أمير المؤمنين (عليه السلام)

ومن الأدلة الواردة الدالة من الآيات على ان علياً (عليه السلام) خير البشر من الأولين والآخرين، حتى أولى العزم من الرسل، قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾^(١).

قال العلامة الحافظ جلال الدين السيوطي في تفسيره^(٢)، أخرج ابن مردويه عن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله من أكرم الخلق على الله قال: يا عائشة أما تقرئين إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية، وأخرج ابن عساكر، عن جابر بن عبد الله قال: كنا عند النبي فأقبل علي فقال النبي (صلى الله عليه وآله): والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة، ونزلت ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية، فكان أصحاب النبي اذا أقبل علي قالوا جاء خير البرية.

(١) البيهقي: ٧.

(٢) تفسير السيوطي: ج ٦ ص ٣٧٩.

وأخرج ابن عدي وابن عساكر^(١)، عن أبي سعيد مرفوعاً: علي خير البرية، وأخرج ابن عدي عن ابن عباس قال: (لما نزلت إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعلي: هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين.

وأخرج ابن مردويه عن علي (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ألم تسمع قول الله إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية أنت وشيعتك^(٢).

وقال العلامة أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في تفسيره (وقوله ان الذين آمنوا بالله ورسوله وعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء، وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، وأطاعوا الله فيما أمر ونهى أولئك هم خير البرية) يقول: من فعل ذلك من الناس فهم خير البرية، وقد حدثنا ابن حميد قال: حدثني عيسى بن فرقد، عن أبي الجارود عن محمد بن علي ﴿أَوْلَئِكَ هُمُ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ فقال: النبي (صلى الله عليه وآله) أنت يا علي وشيعتك^(٣).

وقال العلامة الحافظ الكنجي الشافعي: عن جابر بن عبد الله قال: كنا عند النبي (صلى الله عليه وآله) فأقبل علي بن أبي طالب فقال النبي (صلى الله عليه وآله) قد أتاكم أخي ثم التفت الى الكعبة ف ضربها بيده، ثم قال: والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة، ثم إنه أولكم

(١) تاريخ ابن عساكر: ج ٢ ص ٣٤٨.

(٢) الزمخشري، الدر المنثور: ج ٦ ص ٣٧٩.

(٣) الطبري، جامع البيان: ج ٢٩.

إيماناً وأوفاكم بعهد الله و أقومكم بأمر الله وأعدلكم في الرعية وأقسمكم بالسوية وأعظمكم عند الله مرية قال: ونزلت ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية قال: وكان أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) إذا أقبل علي قالوا: جاء خير البرية،

قلت: هكذا رواه محدث الشام في كتابه بطرق شتى، وذكرها محدث الطرق ومورخها عن زرّ عن عبدالله عن علي قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) «من لم يقل علي خير الناس بعد النبي فقد كفر، وفي رواية عن حذيفة قال: سمعت النبي (صلى الله عليه وآله) يقول علي خير البشر ومن أبى فقد كفر^(١)».

وفي رواية لعائشة، عن عطاء، قال: سألت عائشة عن علي فقالت: ذاك خير البشر، لا يشك فيه الا كافر، قلت: هكذا ذكره الحافظ في ترجمة علي (عليه السلام) في تاريخه في المجلد الخمسين وكتابه يبلغ مائتا مجلد^(٢).

وقال العلامة الألوسي البغدادي في تفسيره (اخرج ابن مردويه عن علي كرم الله تعالى وجهه قال: قال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله) ألم تسمع قول الله تعالى إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية، هم أنت وشيعتك، وموعدي وموعدكم الحوض اذا جاءت الأمم للحساب يدعون غراً محجلين).

(١) راجع: ينابيع المودة: ج ٢ ص ٧٨ ومناقب علي ابن أبي طالب لأبن مردويه: ص ١١٠.

(٢) الكنجي، كفاية الطالب: ص ٢٤٥.

وأخرج ابن مردويه أيضاً عن ابن عباس، قال: لما نزلت هذه الآية ان الذين آمنوا، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعلي رضي الله تعالى عنه وكرم وجهه هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين.

وأخرج ابن مردويه، عن عائشة قالت: قلت يا رسول الله، من أكرم الخلق على الله تعالى، قال يا عائشة أما تقرئين إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية^(١).

قال الألوسي وأنت تعلم أن هذا ظاهر في أن المراد بالبرية الخليفة مطلقاً، والامامية وان قالوا: إنه خير من الأنبياء وحتى أولى العزم (عليهم السلام) ومن الملائكة المقربين (عليهم السلام) لا يقولون بخيرته من رسول الله فان قالوا: بأن البرية على ذلك مخصوصة بمن عداه عليه الصلاة والسلام للدليل الدال على أنه (صلى الله عليه وآله) خير منه كرم الله وجهه قيل انها مخصوصة أيضاً بمن عدا الأنبياء والملائكة^(٢).

وهنا ينبغي التوجه الى نكتة أدبية وهي أن البرية فعلية من برأ الله الخلق إلا أنه ترك فيها الهمز ويجوز أن تكون من البري وهو التراب، قال ابن المنظور في (برأ): (والبرية الخلق، وأصلها الهمز، وقد تركت العرب همزها، ونظيره النبي والذرية وأهل مكة يخالفون غيرهم من العرب يهمزون البرية والنبي والذرية من ذرأ الله الخلق).

(١) المصدر السابق.

(٢) الألوسي، روح المعاني: ج ٣٠ ص ٢٠٧.

وعجباً من الآلوسي مع أنه اعترف بأن البرية هي الخليقة مطلقاً كيف يقول: إن علياً كرم الله وجهه خير البرية ما عدا الأنبياء والملائكة، أشهد الله على أنه ما قال هذا الكلام الا لشيء يتلجلج في صدره ولكراهية كانت في نفسه من أفضلية سيد الموحدين أمير المؤمنين وهو نفس النبي عدل القرآن أخ المصطفى زوج فاطمة الزهراء (عليها السلام).

لماذا يقول الآلوسي انها مخصوصة أيضاً بمن عدا الانبياء والملائكة ألم ير هذا الفضل حديث الاشباه وحديث المؤاخاة وحديث الطير المشوي ألم يقرأ عن عمر بن الخطاب هذا الحديث انه قال سمعت رسول الله يقول لو أن ايمان أهل السموات والأرض وضع في كفة، ووضع ايمان علي في كفة لرجح ايمان علي بن أبي طالب^(١).

فلاحظ الاخبار والاحاديث الآتية حتى تكون على بصيرة من أمرك إن شاء الله تعالى، وإنها لكثيرة جداً، وها نحن نذكر نبذة يسيرة منها.

روى العلامة الشيخ سليمان الحنفي عن جابر قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) (من أراد أن ينظر الى اسرافيل في هيئته، وإلى ميكائيل في رتبته وإلى جبرئيل في جلالته، وإلى آدم في علمه، وإلى نوح في خشيته وإلى ابراهيم في خلته وإلى يعقوب في حزنه وإلى يوسف في جماله وإلى موسى في مناجاته وإلى ايوب في صبره وإلى يحيى في زهده وإلى عيسى في عبادته وإلى يونس في ورعه، وإلى محمد في حسبه وخلقه، فلينظر الى

علي، فإن فيه تسعين خصلة من خصال الانبياء جمعها الله فيه ولم يجمعها في أحد غيره^(١).

اخرج العلامة الحسكاني الحنفي عن أبي الحمراء قال «كنا عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأقبل علي فقال رسول الله: من سرّه أن ينظر الى آدم في علمه ونوح في فهمه وابراهيم في خلته فلينظر الى علي بن أبي طالب»^(٢).

روى الحافظ الموفق الحنفي، المعروف بأخطب خوارزم، عن الحارث الأعور صاحب راية علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقال: قال: بلغنا ان رسول الله كان في جمع أصحابه فقال: أريكم آدم في علمه ونوحاً في فهمه وابراهيم في حكمته، فلم يكن بأسرع من أن طلع علي (عليه السلام) فقال: أبو بكر يا رسول الله، أقست رجلاً بثلاثة من الرسل، بخ بخ لهذا الرجل، من هو يا رسول الله، قال النبي (صلى الله عليه وآله) أو لاتعرفه يا أبا بكر، قال الله ورسوله أعلم، قال: هو أبو الحسن علي بن أبي طالب، فقال أبو بكر: بخ بخ لك يا أبا الحسن وأين مثلك يا أبا الحسن^(٣).

روى العلامة المجلسي عن علي بن الحسين عن أبيه (عليه السلام) قال: نظر رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذات يوم الى علي (عليه السلام) قد أقبل وحوله جماعة من أصحابه فقال: من أحب أن ينظر الى يوسف في

(١) القندوزي في ينابيع المودة، الباب ٥٦: ج ٢ ص ٨٠

(٢) الحسكاني، شواهد التنزيل: ج ١ ص ١٨٠.

(٣) الخوارزمي، المناقب: ص ٤٥.

٢٧٠ الامام علي (عليه السلام) من الكعبة الى المحراب

جماله والى ابراهيم في سخائه والى سليمان في بهجته والى داود في حكمته
فلي نظر الى علي^(١).

وروى أيضاً - عن سلمة بن قيس، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه
وآله): أعطى الله علياً من الفضل جزءاً لو قسم على أهل الأرض لوسعهم،
وأعطاه الله من الفهم لو قسم على أهل الأرض لوسعهم شبهت لينة بلين
لوط، وخلقه بخلق يحيى وزهده بزهد أيوب، وسخاؤه بسخاء ابراهيم
وبهجته ببهجة سليمان بن داود وقوته بقوة داود، ولو أوحى الى أحد بعدي
لأوحى اليه، فزين الله به المحافل وأكرم به العساكر وأخصب به البلاد وأعز
به الاجناد، مثله كمثل بيت الله الحرام يزار ولا يزور، ومثله كمثل القمر اذا
طلع أضاء الظلمة ومثله كمثل الشمس اذا طلعت أنارت الدنيا^(٢).

والمستفاد من هذه الأحاديث التي سميت بالاشباه والنظائر لاشتمالها
بمشابهات بين الانبياء (عليهم السلام) وعلي المرتضى (عليه السلام) تقدم
على جميع الملائكة والأنام حيث إن النظر اليه وحده يقدم مقام النظر الى
جميعهم فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أثبت لعلي في هذه الأحاديث
هبة تشبه هبة إسرافيل ورتبة تشبه رتبة ميكائيل وجلالة تشبه جلالة
جبرائيل وعلمه يشبه علم آدم وخشية تشبه خشية نوح، وخلة تشبه خلة
إبراهيم، وحزنه يشبه حزن يعقوب، وجماله يشبه جمال يوسف، ومناجاة

(١) بحار الأنوار: ج ٣٩ ص ٣٥ - ٣٧.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار: ج ٣٩ ص ٣٧. وراجع أيضاً أمالي الصدوق: ص ٥٧ مناقب ابن

شهر آشوب: ج ٣ ص ٥٧.

تشبه مناجاة موسى، وصبره يشبه صبر أيوب وزهده يشبه زهد عيسى وأن هذه الصفات تلو فيه أعلى الدرجات وأحسن ما أجاد به المولى محمد كاظم الأزرى:

لك في مرتقى العلى والمعالي درجات لا يرتقى أدناها
أنت بعد النبي خير البرايا والسماء خير ما بها قمرها

واستدل الفخر الرازي في تفسيره بقوله تعالى: ﴿أَوْلَيْكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ ائْتَدَهُ قُلٌّ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرِي لِلْعَالَمِينَ﴾^(١) على أفضلية نبينا علي سائر الأنبياء لاجتماع خصال الانبياء فيه كاستدلالنا بها على أفضلية علي (عليه السلام) قال: احتج العلماء بهذه الآية أن رسولنا (صلى الله عليه وآله) أفضل من جميع الانبياء (عليهم السلام) وتقريره هو أننا بينا ان خصال الكمال وصفات الشرف كانت مفرقة فيهم (أي في الأنبياء) بأجمعهم فداود وسليمان كان من أصحاب الشكر علي النعمة وأيوب كان من أصحاب الصبر على البلا، ويوسف كان مستجمعاً لهاتي الحالتين وموسى (عليه السلام) كان صاحب الشريعة القوية القاهرة والمعجزات الظاهرة، وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كانوا أصحاب الزهد، واسماعيل كان صاحب الصدق ويونس صاحب التضرع فثبت أنه تعالى انما ذكر كل واحد من هؤلاء الأنبياء لأن الغالب عليه خصلة معينة من خصال المدح والشرف،

ثم إنه تعالى لما ذكر الكلّ أمر محمداً (صلى الله عليه وآله) بأن يقتدى بهم بأسرهم فكان التقدير كأنه تعالى أمر محمداً (صلى الله عليه وآله) أن يجمع من خصال العبودية والطاعة كل الصفات التي كانت مفرقة فيهم بأجمعهم ولما أمره الله تعالى بذلك امتنع أن يقال إنه قصر في تحصيلها، فثبت أنه حصلها، ومتى كان الأمر كذلك ثبت أنه اجتمع فيه من خصال الخير ما كان متفرقاً فيهم بأسرهم ومتى كان الأمر كذلك وجب أن يقال: إنه أفضل منهم^(١).

ومن هنا تظهر للقارئ الكريم دلالة أحاديث الأشباه على أفضلية علي (عليه السلام) قال العلامة الحافظ أبو عبد الله الكنجي الشافعي: قلت تشبيهه لعلي (عليه السلام) بآدم في علمه، لأن الله علّم آدم كل شيء كما قال عزوجل: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾^(٢) فما من شيء ولا حادثة ولا واقعة إلا وعند علي (عليه السلام) فيها علم، وله في استنباط معناها وفهمها، وشبه بنوح في حكمته، أو في رواية في حكمه، وكأنه أصح لأن علياً (عليه السلام) كان شديداً على الكافرين رؤوفاً بالمؤمنين كما وصفه الله في القرآن: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾^(٣)، وأخبر الله عزوجل عن شدة نوح على الكافرين بقوله ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنْ

(١) الرازي، التفسير الكبير: ج ١٣ ص ٦٩.

(٢) البقرة: ٣١.

(٣) الفتح: ٢٩.

الْكَافِرِينَ دِيَارًا»^(١) وشبهه في الحلم بإبراهيم خليل الرحمن كما وصفه الله عزوجل في القرآن بقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ فكان متخلقاً بأخلاق الأنبياء متصفاً بصفات الأصفياء^(٢).

روى العلامة الشيخ سليمان الحنفي عن جابر قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا علي لو أن أحداً عبد الله حق عبادته ثم شك فيك وأهل بيتك أنكم أفضل الناس، كان في النار^(٣).

روى عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: «لو وضع أعمال امتي في كفة، ووضع عملك يوم أحد في كفة أخرى لرجح عملك، وأن الله باهى بك يوم أحد ملائكته المقربين ورفعت الحجب من السموات، وأشرقت اليك الجنة وما فيها وابتهج بفعلك رب العالمين»^(٤).

روى الحافظ الكنجي عن أبي عقال عن رسول الله سأل أبو عقال النبي (صلى الله عليه وآله) فقال: يا رسول الله من سيد المسلمين فقال النبي (صلى الله عليه وآله) من تظن يا أبا عقال، فقال: آدم، فقال (صلى الله عليه وآله) ههنا من أفضل من آدم، فقال: يا رسول الله أليس الله خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وزوجه حواء أمته وأسكنه جنته فمن يكون أفضل منه، فقال النبي (صلى الله عليه وآله): من فضله الله عزوجل، فقال: شيث فقال (صلى

(١) نوح: ٢٦.

(٢) الكنجي، كفاية الطالب، الباب ٢٣ ص ١٣٢.

(٣) القندوزي، يتابع المودة: ج ٢ ص ٧٨.

(٤) المصدر السابق: ج ١٧ ص ١٢٧.

الله عليه وآله) أفضل من شيث، فقال: ادريس فقال (صلى الله عليه وآله) أفضل من ادريس ونوح فقال: هود فقال (صلى الله عليه وآله): أفضل من هود وصالح ولوط، وموسى وهارون، فقال (صلى الله عليه وآله): أفضل من موسى وهارون، قال: فابراهيم إذن قال (صلى الله عليه وآله): أفضل من ابراهيم واسماعيل واسحاق، قال: فيعقوب قال (صلى الله عليه وآله): أفضل من يعقوب ويوسف، قال: فداود قال (صلى الله عليه وآله): أفضل من داود وسليمان قال: فأيوب، قال (صلى الله عليه وآله): أفضل من أيوب ويونس، قال: زكريا إذن قال (صلى الله عليه وآله): أفضل من زكريا ويحيى، قال: فاليسع إذن قال (صلى الله عليه وآله): أفضل من اليسع وذو الكفل قال: فعيسى إذن قال (صلى الله عليه وآله): أفضل من عيسى، قال أبو عقاب: ما علمت من هو يا رسول الله ملك مقرب فقال النبي (صلى الله عليه وآله) مكلّمك يا أبا عقاب (يعني نفسه).

فقال أبو عقاب: سررتني والله يا رسول الله، فقال النبي (صلى الله عليه وآله) أزيدك يا أبا عقاب قال: نعم فقال (صلى الله عليه وآله): اعلم يا أبا عقاب أن الأنبياء والمرسلين لو جعلوا في كفة وصاحبك في كفة لرجح عليهم، فقلت ملائتني سروراً يا رسول الله، فمن أفضل الناس بعدك قال (صلى الله عليه وآله): علي بن أبي طالب فقلت لم ذلك فقال (صلى الله عليه وآله) وآله): خلقت أنا وعلي بن أبي طالب من طينة واحدة الي أن قال يا أبا عقاب فضل علي على سائر الناس كفضل جبرئيل على سائر الملائكة، ثم قال

الكنجي : هذا حديث حسن^(١).

روى العلامة الكراجكي عن ابن عباس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): علي أفضل من خلق الله تعالى غيري، والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما وان فاطمة سيدة نساء العالمين^(٢).

روى العلامة ابن المغازلي عن حذيفة اليماني قال: أخي رسول الله (صلى الله عليه وآله) بين أصحابه الانصار والمهاجرين فكان يواخي بين الرجل ونضيره، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب فقال: هذا أخي قال حذيفة رسول الله سيد المسلمين وامام المتقين ورسول رب العالمين الذي ليس له في الانام شبيه ولا نظير وعلي بن أبي طالب أخوانا^(٣).

روى العلامة القندوزي عن زيد بن أوفى قال: لما آخى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بين أصحابه فقال علي (عليه السلام): يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تواخ بيني وبين أحد فقال (صلى الله عليه وآله): والذي بعثني بالحق نبيا ما أخرجتك الا لنفسي فانت مني بمتزلة هارون من موسى الا أنه لانبيّ بعدي وأنت أخي ووارثي وأنت معي في قصري في الجنة مع ابنتي فاطمة، وأنت أخي ورفيقي ثم تلا: (أخوانا على سرر متقابلين المتحابون في الله ينظر بعضهم الى بعض)^(٤).

(١) كفاية الطالب: ص ٣١٦.

(٢) التفضيل: ص ١٦ - ١٩.

(٣) المغازلي، مناقب علي بن أبي طالب: ص ٣٨.

(٤) القندوزي: ينابيع المودة ج ١ ص ٥٥.

روى العلامة السيد هاشم البحراني عن جابر بن عبد الله أنه قال: قال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله): «يا جابر أي الاخوة أفضل، قال: البنون من الأب والأم، فقال (صلى الله عليه وآله): إنا معاشر الانبياء إخوة وأنا أفضلهم، ولأحب الاخوة اليّ علي بن أبي طالب، فهو عندي أفضل من الأنبياء فمن زعم أن الأنبياء أفضل منه فقد جعلني أقلهم ومن جعلني أقلهم فقد كفر، لأنني لم اتخذ علياً أخاً الا لما علمت من فضله^(١).

روى العلامة الكنجي عن ابن عمر، قال: آخى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بين أصحابه فجاء علي تدمع عيناه، فقال: يا رسول الله آخيت بين اصحابك ولم تواخي بيني وبين أحد، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): أنت أخي في الدنيا والآخرة، ثم قال: قلت هذا حديث حسن عال صحيح^(٢).

وتجد لهذا الحديث مصادر شتى وطرق مختلفة ذكره الحفاظ وأئمة الحديث بأسانيد متعددة واذا أردت المزيد فعليك بمراجعة كتاب الغدير للعلامة الأميني (ج ٣ ص ١١٢ الى ١٢٤) أخرجه من خمسين طريقاً، وجاءت طريقه أيضاً في (فضائل الخمسة) للعلامة الفيروزآبادي (ج ١، ص ٣١٨ الى ٣٣٢) وذكره العلامة المجلسي في البحار بأسانيد شتى (ج ٣٨ ص ٣٣ الى ٣٤٧).

ولاريب أنه لم تكن هذه المؤاخاة الا على اساس المماثلة والمشاكله

(١) البحراني، البرهان في تفسير القرآن: ج ٤ ص ١٤٨.

(٢) الكنجي: كفاية الطالب، الباب ٤٧ ص ١٩٤.

بين الأشخاص في الكمالات النفسانية والدرجات الروحية، وان شئت زيادة بصيره. فأمعن النظر في كلام الحافظ الكنجي الشافعي، قال: فإذا أردت قرب منزلته (عليه السلام) من رسول الله (صلى الله عليه وآله) تأمل صنيعه في المؤاخاة بين الصحابة جعل يضم الشكل الى الشكل والمثل الى المثل فيؤلف بينهم الى أن آخى بين أبي بكر وعمر، وأدّخر علياً (عليه السلام) لنفسه وأختصه باخوته، وناهيك بها من فضيلة وشرف إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

ولا يشك أحد من المسلمين بأن حديث المؤاخاة من أدلّ الدليل على امامة علي (عليه السلام) وتقدمه على جميع البشر ممن تقدم وتأخر سوى النبي (صلى الله عليه وآله) لانه (عليه السلام) نظير النبي (صلى الله عليه وآله) ومثله كما لاحظته في الأخبار الماضية، يقول الازري:
لك ذات كذاته حيث لولا أنها مثلها لما آخاها

اللهم اجعلنا ممن تمسك بولاية أمير المؤمنين (عليه السلام).

روى العلامة ابن المغازلي، عن أبي جعفر السبّاك عن أنس بن مالك، قال «أهدى لرسول الله (صلى الله عليه وآله) طائر مشويّ أهدته له امرأة من الأنصار فدخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) فوضعت ذلك بين يديه فقال: اللهم ادخل علي أحب خلقك إليك من الأولين والآخرين ليأكل معي من هذا الطائر، فقال أنس: قلت في نفسي: اللهم اجعله رجلاً من الأنصار من قومي، فجاء علي فطرق الباب، فرددته وقلت له: رسول الله مشاغل، ولم يعلم رسول الله (صلى الله عليه وآله) لذلك، فقال: اللهم ادخل علي أحب

خلقتك إليك من الأولين والآخرين يأكل معي من هذا الطائر، قلت: اللهم اجعل رجلاً من قومي الأنصار: فجاء علي فرددته فلما جاء الثالثة قال لي رسول الله: قم فافتح الباب لعلي فقامت ففتحت الباب وأكل معه فكانت الدعوة له»^(١).

روى الحاكم، أبو عبدالله النيشابوري عن يحيى بن سعيد عن أنس بن مالك، قال: «كنت أخدم رسول الله فقدم طير مشوي، فقال: اللهم اتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير، قال: قلت: اللهم اجعله رجلاً من الأنصار فجاء علي (عليه السلام) فقلت: إن رسول الله على حاجة، ثم جاء فقلت: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) على حاجة، ثم جاء فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): افتح الباب فدخل فقال: ما حبسك عليّ فقال: هذه آخر ثلاث كرات يردني أنس بزعم أنك على حاجة، فقال (صلى الله عليه وآله): ما حملك على ما صنعت، فقلت: يا رسول الله سمعت دعائك فأحببت أن يكون رجلاً من قومي، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إن الرجل قد يحب قومه، هذا حديث صحيح^(٢).

وقد روى هذا الحديث من طرق عديدة من الصحابة والتابعين من سنة وشيعة وأخرجه العلماء والحفاظ في كتبهم المعتبرة بصور مختلفة وعبارات متفاوتة قريبة المعنى وهنا نشير إلى بعضها باختصار.

عن حميد الطويل، عن أنس بن مالك، قال: «أهدى إلى النبي (صلى

(١) ابن المغازلي، مناقب علي بن أبي طالب: ص ١٦٨.

(٢) المستدرک: ج ٣ ص ١٣٠.

الله عليه وآله) طير مشوي، فقال: اللهم ابعث اليّ أحب خلقك اليك وإلى نبيك يأكل معي من هذه المائدة قال: فأتى علي (عليه السلام) الحديث^(١).

عن اسماعيل بن أبي المغيرة، عن أنس بن مالك، قال: اهدى لرسول الله (صلى الله عليه وآله) أطيار فقسمها بين نساته فأصاب كل امرأة منهن ثلاثة فأصبح عند بعض نساته قطاتان، فبعثت بهما إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فقال: اللهم ائتني بأحب خلقك إليك وإلى رسولك يأكل معي من هذا الطعام فقلت: اللهم اجعله رجلاً من الأنصار فجاء علي الحديث.

عن عثمان الطويل، عن أنس بن مالك قال: (اهدي للنبي (صلى الله عليه وآله) طير كان يعجبه أكله فقال: اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل من هذا الطائر فجاءه علي (عليه السلام)).

عن الزبير بن عدي عن أنس قال: «أهدى إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) طير مشوي، فلما وضع بين يديه قال: اللهم ائتني بأحب خلقك اليك يأكل معي من هذا الطائر قال: فقلت: اللهم اجعله رجلاً من الأنصار فجاءه علي^(٢)».

عن نافع، عن أنس بن مالك: «ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) قرّب إليه طير، فقال: اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير، قال: فجاء علي يأكل معه^(٣)».

(١) ابن المغازلي في مناقب علي بن أبي طالب: ص ١٦٧ - ١٥٦.

(٢) ابن المغازلي، مناقب علي بن أبي طالب: ص ١٦٧ - ١٥٦.

(٣) ابن المغازلي، مناقب علي بن أبي طالب: ص ١٦٧ - ١٥٦.

وذكر المحققون فوائد هامة من هذا الحديث ينبغي الالتفات إليها:
 الأولى: المستفاد من هذه الأحاديث أن علياً (عليه السلام) أفضل
 الناس بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخير البشر لأنك قد لاحظت
 دعاء النبي (صلى الله عليه وآله): اللهم أدخل عليّ أحبّ خلقك إليك من
 الأولين والآخريين ليأكل معي من هذا الطير، فجاء علي (عليه السلام) وقال:
 أيضاً: (اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل من هذا الطائر معي فجاء علي
 (عليه السلام) وان شئت أن يبرد قلبك وقرت عينك فانظر كلاماً هو أطيب
 من نفحة الأزهار وهو ما قاله العلامة الكنجي الشافعي، قال وفيه (أي في
 حديث الطير) دلالة واضحة أن علياً (عليه السلام) أحب الخلق إلى الله،
 وأدلّ الدلالة على ذلك اجابة دعاء النبي حيث قال عزوجل (ادعوني
 استجب لكم)^(١)، فأمر بالدعاء ووعده بالاجابة وهو عزوجل لا يخلف
 الميعاد، وما كان الله ليخلف رسله وعده ولا يرد دعاء رسوله لأحب الخلق
 إليه ومن أقرب الوسائل إلى الله تعالى محبته ومحبة من يحبه لحبه كما
 أشدني بعض أهل العلم في معناه:

أنها مثلها لما آخاها

وسادس القوم جرئيل

بالخمسة الغر من قريش

بحسن ظني بك الجميل^(٢)

يحبهم رب فاعف عني

(١) غافر: ٦٠.

(٢) الكنجي الشافعي، كفاية الطالب باب ٣٣ ص ١٥١.

العدد المذكور في هذا البيت أراد بهم أهل البيت أصحاب العباء الذين قال الله تعالى في حقهم ﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(١) وهم محمد (صلى الله عليه وآله) وعلي فاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) وسادسهم جبرئيل.

الثانية: إن أكثر هذه الأحاديث لا تذكر مصدر هذا الطير المشوي الذي أكل منه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأكل معه علي (عليه السلام) وإن ذكر في بعضها فأنك شاهدت الفاظ الأحاديث التي مرت عليك، ففيها «قدم لرسول الله، أو اهدي أقرب ووضع بين يديه» وشابه ذلك، فهل كان هذا الطير من أطيار الدنيا أو من طيور الجنة؟ ويظهر من بعض الأحاديث أن هذا الطير من أطيب طعام الجنة أتى به جبرئيل إلى النبي (صلى الله عليه وآله) كالخبر الذي أخرجه العلامة المجلسي ضمن حديث عن علي (عليه السلام)^(٢).

ويستفاد أيضاً من هذا الحديث أن عائشة كانت تمنع الامام (عليه السلام) من الدخول على رسول الله (صلى الله عليه وآله) والعمدة في هذا الباب أن هذه الفضيلة من خصائص أمير المؤمنين (عليه السلام) وأنه أحب الناس إلى الله ورسوله (صلى الله عليه وآله) وأفضلهم. والأختلاف في هوامش هذه الفضيلة وجوانبها لا يقدر في أصلها.

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) البحار: ج ٣٨ ص ٣٤٨.

الثالث: أن حديث الطير من الأحاديث المعتبرة الصحيحة التي قد أجمعت أئمة الحديث والحفاظ على صحته وتوثيق سنده، وقد تواتر وروده بطرق شتى وأسانيد عديدة منهم الحافظ أبو عبدالله الحاكم النيشابوري في مستدركه قال: «وقد رواه عن أنس جماعة من أصحابه زيادة على ثلاثين نفساً) وقال الحافظ الذهبي في تلخيصه على ما في ذيل المستدرک، وقد رواه عن أنس أكثر من ثلاثين نفساً، وأخرجه الحافظ ابن المغازلي الشافعي في مناقبه عن أربعة وعشرين طريقاً، وأما الروايات الواردة عن طريق علماء أبناء العامة كثيرة جداً ولا يسعها المقام في شأن علي بن أبي طالب روى ابن المغازلي الواسطي الشافعي في مناقبه عن زيد بن أرقم قال: كنا جلوساً عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: ألا أدلكم على من لو استرشدتموه لن تضلوا ولن تهلكوا، قالوا: بلى يا رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: هو هذا، وأشار إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام) ثم قال: وآخوه ووازره وصدقوه فإن جبرئيل أخبرني بما قلت لكم انه الصراط المستقيم.

رواه القندوزي الحنفي في ينابيع المودة (ص ٢٥٠ ط اسلامبول) عن ابن عباس قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): لن تضلوا ولن تهلكوا وأنتم في موالة علي (عليه السلام) وان خالفتموه فقد ظلت بكم الطرق والاهواء فاتقوا الله فإن ذمة الله علي بن أبي طالب (عليه السلام) وصراطه المستقيم رواه الكشفي في المناقب المرتضوية (ص ١١٣).

روى الطبري في كتابيه ذخائر العقبى (ص ٦١ ط مكتبة القدس بمصر) والرياض النضرة (ج ٢ ص ٢١٤ ط الخارنجي بمصر) عن عمر ابن

الخطاب قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما اكتسب مكتسب مثل فضل علي (عليه السلام) يهدي صاحبه الى الهدى ويرده عن الردى ثم قال أخرجه الطبراني ورواه القندوزي الحنفي في ينابيع المودة (ص ٢٠٣ ط اسلامبول) أوضحه الحنفي في أرجح المطالب (ص ٩٨ ط لاهور) روى الحافظ عبدالرحمن الرازي في الجرح والتعديل (ج ٢ - ٣٧٣ ط حيدرآباد الدكن) عن شراحيل بن مرة قال: سمعت رسول الله يقول لعلي (عليه السلام) إبشر فان حياتك وموتك معي وأنت الصراط المستقيم رواه جماعة منهم ابن عساكر في تاريخه الهيثمي في مجمع الزوائد وابن حجر العسقلاني في الاصابة والهندي في منتخب كنز العمال الى غير ذلك من الأحاديث ذكرنا في كتاب صوت الحق الجلد الأول من أحاديث أبناء العامة.

الفصل الثامن عشر

في شجاعته (عليه السلام)

لقد ذكرنا لمحات عن مواقفه مع النبي (صلى الله عليه وآله) في مكة وبدر وأحد والاحزاب وغيرها من الغزوات والمعارك التي دارت بين الاسلام والشرك في الفصول السابقة وهو في ريعان شبابه، وقد بقي ذلك السيف الذي أطاح برؤوس المشركين في تلك المعارك في غمده الى أن جاءت الأيام التي دعاه بها رسول الله (صلى الله عليه وآله) بقوله: ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين، ولو لم يكن له إلا مواقفه الأخيرة في البصرة وصفين والنهروان لكفاه دليلاً على أن تاريخ البشرية لم يعرف اثبت منه في الحروب ولقد كان الأبطال والشجعان يفتخرون ويتباهون بوقوفهم في مقابله في الحروب والمعارك ولو لحظات معدودات ولا يجدون وهنا عليهم اذا فروا منه في ساحة القتال، وهان على قتيلة قتل أخيها النضر بن الحارث لانه كان على يده،

ونظر إليه بعض من كان معه في معركة البصرة وهو يخفف من النعاس وقد بدت المعركة لغير صالحه، فقال له: والله مارأيت مثل اليوم أن بازائنا مائة ألف سيف وأنت على هذه الحالة وقد هزمت ميمتك وميسرتك

يا أبا الحسن فانتبه ورفع يده وقال: اللهم انك تعلم اني ما كتبت في عثمان سوادا في بياض، وأن الزبير وطلحة ألبا وأجلبا على الناس، ثم تقدم من المعركة فوجد اصحابه يهزمون ويقتلون فلما رأى ذلك صاح بابنه محمد بن الحنفية ومعه الراية وأمره أن يتقدم بها ولما أبطأ محمد عن مهاجمة القوم أتاه علي (عليه السلام) من خلفه وضربه بين كتفيه وأخذ الراية منه واقتحم عسكرهم وشقه نصفين يضرب فيهم بسيفه وهم يفرون بين يديه كما يفر قطيع المعزى من الذئاب الضارية، ثم خرج من بينهم وطلب الماء فأتاه رجل باناء فيه عسل فحسا منه حسوة وقال: ان عسلك هذا لطائفي يا بن أخي، فقال له الرجل العجب منك يا أبا الحسن لمعرفتك بالطائفي من غيره في مثل هذا الموقف الرهيب وقد بلغت القلوب الحناجر، فقال له أمير المؤمنين: والله يا ابن أخي ما ملأ صدر عمك شيء قط، ولا هابه لشيء ابدا وكان يخلع أشد الفرسان صولة وأرهبهم جانبا من صهواتهم ويرفعهم بيده في الهواء ويجلد بهم الأرض جلدا لا جاهدا ولا متعبا على حد تعبير الراوي،

ولست أعلم وأنا أريد أن اتحدث ولو قليلا عن هذه الناحية من نواحي عظمته التي لاتزال وستبقى حديث الاجيال وبها تضرب الامثال، وكلما استعرضت موقفاً من مواقفه المدهشة ينتقل ذهني من حيث لا اريد الى ما هو ادهش وأغرب وقد اكد هذه الحقيقة كل من كتب عنه وأستعرض مواقفه تدهش وتحير،

وقال ابن أبي الحديد وهو يتحدث عن هذه الناحية من نواحي عظمته

لقد أنسى الناس ذكر، من كان قبله ومحا اسم من يأتي بعده، ومقاماته في الحروب مشهورة تضرب بها الامثال الى يوم القيامة فهو الشجاع الذي ما فر في موقف قط ولا ارتاع من كتيبة، ولا بارز احدا الا قتله ولا ضرب ضربة واحتاج الى الثانية فكانت ضرباته وترا.

ولما دعا معاوية الى البراز ليريح الناس من الحرب، قال له ابن العاص
لقد انصفك الرجل،

فقال له معاوية: ما عششتني منذ نصحتني الا اليوم أتأمرني بمبارزة أبي الحسن وأنت تعلم أنه الشجاع المطرق اراك طمعت في امارة الشام بعدي، وبعض يقول: لقد انتبه معاوية يوماً فرأى عبدالله بن الزبير جالساً تحت رجليه على سريره فقال له عبدالله وهو يداعبه: يا أمير المؤمنين لو شئت ان افتك بك لفعلت، فقال له معاوية: لقد شجعت بعدنا يا أبا بكر، فرد عليه بقوله: وما الذي تنكره من شجاعتي وقد وقعت في الصف ازاء علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فقال له معاوية: جرم أنه قتلك وأباك بيسرى يديه وبقيت اليمنى فارغة يطلب من يقتله بها، وبعد أن استعرض شارح النهج^(١) بعض خصائصه التي امتاز عن جميع الناس والتي لاتزال حديث الاجيال، قال: ما أقول في رجل تحبه أهل الذمة على تكذيبهم بالنبوة وتعظمه الفلاسفة على معاندتهم لاهل مكة، وتصور ملوك الافرنج والروم صورته في بيعها وبيوت عباداتها حاملا سيفه مشمر الحربة، وتصور ملوك الترك

والديلم صورته على اسياهم، فلقد كان على سيف عضد الدولة بن بويه وسيف أبيه ركن الدولة صورته، وكان على سيف ألب ارسلان وابنه ملكشاه صورته يتفائلون بذلك بالنصر والظفر، وأضاف الى ذلك يقول: وما أقول في رجل احب كل أحد أن يتشبه به ويتجمل ويتحسن بالانتساب اليه، ومجمل القول ان علياً كان يمثل الفروسية والبطولات بأروع معانيها وبكل ما ينطويان عليه من المروءة والشهامة والاباء والترفع عن الدنيا، فكان من ابغض الاشياء اليه أن ينال احداً من الناس بالاذى حتى ولو اذاه ولا يبادر مخلوقاً بالعقوبة حتى ولو تحقق لديه انه يحاول قتله والإبء والترفع هما اللذان منعه من مقابلة معاوية بالسباب يوم جعلوا يرشقونه به لأن العظيم لا يرضى لنفسه أن ينال ممن ناصبوه العداة بالسباب ولو سبوه، ولم يكتفى بذلك بل منع أصحابه أن ينالوا من أخصامه بالشتيمة وغيرها، وما كاد يسمعهم يسبون اهل الشام لانهم سايروا الغدر ومارسوا الخداع والكذب حتى قال لهم: اني أكره أن تكونوا سبابين،

ولكنكم لو ذكرتم أعمالهم وذكرتم حالهم كان اصوب في القول وأبلغ في العذر، ولو قلت مكان سبكم اياهم: اللهم أحقن دماننا ودمائهم وأصلح ذات بيننا وبينهم واهدهم من خلالهم حتى يعرف الحق من جهله وبدعوى عن الغو والعدوان من لهج به،

كما وان المروءة التي تلازم الفروسية في سيرته أكثر من أن تحصى، لقد كان يابى على جنده وهم في أشد حالات الغضب والنقمة أن يتعقبوا عدواً تراجع أو جريحاً وقع في ساحة المعركة وبه رمق من الحياة أو

يأسروه أو يكشفوا ستر المرأة وان شتمتهم وسبه امرائهم،
ويقول لهم لاتجهزوا على جريح ولا تتبعو مدبراً ولا تصيبوا مجروحاً
ولا تروعوا النساء بأذى وان شتمن أعراضكم وسبين أمرائكم، وحين ظفر
بألد أعدائه الذين كانوا يتربصون الفرص للتخلص منه بكل وسائل الغدر
والنفاق كعبدالله ابن الزبير ومروان بن الحكم وسعيد ابن العاص في البصرة
عفا عنهم، وأحسن اليهم وأبى على انصاره أن يتعقبوهم بسؤوهم على ذلك
قادرون،

حينما ظفر بعمر وبن العاص وهو لا يقل خطراً عليه من معاوية اعرض
عنه وتركه ينجو بحياته مع علمه بأنه سيستمر في مؤامراته ومساندة معاوية،
لقد تركه وأعرض عنه لانه انهار امامه انهيار الدليل الحقيق، ولم يجد وسيلة
تنجيه من ذي الفقار الذي ارتفع فوق هامته الا ذلك الاسلوب الذي لا يزال
مضرب الامثال وسخرية الاجيال، وبلا شك فانه لو قضى عليه حينما القى
بنفسه بين يديه شاغرا رجليه كاشفاً عن سواته لكان قضى على الغدر
والمكر، بل على جيش معاوية بكامله، لانه هو المدبر الأول لكل ما كان
معاوية يعده ويأمر به وأي مقاتل يظفر بخصم من نوع ابن العاص لا يمكن
ان يعف عنه ولو ابدى اكثر من سواته وابن العاص يعلم ان غير علي لو ظفر
به لا يعف عنه ولكن علياً تأبى عليه مروثته أن يهوى بالسيف المسلط فوق
هامته وهو بتلك الحالة من الذل والهوان والاستجداء،

وما أكثر مواقفه التي تمثل الفروسية والمروءة والعفو عن اخصامه
عندما كانوا ينهارون بين يديه لقد حاول معاوية في صفين عندما استولى

على الماء أن يمنع عنه أهل العراق وحال جيشه على الماء حتى اجلاهم وأضربهم العطش، ولكن علياً (عليه السلام) حمل بجيشه على الماء حتى اجلاهم عنه وبدلاً من أن يعاملهم بالمثل اتاح لهم أن يشربوا منه كما شرب جنده ولو فعل لانتصر عليهم واضطروهم الى التسليم بدون قتال ولكن مروته تأبى عليه أن يمنع الانسان عن الماء وقد اباحه الله لجميع مخلوقاته وجعله كالهواء لا يملكه أحد من الناس،

لقد مات معاوية بن أبي سفيان وفي نفسه حسرة وغصة لانه لم يستطع أن يقضى على علي وجيشه عطشاً، ولكن ولده يزيد بن معاوية قد حقق له امنيته في الحسين بن علي (عليه السلام) وأطفاله ونسائه فلما ظفر جيشه بهم في كربلاء أذاقهم مرارة العطش وكادوا أن يموتوا منها لولا أن تعجل لهم الموت بضرب السيوف وطعن الرماح،

وموقف آخر من مواقف علي وبطولاته يمثل أسمى مراتب المروءة والعفو والكرامة وهو موقفه في البصرة مع عائشة وانصارها، وذلك حينما انتصر في تلك المعركة وسمع بعض انصاره ينال من السيدة عائشة فأمر بجلده ولم يكتف بذلك بل كرمها وعرض عليها الرجوع لبيتها وودعها اكرم وداع وسار معها اميالا حتى اجتازت حدود البصرة ومعها عدد من النساء، كان قد ارسلهن معها لخدمتها وألبسهن ثياب الرجال، وفي الطريق كانت تنال منه وتقول لقد هتك ستري برجاله، وفي حين انها وقفت بين عشرات الالوف من المقاتلين في تلك المعركة تحرضهم على قتله ويدها بدرة من الدنانير وهي تصبح أيكم يأتيني برأس الاصلع وله هذه البدرة من

الدنانير^(١)، والى كثير من مواقفه وبطولاته واباء نفسه وشهامته والترفع عن الدنيا،

وذكر في نهج البلاغة ص ١٢٢ في خطبته قال: (والذي نفس ابن أبي طالب بيده لألف ضربة بالسيف أهون عليّ من مية على فراشي في غير طاعة الله) قال ابن أبي الحديد: (واعلم أنه (عليه السلام) أقسم أن القتل أهون من حتف الأنف وذلك على مقتضى ما منحه الله تعالى به من الشجاعة الحارقة لعادة البشر وهو (عليه السلام) يحاول أن يحض أصحابه ويحرضهم ليجعل طباعهم مناسبة لطباعه واقدامهم على الحرب مماثلاً لاقدامه على عادة الامر في تحريض جندهم وعسكرهم، وهيئات إنما هو كما قال أبو الطيب،

يكف سيف الدولة الجيش همة وقد عجزت عنه الجيوش الخضارم
ويطلب عند الناس ما عند نفسه وذلك ما لاتدعيه الضراغم

ليست النفوس كلها من جوهر واحد، ولا الطباع والامزجة كلها من نوع واحد، وهذه خاصية توجد لمن يصطفيه الله تعالى من عباده في الأوقات المتطاولة والدهور المتباعدة وما أتصل بنا نحن من بعد الطوفان، التواريخ من قبل الطوفان مجهولة عندنا، أن أحداً أعطي من الشجاعة والاقدام ما أعطيه لهذا الرجل من جميع فرق العالم على اختلافها من الترك

(١) راجع مواقف الشيعة للأحمدي الميانجي: ج ٣ ص ٣٠١.

والفرس والعرب والروم وغيرهم^(١).

قال العلامة ابن أبي جمهور الاحسائي: (روى جابر الانصاري) قال: شهدت البصرة مع علي (عليه السلام) والقوم قد جمعوا مع المرأة سبعين ألفاً، فما رأيت منهزماً إلا وهو يقول: هزمني علي، ولا مجروحاً الا يقول جرحني علي ولا من يجود بنفسه إلا وهو يقول: قتلني علي، ولا كنت في الميمنة الا سمعت صوت علي (عليه السلام) ولا في الميسرة الا سمعت صوت علي (عليه السلام) ولقد مررت بطلحة وهو يجود بنفسه وفي صدره نبلة وقلت له من رماك بهذه النبلة فقال علي بن أبي طالب،

فقلت: يا حزب بلقيس ويا حزب ابليس إن علياً لم يرم بالنبل وما بيده الا سيفه، فقال: يا جابر أما تنظر اليه كيف يصعد في الهواء مرة وينزل في الأرض اخرى، وينزل من قبل المشرق، ومرة من قبل المغرب وجعل المشارق والمغارب بين يديه شيئاً واحداً فلا يمر بفارس الا طعنه، ولا يلقي احداً إلا قتله أو ضربه أو كبه بوجهه أو قال: مت يا عدو الله فيموت، فلا يفلت منه أحد،

وقال ابن أبي الحديد في نهج البلاغة: ج ٧ ص ٢٣٣ قوله (عليه السلام) لابنه الحسن (عليه السلام): «لاتدعون الى مبارزة فإن دعيت إليها فأجب فإن الداعي إليها باغ، والباغي مصروع، قد ذكر (عليه السلام) الحكم ثم ذكر العلة وما سمعنا أنه (عليه السلام) دعا الى مبارزة قط وانما كان يدعى

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ج ٧ ص ٣٠١.

هو بعينه أو يدعى من يبارزه فيخرج اليه فيقتله، دعا بنو ربيعة بن عبد شمس بني هاشم الى البراز يوم بدر فخرج (عليه السلام) فقتل الوليد، واشترك هو وحمزة (عليه السلام) عتبة، ودعا طلحة بن أبي طلحة الى البراز يوم أحد فخرج اليه فقتله، ودعا مرحب الى البراز يوم خيبر فخرج اليه فقتله، فأما الخرجة التي خرجها يوم الخندق الى عمرو بن عبد ود فإنها أجل من أن يقال جليلة وأعظم من أن يقال عظيمة وما هي الا كما قال شيخنا أبو الهذيل وقد سأله سائل أيما أعظم منزلة عند الله علي أم أبو بكر، فقال يا بن أخي، والله لمبارزة علي عمراً يوم الخندق تعدل اعمال المهاجرين والأنصار وطاعاتهم كلها تربى عليها فضلا عن أبي بكر وحده.

وقد روى عن حذيفة ابن اليماني مايناسب هذا بل ما هو أبلغ منه، وروى قيس بن الربيع عن أبي هارون العبدى عن ربيعة بن مالك السعدي قال: أتيت حذيفة بن اليمان فقلت: يا أبا عبد الله إن الناس يتحدثون عن علي بن أبي طالب ومناقبه فيقول لهم أهل البصرة: انكم لتفرطون في تفریط هذا الرجل فهل أنت محدثي بحديث عنه أذكره للناس، فقال: يا ربيعة، وما الذي تسألني عن علي، وما الذي احدثك عنه، والذي نفس حذيفة بيده، لو وضع جميع اعمال امة محمد (صلى الله عليه وآله) في كفة الميزان منذ بعث الله تعالى محمد (صلى الله عليه وآله) الى اليوم، ووضع عمل من اعمال علي (عليه السلام) في كفة الاخرى لرجح علي أعمالهم كلها، وقال: والذي نفس حذيفة بيده لعمله ذلك اليوم أعظم اجراً من اعمال أمة محمد (صلى الله عليه وآله) الى هذا اليوم والى أن تقوم القيامة،

وأورد العلامة آية الله المرعشي في (ملحقات الاحقاق) نص المقالات في شجاعته وهي «علي أشجع الناس قلباً علي أسد الله في أرضه علي سيف الله في أرضه علي قاتل الكفرة، علي يقاتل علي التأويل، علي أشجع العرب علي قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، أن لعلي الشجاعة والخلافة كما أن للنبي (صلى الله عليه وآله) الرسالة والنبوة، ضربة علي يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين، لا فتى الا علي ولا سيف الا ذو الفقار»^(١).

وقال ابن الأثير: كانت ضربات علي مبتكرات لاعوناً، أي إن ضربته كانت بكرةً يقتل بواحدة منها لا يحتاج أن يعيد الضربة ثانية، يقال ضربة بكر، إذا كانت قاطعة لاتثنى، والعون جمع عوان وهي في الأصل الكهلة من النساء، ويريد بها هاهنا المثناة^(٢).

وقال أيضاً: (إن علياً حمل على عسكر المشركين فما زالوا يبقطون، أي يتعادون إلى الجبل متفرقين بقط الرجل اذا صعد الجبل والبقط التفرقة).

(١) احقاق الحق: ج ٨ ص ٣١٩.

(٢) ابن الأثير في النهاية: ج ١ ص ١٤٩.

الفصل التاسع عشر

في عدله وفيه أبواب

ونذكر فيه أحاديث من كتب أبناء العامة.

يقول ابن المغازلي في مناقب علي بن أبي طالب ص ١٢٩ و ١٣٥: كان الامام علي منتهجاً في العدل لمنهج رسول الله (صلى الله عليه وآله) ان لم نقل إنه عينه لقوله (صلى الله عليه وآله) «كفي وكف علي في العدل سواء» و«يدي ويد علي بن أبي طالب في العدل سواء وانه أوفاكم بعهد الله تعالى وأقومكم بأمر الله وأعدلكم في الرعية وأقسمكم بالسوية وأعظمكم عند الله مزية»^(١).

ولقوله (عليه السلام): والله لأن أبيت على حسك السعدان مسهداً أو أجر في الاغلال مصفداً أحب اليّ من ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد، وغاصباً لشيء من الحطام، والله، لو أعطيت الاقاليم السبعة بما

(١) راجع: تاريخ بغداد: ج ٥ ص ٢٤٠ وتاريخ ابن عساکر: ج ٤٢ ص ٣٦٩ ومناقب الخوارزمي:

ص ٢١٠ والقندوزي في يناعه: ج ٢ ص ٢٣٦.

تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلته^(١)،
 وقوله (عليه السلام) من نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه
 قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه، ومعلم نفسه ومؤدبها
 أحق بالاجلال من معلم الناس ومؤدبهم^(٢).

وقوله (عليه السلام): «إني والله ما أحشكم على طاعة الا وأسبقكم
 اليها، ولا أنهاكم عن معصية الا واتناهي قبلكم عنها»^(٣).

وقوله (عليه السلام) في صفة خصومه: «وقد أرعدوا وأبرقوا، ومع
 هذين الامرين الفشل ولسنا نرعد حتى نوقع ولا نسيل حتى نمطر»^(٤)،

وهنا نذكر نماذجاً من عدله (عليه السلام) ليطابق القول الفعل
 والدعوى العمل،

قال ابن أبي الحديد: عن ابن عباس، ان علياً (عليه السلام) خطب في
 اليوم الثاني من بيعته بالمدينة فقال: (ألا أن كل قطعة أقطعها عثمان، وكل
 مال أعطاه من مال الله فهو مردود في بيت المال، فإن الحق القديم لا يبطله
 شيء ولو وجدته قد تزوج به النساء، وفرق في البلدان لردده إلى حاله، فإن
 في العدل سعة ومن ضاق عليه الحق فالجور عليه أضيق،

قال الكليني ثم أمر (عليه السلام) بكل سلاح وجد لعثمان في داره

(١) شرح ابن أبي الحديد: ج ١١ ص ٢٤٥.

(٢) شرح ابن أبي الحديد: ج ١٨ ص ٢٢٠.

(٣) شرح ابن أبي الحديد: ج ١٠ ص ١٠.

(٤) شرح ابن أبي الحديد: ج ١ ص ٢٣٧.

مما تقوى به على المسلمين فقبض وأمر بقبض سيفه ودرعه وأمر أن لا يعرض ل سلاح وجدله لم يقاتل به المسلمين، وبالكف عن جميع أمواله التي وجدت في داره وغير داره وأمر أن ترجع الأموال التي أجاز بها عثمان حيث أصيب أو أصيب أصحابها، فبلغ ذلك عمرو بن العاص، وكان بأيلة من أرض الشام أتاها حيث وثب الناس على عثمان فنزلها، فكتب الى معاوية: ما كنت صانعاً فاصنع اذا قشرك ابن أبي طالب من كل ما تملكه كما تعتش العصا لحاها^(١).

وقال أيضاً أبو جعفر المعروف بالإسكافي المتوفى سنة ٢٤٠: لما اجتمعت الصحابة في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد قتل عثمان للنظر في أمر الامامة أشار أبو الهيثم، ورفاعة بن رافع، ومالك بن العجلان، وأبو ايوب الانصاري، وعمار بن ياسر بعلي (عليه السلام) وذكروا فضله وسابقته وجهاده وقرابته، فأجابهم الناس اليه فقام كل واحد منهم خطيباً يذكر فضل علي (عليه السلام) فمنهم من فضله على أهل عصره خاصة، ومنهم من فضله على المسلمين كلهم كافة،

ثم بويع وصعد المنبر في اليوم الثاني يوم البيعة وهو يوم السبت لإحدى عشرة ليلة بقين من ذي الحجة، فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر محمد صلى عليه، ثم ذكر نعمة الله على أهل الاسلام، الى أن قال (عليه السلام) «وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ولا يحمل هذا الامر إلا أهل

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ج ١ ص ٢٦٩.

الصبر والبصر والعلم بمواقع الأمر، واني حاملكم على منهج نبيكم (صلى الله عليه وآله) ومنفذ فيكم ما امرت به ان استقمتم لي وبالله المستعان، ألا إن موضعي من رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد وفاته لموضعي منه أيام حياته،

ألا لا يقولن رجال منكم غداً قد غمرتهم الدنيا فاتخذوا العقار، وفجروا الانهار وركبوا الخيول الفارحة واتخذوا الوصائف الروقة فصار ذلك عليهم عاراً وشناراً إذا ما منعتم ما كانوا يخوضون فيه، وأصرتهم الى حقوقهم التي يعلمون، فينقمون ذلك ويستنكرون ويقولون حرمانا ابن أبي طالب حقوقنا ألا وأيما رجل من المهاجرين والأنصار من اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) يرى أن الفضل له على من سواه لصحبه فإن الفضل النير غداً عند الله وثوابه وأجره على الله،

وأيما رجل استجاب لله وللرسول، فصدق ملتنا ودخل في ديننا واستقبل قبلتنا فقد استوجب حقوق الاسلام وحدوده فأنتم عباد الله والمال مال الله، يقسم بينكم بالسوية لافضل فيه لاحد على أحد وللمتقين عند الله غداً أحسن الجزاء وأفضل الثواب، لم يجعل الله الدنيا للمتقين أجراً ولا ثواباً وما عند الله خير للابرار واذا كان غداً إن شاء الله فأغدوا علينا، فإن عندنا مالاً نقسمه فيكم ولا يتخلفن أحد منكم لا عربي ولا عجمي، كان من أهل العطاء أو لم يكن الا يكن الا حضر إذا كان مسلماً حراً، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ثم نزل،

قال شيخنا أبو جعفر «وكان هذا أول ما أنكروه من كلامه (عليه

السلام) وأورثهم الضغن عليه وكرهه إعطائه وقسمه بالسوية فلما كان من الغد وغد الناس لقبض المال، فقال لعبيد الله بن أبي رافع كاتبه ابدأ بالمهاجرين فنادهم وأعط كل رجل ممن حضر ثلاثة دنانير، ثم ثن بالانصار فافعل معهم مثل ذلك ومن يحضر من الناس كلهم الاحمر والاسود فاصنع به مثل ذلك،

فقال سهل بن حنيف «يا أمير المؤمنين، هذا غلامي بالأمس، وقد اعتقته اليوم، فقال: نعطيه كما نعطيك فأعطى كل واحد منهما ثلاثة دنانير ولم يفضل أحداً على أحد^(١).

قال العلامة الفيض الكاشاني^(٢) «خطب أمير المؤمنين (عليه السلام) فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس أن آدم لم يلد عبداً ولا أمة، وأن الناس كلهم احرار ولكن الله خوّل بعضكم بعضاً من كان له بلاء فصبر في الخير فلايمن به على الله تعالى، ألا وقد حضر شيء ونحن مساوون فيه بين الاسود والأحمر، فقال مروان لطلحة والزبير: ما أراد بهذا غير كما قال: فأعطى كل واحد ثلاثة دنانير، وأعطى رجل من الأنصار ثلاثة دنانير، وجاء غلام أسود فأعطاه ثلاثة دنانير فقال الأنصاري: يا أمير المؤمنين، هذا غلام اعتقته بالأمس تجعلني واياه سواء، فقال: إني نظرت في كتاب الله فلم أجد لولد اسماعيل على ولد اسحاق فضلاً، قال العلامة المجلسي، عن محمد بن

(١) شرح ابن أبي الحديد: ج ٧ ص ٣٨.

(٢) الوافي: ج ١٤ ص ٢٠.

ابراهيم النوفلي رفعه الى جعفر بن محمد (عليه السلام) أنه ذكر عن آباءه (عليهم السلام) أن أمير المؤمنين (عليه السلام) كتب إلى عماله أدقوا أقلامكم وقاربوا بين سطوركم، واحذفوا عني فضولكم واقتصدوا قصد المعاني، واياكم والاكتار، فإن اموال المسلمين لا تحتمل الاضرار^(١)،

وقال: «قال علي بن أبي طالب (عليه السلام) أحاج الناس يوم القيامة بسبع: إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقسم بالسوية والعدل في الرعية وإقام الحدود^(٢)،

وقال عن هلال بن مسلم الجحدري قال: سمعت جدي حرّة قال: شهدت علي بن أبي طالب (عليه السلام) أتى بمال عند المساء، فقال: اقسّموا هذا المال، فقالوا قد أمسينا يا أمير المؤمنين فأخره إلى غد فقال لهم: تقبلون أن أعيش الى غد، فقالوا: ماذا بأيدينا، قال: فلا تؤخروه حتى تقسموه، فأتي بشمع فقسّموا ذلك المال من تحت ليلتهم^(٣).

وقال: دخل عليه عمرو بن العاص ليلة وهو في بيت المال فأطفئ السراج وجلس في ضوء القمر، ويستحل أن يجلس في الضوء بغير استحقاق.

وقال: عن أبي مخنف الأزدي قال: أتى أمير المؤمنين (عليه السلام) رهط من الشيعة فقالوا: يا أمير المؤمنين لو أخرجت هذه الأموال ففرقتها في

(١) بحار الأنوار: ج ٤١ ص ١٠٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار: ج ٤١ ص ١١٦.

هؤلاء الرؤساء والاشراف، وفضلتهم علينا حتى إذا استوسقت الأمور عدت الى أفضل ما عودك الله من القسم بالسوية والعدل في الرعية، فقال أمير المؤمنين (عليه السلام) ويحكم أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه من أهل الاسلام، لا والله لا يكون ذلك ما سمر السمير، وما رأيت في السماء نجماً، والله لو كانت أموالهم مالي لساويت بينهم فكيف وانما هي أموالهم^(١).

أقول: أتى علي بمال إصفهان، وكان أهل الكوفة اسباعاً فقسمه سبعة أسباع فوجد فيه رغيفاً فكسره بسبعة كسر، ثم جعل على كل جزء كسرة ثم دعا امراء الاسباع فأقرع بينهم^(٢).

وقال الحافظ ابن عبد البر في «الإستيعاب» بعد ذكره قصة الرغيف وكسره «واخباره في مثل هذا من سيرته لا يحيط بها كتاب».

وقال عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: لما ولي علي (عليه السلام) صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إني والله لا أزوكم من فيثكم درهماً ما قام لي عذق بيثرب، فلتصدقكم أنفسكم أفتروني مانعاً نفسي ومعطيكم، قال: فقام عقيل فقال له: الله لتجعلني وأسود بالمدينة سواء، فقال أجلس، أما كان ههنا أحد يتكلم غيرك؟ وما فضلك عليه الا بسابقة أو بتقوى^(٣).

(١) المجلسي، بحار الأنوار: ج ٤١ ص ١١٨.

(٢) البحار: ج ٤١ ص ١١٦ - ١٢٢.

(٣) الاصابة: ج ٣ ص ٤٩.

وقال: روى أبو إسحاق الهمداني أن امرأتين أتيا علياً (عليه السلام) احدهما من العرب والأخرى من الموالي فسألته، فدفع إليهما دراهم وطعاماً بالسوية فقالت احدهما: إني امرأة من العرب وهذه من العجم، فقال: اني والله لا أجد لبني اسماعيل في هذا الشيء فضل على بني اسحاق^(١)،

وقال المولى صالح الكشفي الحنفي « كان أمير المؤمنين علي (عليه السلام) دخل ليله في بيت المال يكتب قسمة الأموال، فورد عليه طلحة والزبير فأطفأ السراج الذي بين يديه، وأمر بإحضار سراج آخر من بيته فسألاه عن ذلك فقال (عليه السلام) كان زيتته من بيت المال لا ينبغي ان نصابكم في ضوءه^(٢) .

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): والله لقد رأيت عقيلاً وقد املق حتى استماحني من بركم صاعاً ورأيت صبيانه شعث الشعور غير الألوان من فقرهم كأنما سوّدت وجوههم بالعظم وعاودني مؤكداً وكرر عليّ القول مردداً فأصغيت اليه سمعي فظن اني أبيع ديني وأتبع قياده مفارقاً طريقي فأحميت له حديدة ثم ادنيته من جسمه ليعتبر بها فضج ضجيج ذي دنف من المها وكاد ان يحترق من ميسمها، فقلت له: ثكلتك الثواكل يا عقيل أثن من الاذى ولا أثن من لظي^(٣) .

(١) البحار: ج ٤١ ص ١٣٧.

(٢) المناقب المرتضوية: ص ٣٦٥.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ٢٢٢.

هكذا كان تصلبه (عليه السلام) في الله تعالى وأداؤه الامانة التي استأمن الله الولاة عليها، نعم إن هذا العمل لثقيل على كل إنسان لامسحة له بالعدل فإنه أوسع الاشياء في التناصف انه (عليه السلام) عمل هذه الوتيرة ليحمل الناس، لاسيما الولاة والقضاة على أن يتخذوا طريقة ويحذوا حذوه في تحقيق العدل والتسوية بين الناس حتى لا يهملوا قريباً أو بعيداً صغيراً أو كبيراً،

صلى الإله على جسم تضمنه قبر فأصبح فيه العدل مدفوناً

وهذه السيرة المرضية قد اتخذها من نبيه وأسوته (صلى الله عليه وآله) فقد ورد في الخبر، كما في من لا يحضره الفقيه وصحيح البخاري ومسلم وسنن أبي داود^(١)، واللفظ له (عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: لابن أعبد: ألا أحدثك عني وعن فاطمة بنت رسول الله، وكانت من أحب أهله إليه وكانت عندي، قال: بلى قال انها جرت بالرحى حتى أثرت في يدها، واستقت بالقربة حتى أثرت في نحرها وكنست حتى اغبرت ثيابها فأتى النبي خدم يعني سبي فقلت لو أتيت اباك فسألتيه خادماً، فأتته فوجدت عنده حداثاً فرجعت فأتاها من الغد فقال ما كانت حاجتك فسكنت، فقلت أنا أحدثك يا رسول الله، جرت بالرحى حتى أثرت في يدها، وحملت القرية حتى أثرت في نحرها فلما أن جاء الخدم أمرتها أن تأتيك فتطلب منك خادماً يقيها حرماً هي فيه قال (صلى الله عليه وآله): اتقى

(١) ذكرنا مصادر الحديث سابقاً فراجع.

الله يا فاطمة وأدى فريضة ربك واعلمي عمل اهلك، واذا أخذت مضجعك فسيحي ثلاثاً وثلاثين، وأحمدي ثلاثاً وثلاثين وكبري أربعاً وثلاثين فتلك مائة فهو خير لك من خادم، قالت: رضيت عن الله وعن رسوله وزاد في رواية (ولم يخدمها).

وقد أفاد الفاضل المحقق، محشي من لا يحضره الفقيه بقوله: فقف أيها القارئ الكريم، وتأمل جيداً في هذا الخبر الشريف المجمع عليه، فإن بضعة المصطفى (صلى الله عليه وآله) وقرّة عينه الوحيدة تطلب منه من السبي والغنائم خادماً ليعينها في مهام منزلها، ويزيل عنها شيئاً من تعبها، وهو سلطان نافذ الكلمة، وراع مسيطر في وقته بيده الاموال بل النفوس وله القدرة بأعظم مظاهرها بحيث يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله مع ذلك كله يأمر ابنته الوحيدة وفلذة كبده الفريدة بالتقوى، والقيام بواجب بيتها، والاكتثار من ذكر ربها، ولم يرض ان يعطيها من بيت مال المسلمين خادماً، وقال (صلى الله عليه وآله): ألا أعلمكما ما هو خير لكما من الخادم كما في الخبر الوارد في متن الفقيه) فتجيب المعصومة (عليها السلام) طائعة مشفوفة مختارة: (رضيت عن الله وعن رسوله) فخذ هذا مثلاً يلمسك الحقيقة جداً في معرفة من حذا حذو الرسول (صلى الله عليه وآله) ومن مال عن طريقته ونأى بجانبه وحاد عن سنته ممن يدعى الخلافة بعده، فرسول الله (صلى الله عليه وآله) هو الامام المتبع فعله، والرئيس المقتفى أثره،

وهذا علي بن أبي طالب (عليه السلام) ترك التفضيل لنفسه وولده علي أحد من أهل الاسلام، دخلت عليه أخته أم هاني بنت أبي طالب فدفع

اليها عشرين درهماً فسألت أم هاني مولاتها الأعجمية، فقالت: كم دفع إليك أمير المؤمنين، فقالت عشرين درهماً، فانصرفت مسخطة فقال لها انصرفي، رحمك الله - ما وجدنا في كتاب الله فضلاً لإسماعيل على اسحاق^(١)،
وبعث اليه من البصرة من غوص البحر بتحفة لا يدري ما قيمتها،
فقالت ابنته أم كلثوم أتجمل بها وتكون في عنقي، فقال: يا أبا رافع، دخله
الى بيت المال، ليس إلى ذلك سبيل حتى لاتبقى امرأة من المسلمين إلا
ولها مثل ذلك^(٢)،

ثم ذكر في خطبته على المهاجرين والأنصار، وكلامه مع عقيل ثم
قال: وهذا ابن عفان اعطى بن سعد بن أبي سرح أخاه من الرضاعة جميع ما
أفاء الله عليه من فتح افريقية بالمغرب، وهي طرابلس الغرب من غير أن
يشرك معه أحداً من المسلمين، وأعطى أبا سفيان بن حرب مأتي ألف دينار
من بيت المال في اليوم الذي أمر فيه لمروان بن الحكم بمائة ألف وأتاه أبو
موسى بأموال من العراق جليلة فقسّمها كلها في بني أمية، ذلك كله في
شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٦٧، وسعد ابن أبي سرح هذا هو الذي أباح
رسول الله (صلى الله عليه وآله) دمه يوم الفتح كما في (سنن أبي داود)
وانساب الأشراف للبلاذري، وفي بعض المصادر عبدالله بن أبي سرح،
وبالجملة هاتان السيرتان مقياسان لمن يروم معرفة المحق والمبطل ممن

(١) راجع: من لا يحضره الفقيه: ج ١ ص ٣٢١ ومستدرک الوسائل: ج ١١ ص ٩٣ والاختصاص

للمفيد: ص ١٥١ وبحار الأنوار: ج ٤٠ ص ١٠٦.

(٢) المصادر السابقة.

كان يده بيت المال^(١).

ولكي يتضح للقارئ الكريم الفرق بين السيرتين نذكر بعض مظالم الخلفاء وتعددهم في بيت مال المسلمين مما نقله رواثهم ومحدثوهم، قال ابن أبي الحديد: عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، كنيته أبو عمرو، وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حنين بن عبد شمس، بايعه الناس بعد انقضاء الشورى واستقرار الأمر له، وصحت فيه فراسة عمر فانه أوطأ لبني أمية رقاب الناس، وولاهم الولايات، وأقطعهم القطائع، وافتتحت إفريقية في أيامه، فأخذ الخمس كله فوهبه لمروان، ف جاء زيد بن أرقم صاحب بيت المال بالمفاتيح فوضعها بين يدي عثمان وبكى فقال عثمان: أتبكي أن وصلت رحمي، قال: لا ولكن أبكي لأنني أضنك أنك أخذت هذا المال عوضاً عما كنت أنفقتة في سبيل الله في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله) والله لو أعطيت مروان مائة درهم لكان كثيراً فقال: ألق المفاتيح يا ابن أرقم فإننا سنجد غيرك، وأتاه أبو موسى بأموال من العراق جليلة فقسمها كلها في بني أمية وزوج الحارث ابنته عائشة فأعطاه مائة ألف من بيت المال^(٢).

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ١ ص ٣٢٤ - ٣٢٢.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ج ١ ص ١٩٨.

الفصل العشرين

في حقيقة الصراط ومنزلة علي وأولاده (عليهم السلام)

١- عن المفضل بن عمر، قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن الصراط فقال: هو الطريق الى معرفة الله عزّوجلّ، وهما صراطان صراط في الدنيا وصراط في الآخرة، فأما الصراط الذي في الدنيا فهو الامام المفروض الطاعة، من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه مر على الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة، ومن لم يعرفه في الدنيا زلت قدمه عن الصراط في الآخرة فتردى في نار جهنم^(١).

عن أبي مالك الأسدي قال: (قلت لأبي جعفر (عليه السلام) أسأله عن قول الله تعالى: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ)^(٢) فأبسط أبو جعفر (عليه السلام) يده اليسار ثم دوّر فيها يده اليمنى ثم قال: نحن صراطه المستقيم^(٣).

(١) المجلسي، بحار الأنوار: ج ٨ ص ٦٦.

(٢) سورة الأنعام: ١٥٣.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار: ج ٢٤ ص ١٥.

في حقيقة الصراط ومنزلة علي وأولاده (عليهم السلام) ٣٠٧

وعن أبي عبدالله في حديث قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): إن الله تبارك وتعالى لو شاء لعرف العباد نفسه ولكن جعلنا أبوابه وصراطه وسبيله والوجه الذي يؤتى منه فمن عدل عن ولايتنا أو فضل علينا غيرنا فانهم عن الصراط لناكبون، الحديث.

وروى المجلسي عن الامام العسكري (عليه السلام): الصراط المستقيم صراطان صراط في الدنيا وصراط في الآخرة فأما الصراط المستقيم في الدنيا فهو ما قصر من الغلو وارتفع عن التقصير، واستقام فلم يعدل الى شيء من الباطل، وأما الصراط في الآخرة فهو طريق المؤمنين الى الجنة الذي هو مستقيم، لا يعدلون عن الجنة الى النار ولا الى غير النار سوى الجنة^(١).

وروى البحراني عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: «سألته عن قول الله عز وجل: ﴿قال هذا صراط علي مستقيم﴾^(٢) قال: والله علي (عليه السلام) وهو والله الميزان والصراط المستقيم^(٣).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): فوعزة ربي وجلاله انه لباب الله الذي لا يؤتى الا منه وأنه الصراط المستقيم وانه الذي يسأل الله عن ولايته يوم القيامة^(٤).

(١) بحار الأنوار: ج ٨ ص ٧٠.

(٢) الحجر: ٤١.

(٣) تفسير البرهان، البحراني: ج ٢ ص ٣٤٤.

(٤) الحسكاني، شواهد التنزيل: ج ١ ص ٦١ و ٥٩.

وعن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: ان الله تعالى اذ بعث الخلائق من الأولين والآخرين نادى منادى من تحت عرشه يا معشر الخلائق غضوا أبصاركم لتجوز فاطمة بنت محمد سيدة نساء العالمين على الصراط فتغض الخلائق كلهم أبصارهم فتجوز فاطمة على الصراط، لا يبقى أحد في القيامة الا غض بصره عنها الا محمد وعلي والحسن والحسين والطاهرين من أولادهم فانهم أولادها فإذا دخلت الجنة بقي مرطها^(١) ممدود على الصراط، طرف منه بيدها وهي في الجنة، وطرف في عرصات القيامة فينادى منادى يا أيها المحبون لفاطمة تعلقوا بأهداب^(٢) مرطها فلا يبقى محب لفاطمة (عليها السلام) الا وتعلق بهدبة من أهداب مرطها.

قال الشيخ الصدوق: اعتقادنا في الصراط أنه حق، وأنه جسر جهنم وأنه عليه ممر جميع الخلق، قال الله عز وجل: ﴿وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾^(٣) والصراط في وجه آخر حجج الله أفمن عرفهم في الدنيا وأطاعهم أعطاه الله جوازاً على الصراط الذي هو جسر جهنم يوم القيامة، وقال النبي (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام): يا علي إذا كان يوم القيامة أقعد أنا وأنت وجبرئيل على الصراط فلا يجوز على الصراط إلا من كانت معه براءة بولايتك^(٤).

(١) المرط - بالكسر: كساء من صوف أو غيره تلقبه المرأة على رأسها.

(٢) الأهداب: جمع هديه، بالضم: طرة الثوب.

(٣) سورة مريم: ٧١.

(٤) بحار الأنوار: ج ٨ ص ٧٠.

قال الشيخ المفيد في شرح كلام الصدوق: الصراط في اللغة هو الطريق فلذلك سمي الدين صراطاً لأنه طريق الى الثواب، وله سمي الولاء لأمير المؤمنين والأئمة من ذريته (عليهم السلام) صراطاً.

روى ابن المغازلي الواسطي الشافعي في مناقبه عن زيد بن أرقم قال: كنا جلوساً عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: ألا أدلكم على من لو استرشدتموه لن تضلوا ولن تهلكوا قالوا: بلى يا رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: هو هذا وأشار الى علي بن أبي طالب (عليه السلام) ثم قال: وآخوه ووازره وصدقوه فأن جبرئيل أخبرني بما قلت لكم أنه الصراط المستقيم.

روى القندوزي الحنفي في ينابيع المودة: ص ٢٥٠ ط اسلامبول، عن ابن عباس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لن تضلوا ولن تهلكوا، وأنتم في موالة علي (عليه السلام) وان خالفتموه فقد ضلت بكم الطرق والاهواء في الفتي فاتقوا الله فإن ذمة الله علي بن أبي طالب (عليه السلام) وصراطه المستقيم، رواه الكشفي في المناقب المرتضوية ص ١١٣.

روى الطبري في كتابه ذخائر العقبى (ص ٦١ مكتبة القدس بمصر) والرياض النضرة: ج ٢ ص ٢١٤ ط الخانجي بمصر، عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ما اكتسب مكتسب مثل فضل علي (عليه السلام) يهدي صاحبه الى الهدى ويرده عن الردى ثم قال: أخرجه الطبراني ورواه القندوزي الحنفي في ينابيع المودة (ص ٢٠٣ ط اسلامبول) وأخرجه الحنفي في أرجح المطالب (ص ٩٨ ط لاهور) وروى الحافظ

عبدالرحمن الرازي في الجرح والتعديل (ج ٢ ص ٣٧٣ ط حيدر آباد الدكن) عن شراحيل بن مرة قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول لعلي (عليه السلام): إِبْرَ فأن حياتك وموتك معي رواه جماعة منهم ابن عساكر في تاريخه، والهيثمى في مجمع الزوائد وابن حجر العسقلاني في الاصابة والتمتقي الهندي في منتخب كنز العمال الى غير ذلك من الأحاديث من علماء ابناء العامة^(١).

ومنهم القندوزي في ينابيع المودة (ص ١١٤ ط اسلامبول) روى في تفسير ابن المغازلي، وأنتك لتدعوهم الى صراط مستقيم، قال الامام جعفر الصادق (عليه السلام): الصراط المستقيم هي ولاية علي أمير المؤمنين (عليه السلام) وعروته الوثقى التي لا انفصام لها، يعني: أن معرفته والتمسك به طريق الى الله سبحانه وتعالى وقد جاء في الخبر بأن الطريق يوم القيامة الى الجنة كالجسر تمر به الناس وهو الصراط الذي يقف عن يمينه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعن شماله أمير المؤمنين (عليه السلام) ويأتيهما النداء من الله تعالى ﴿الْقِيَامَ فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾^(٢).

وجاء في الخبر أنه لا يعبر الصراط يوم القيامة الا من كان معه براءة من علي بن أبي طالب (عليه السلام) من النار، وجاء في الخبر أيضاً بأن الصراط أدق من الشعرة وأحد من شفرة السيف على الكافر، والمراد بذلك

(١) راجع: الاستيعاب لابن عبدالبر: ج ٢ ص ٦٩٧ وكنز العمال للمتقي الهندي: ج ١١ ص ٦١٥

وتاريخ ابن عساكر: ج ١٢ ص ٢٠٨ ويناابيع المودة للقندوزي: ج ١ ص ٢٤٦.

(٢) سورة ق: ٢٤.

أنه لا يثبت للكافر قدم على الصراط يوم القيامة من شدة ما يلحقهم من أهوال القيامة ومخاوفها، فهم يمشون عليه كالذي يمشي على الشيء الذي هو ادق من الشعرة وأحد من السيف وهذا مثل مضروب لما يلحق الكافر من الشدة في عبوره على الصراط وهو طريق إلى الجنة، وطريق إلى النار يسير العبد منه إلى الجنة ويرى أهوال النار وزفيرها.

وقد يعبر به عن الطريق المعوج فلماذا قال الله تعالى ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾^(١) فميز بين طريقه الذي دعا إلى سلوكه من الدين وبين طرق الضلال، وقال تعالى في أمر عباده من الدعاء وتلاوة القرآن: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾، فدل على أن سواه صراط غير مستقيم وصراط الله دين الله وصراط الشيطان طريق العصيان، والصراط في الأصل علي ما بيناه هو الطريق، والصراط يوم القيامة هو الطريق للسلوك إلى الجنة والنار على ما قدمناه.

قال العلامة المجلسي، بعد نقل الكلام المذكور، أقول: لا اضطرار في تأويل كونه ادق من الشعرة وأحد من السيف، وتأويل الظواهر الكثيرة بلا ضرورة غير جائز وسنورد كثيراً من اخبار هذا الباب إن أمير المؤمنين (عليه السلام) قسيم الجنة والنار^(٢).

قد عرفت أن معرفة الله عز وجل إنما تحصل بالعلم والعمل شيئاً فشيئاً بحسب الاستكمالات العقلية بمتابعة السنن النبوية والاهتداء بهداه (صلى الله

(١) سورة الأنعام: ١٥٣.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار: ج ٨ ص ٧٠ و ٧١.

٣١٢ الامام علي (عليه السلام) من الكعبة الى المحراب

عليه وآله) فالصراط بهذا المعنى عبارة عن العلوم الحقة والأعمال الصالحة وبالجملة ما يشتمل عليه الشرع، ولما تلا النبي (صلى الله عليه وآله) ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرَقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾^(١) فالمستقيم هو صراط التوحيد الذي سلكه جميع الأنبياء وأتباعهم، والمعوجة هي طرق أهل الضلال.

ومن وجه آخر: الصراط عبارة عن العالم العامل الهادي الى الله عز وجل على بصيرة، وبالجملة الانبياء والأوصياء (عليهم السلام) فإن نفوسهم المقدسة طرق الى الله سبحانه ومن هنا قال مولانا الامام الصادق (عليه السلام): الصراط المستقيم أمير المؤمنين (عليه السلام) وقال مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام): أنا الصراط الممدود بين الجنة والنار، وأنا الميزان فالصراط والميزان متحدان في المعنى بكلي معنيهما، وانما يختلفان بالاعتبار.

سئل العلامة الشهرستاني عن معنى (الصراط) بأنه جاء في الأخبار والأحاديث الكثيرة من أنه أدق من الشعرة وأحد من السيف، فأبي معني يقصد من الشعرة والسيف قال: بعد كلام له والحديث المجمع على صحته ناطق بأن علياً (عليه السلام) قسيم الجنة والنار وأن طريقته المثلى هو المسلك الوحيد المفضي الى الجنان والرضوان، ومعلوم لدى الخبراء أن سيرة علي (عليه السلام) كانت أدق من الشعرة فإنه (عليه السلام) ساوى في

(١) سورة الأنعام: ١٥٣.

العطاء بين أكابر الصحابة الكرام كسهل بن حنيف وبين أدنا مواليتهم وكان يقص من أكما ثيابه لا كساء عبده ويحمل الى اليتامى والأيتامى ارزاقهم على ظهره في منتصف الليل، ويشبع الفقراء، ويبيت طاوى الحشا ويختار لنفسه من الطعام ما جشِب، ومن اللباس ما خشن، ويوزع مال الله على عباد الله في كلّ جمعه، ويكنس بيت المال ويصلي فيه وهو يعيش على غرس يمينه وكذا يده وحاسب أخاه عقياً بأدق من الشعرة في قصته المشهورة، وطالب شريحاً القاضي أن يساوي بينه وبين خصمه الاسرائيليّ عند المحاكمة الى غير ذلك من مظاهر ترويضه النفس والزهد البليغ حتى غدا الاقتداء به في إمامة المسلمين فوق الطوق، وكما كانت سيرة علي (عليه السلام) ادق من الشعرة كانت مشايعته في الخطوة أحد من السيف نظراً الى مزائق الاهواء والشهوات ومراقبة السلطان من بني أمية وتبعهم أولياء علي (عليه السلام) وأشياعه وأتباعه تحت كل حجر ومدبر.

وبعد هذه الحقائق التي ذكرناها وأقوال العلماء اتضح لنا قول الصادق (عليه السلام) من أن الصراط صراطان أحدهما الامام المفروض الطاعة، والآخر هو جسر جهنم في الآخرة، وقول أبي جعفر (عليه السلام) نحن صراطه المستقيم، وقول الامام العسكري (عليه السلام) أن الصراط ما قصر من العلو وارتفع من التقصير، وقول أمير المؤمنين (عليه السلام): أنا الصراط الممدود بين الجنة والنار وأنا الميزان، وقول الشيخ الصدوق أنه جسر جهنم وأن عليه ممر جميع الخلق وأنه في وجه آخر اسم حجج الله، وقول الشيخ المفيد، سمي صراطاً لأنه طريق الى الثواب، وسمي الولاء لعلي (عليه

السلام) والائمة من ولده (عليهم السلام) صراطاً، ومن وجه آخر الصراط عبارة عن العالم العامل الهادي الى الله على بصيرة، وقول الشهرستاني، أن الصراط الذي هو أدق من الشعرة وأحد من السيف هو سيرة علي (عليه السلام).

ويستفاد من صاحب (مجمع البيان) حيث قال: الصراط الطريق الواضح المتسع فعلى هذا صراط كل شيء بحسبه، يعني أن كل شيء يفضى سالكه الى المطلوب ويوصله الى المقصود فهو صراطه سواء كان ما يوصل جسمانياً أو غير جسماني كان من الأعراض أو الجواهر، فيكون الدين صراطاً والعلوم الحقّة والاعمال الصالحة صراطاً والانباء والرسل صراطاً والامام المفروض الطاعة صراطاً والأئمة المعصومون صراطاً لأنهم الدعاة الى الله والأدلاء على مرضات الله وأنهم السادة الحماة والقادة الهداة، ولذلك جاء في الزيارة الجامعة الكبيرة انتم الصراط الأقوم، ويكون علي (عليه السلام) صراط حق يمسكه الله، وسيرته صراطا والجسر الممدود على جهنم صراطا لأنه يوصل المارين عليه الى الجنة وذلك من أطفاف الله تعالى وعنايته، ولولاه لا ينجو من النار أحد.

ولزيادة التوضيح فلاحظ أيضاً قول الصادق (عليه السلام): فأما الصراط الذي في الدنيا فهو الامام المفروض الطاعة، من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه مرّ على الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة ومن لم يعرفه في الدنيا زلت قدمه عن الصراط في الآخرة، وكرر النظر في قول العلامة الشهرستاني أن سيرة علي (عليه السلام) هي الصراط وهي والله أدق

من الشعرة، وأحد من السيف، ولعل إلى هذا أشار علي (عليه السلام) بقوله: أنا الصراط الممدود بين الجنة والنار، وأنا الميزان.

إذاً كلما كان الاقتداء بعلي وأولاده المعصومين (عليهم السلام) في الدنيا أقوى وأشد كان العبور من الصراط في الآخرة أهون وأسهل، وإن كان الأمر على خلاف ذلك كان المرور أصعب والسبيل أضيق لان كيفية مرور الناس على قدر معرفتهم واقتدائهم بعلي وأولاده الكرام (عليهم السلام) فمنهم من يمر مثل البرق، ومنهم مثل عدو الفرس ومنهم من يمر حبواً ومنهم من يمر مشياً ومنهم من يمر متعلقاً، قد تأخذ النار منه شيئاً وتترك شيئاً، هذا وقد وردت أخبار بأنه يجوز الناس يوم القيامة على الصراط بنور أمير المؤمنين (عليه السلام) وأنه لا يجوز أحد علي الصراط الا من كان معه براءة من علي (عليه السلام) وإليك بعض نصوصها:

عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: أتاني جبرئيل (عليه السلام) فقال:

أبشرك يا محمد، بما تجوز على الصراط، قال: قلت: بلى قال: تجوز بنور الله ويجوز علي بنورك ونورك من نور الله وتجاوز امتك بنور علي ونور علي من نورك ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور^(١).

وعن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: إذا كان يوم القيامة ونصب

الصراط على جهنم لم يجز عليه الا من كان معه جواز فيه ولاية علي بن أبي طالب (عليه السلام) وذلك قوله: ﴿وَقَفَّوْهُمْ إِنَّهُمْ مَسْتَوْلُونَ﴾ يعني عن

ولاية علي بن أبي طالب (عليه السلام) (١).

عن ابن عباس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إذا كان يوم القيامة أقام الله عزّ وجلّ جبرئيل ومحمداً على الصراط فلا يجوز أحد إلا من كان معه براءة من علي بن أبي طالب (عليه السلام) (٢).

وعن النبي (صلى الله عليه وآله): إذا كان يوم القيامة يقعد علي بن أبي طالب على الفردوس وهو جبل قد علا على الجنة فوقه عرش رب العالمين ومن سفحه تنفجر أنهار الجنة وتفرق في الجنان، وهو جالس على كرسي من نور يجري بين يديه التسليم لا يجوز أحد الصراط الا ومعه براءة بولايته أهل بيته ويشرف على الجنة فيدخل محبيه الجنة ومبغضيه النار (٣).

وعن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: معرفة آل محمد (صلى الله عليه وآله) براءة من النار، وحب آل محمد جواز على الصراط والولاية لآل محمّد أمان من العذاب (٤).

وعن علي (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة ونصب الصراط على جسر جهنم لم يجز بها أحد إلا من كانت معه براءة بولاية علي بن أبي طالب (عليه السلام).

(١) بحار الأنوار: ج ٨ ص ٦٨.

(٢) الخوارزمي، المناقب: ص ٢٢٩.

(٣) الحموي، فرائد السمطين: ج ١ ص ٢٩٢.

(٤) القندوزي، ينابيع المودة: ص ٢٢.

وفي حديث وكيع، قال أبو سعيد: يا رسول الله ما معنى براءة علي (عليه السلام) قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله^(١).

عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: إذا كان يوم القيامة ونصب الصراط على شفير جهنم لم يجز الصراط الا من كان معه كتاب ولاية علي بن أبي طالب (عليه السلام)^(٢).

عن النبي (صلى الله عليه وآله) في حديث طويل: وإن ربي عزوجل أقسم بعزته أنه لا يجوز عقبة الصراط الا من معه براءة بولايتك وولاية الأئمة من ولدك^(٣).

قال النبي (صلى الله عليه وآله): يا علي إذا كان يوم القيامة أقعد أنا وأنت وجبرئيل علي الصراط فلا يجوز علي الصراط إلا من كان معه براءة بولايتك^(٤).

وعن ابن عباس قال: قلت للنبي (صلى الله عليه وآله): يا رسول الله للنار جواز قال: نعم، قلت: وما هو قال: حب علي بن أبي طالب^(٥).

(١) ابن شهر آشوب، مناقب أبي طالب: ج ٢ ص ١٥٦.

(٢) الحموي، فرائد السمطين: ج ١ ص ٢٩٠.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار: ج ٣٩ ص ٢١١.

(٤) القمي، سفينة البحار: ج ٢ ص ٢٨.

(٥) الخطيب، تاريخ بغداد: ج ٣ ص ١٦١.

الفصل الواحد والعشرون

في صفة الحوض ومنزلت أمير المؤمنين عنده

قال الصدوق: اعتقادنا في الحوض أنه حق وان عرضه ما بين ايلة مدينة على ساحل بحر القلزم وصنعاء موضعان أحدهما باليمن والآخر بدمشق، وهو حوض النبي (صلى الله عليه وآله) وان فيه من الأباريق عدد نجوم السماء وان الوالي عليه يوم القيامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) يسقي منه أوليائه ويزود عنه أعدائه، من شرب منه شربة لم يظماً بعدها ابداً^(١).

عن أبي أيوب الأنصاري قال: كنت عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقد سئل عن الحوض، فقال: أما إذا سألتموني عن الحوض فإني سأخبركم عنه، ان الله تعالى أكرمني به دون الأنبياء، وإنه ما بين أيلة الى صنعاء، يسيل فيه خليجان من الماء، ماؤهما أبيض من اللبن وأحلى من العسل، بطحاؤهما مسك اذفر، حصباؤهما الدر والياقوت، شرط مشروط من

(١) المجلسي، بحار الأنوار: ج ٨ ص ٢٧.

ربي لا يردهما الا الصحيحة نياتهم النقية قلوبهم، الذين يعطون ما عليهم في يسر، ولا يأخذون مالهم في عسر، المسلمون للوصي من بعدي يذود من ليس من شيعة كما يذود الجمل الأجرى عن إبله^(١).

وعن عبدالله بن عباس قال: لما نزل على رسول الله (صلى الله عليه وآله): (إنا أعطيناك الكوثر) قال له علي بن أبي طالب: ما هو الكوثر يا رسول الله قال: نهر أكرمني الله به، قال علي: إن هذا النهر شريف فأنعته لنا يا رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: نعم يا علي الكوثر نهر يجري تحت عرش الله تعالى، ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد وحصاه الزبرجد والياقوت والمرجان، حشيشه الزعفران وترابه المسك الأذفر، قواعده تحت عرش الله عزوجل، ثم ضرب رسول الله (صلى الله عليه وآله) يده في جنب علي أمير المؤمنين (عليه السلام) وقال: يا علي ان هذا النهر لي ولك ولمحيك من بعدي^(٢).

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حديث طويل: يا علي، أنت أول من تنشق عنه الأرض معي، وأنت أول من يبعث معي، وأنت أول من يجوز الصراط معي، وإن ربي عزوجل أقسم بعزته أنه لا يجوز عقبه الصراط إلا من معه برائة بولايتك وولاية الائمة من ولدك، وأنت أول من يرد حوضي وتسقي منه اوليائك وتذود عنه اعدائك، وأنت صاحبي اذا قمت المقام المحمود ونشفع لمحبينا، فنشفع فيهم وأنت أول من يدخل الجنة

(١) بحار الأنوار: ج ٨ ص ٢٨.

(٢) بحار الأنوار: ج ٨ ص ١٨.

٣٢٠ الإمام علي (عليه السلام) من الكعبة إلى المحراب

وييدك لوائي وهو لواء الحمد، وأنت صاحب شجرة طوبى في الجنة، أصلها في دارك وأغصانها في دور شيعتك ومحبيك^(١).

وعن أبي الأسود الدثلي عن أبيه قال: سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) يقول: والله لأذودن بيديّ هاتين القصيرتين عن حوض رسول الله أعدائنا وليردّته أحبّونا^(٢).

وعن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) قال: أنا مع رسول الله ومع عترتي على الحوض فمن أرادنا فليأخذ بقولنا وليعمل عملنا، فإن لكل أهل نجيباً ولنا نجيب ولنا شفاععة ولأهل مودتنا شفاععة فتنافسوا في لقائنا على الحوض فإننا نذود عنه أعداءنا، ونسقى منه إحباءنا وأولياءنا من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً.

وعن ابن خالد، عن الرضا، عن آبائه، عن علي (عليه السلام) قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا علي أنت أخي ووزير وصاحب لوائي في الدنيا والآخرة وأنت صاحب حوضي من أحبك أحبني ومن أبغضك أبغضني^(٣).

وعن عبدالرحمن بن قيس الرحبي، قال: كنت جالساً مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) على باب القصر حتى الجأته الشمس إلى حائط القصر، فوثب ليدخل فيقام رجل من همدان فتعلق بثوبه

(١) بحار الأنوار: ج ٣٩ ص ٢١١ و ٢١٢ و ٢١٦.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار: ج ٣٩ ص ٢١١ و ٢١٢ و ٢١٦.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار: ص ٢١١ و ٢١٢ و ٢١٦.

وقال: يا أمير المؤمنين حدثني حديثاً جامعاً ينفعني الله به، قال: أولم يكن في حديث كثير، قال: بلى ولكن حديثاً ينفعني الله به.

قال (عليه السلام): حدثني خليلي رسول الله (صلى الله عليه وآله): أرد أنا وشيعتي الحوض مبيضة وجوههم، ويرد عدونا ضمآن مسودة وجوههم خذها اليك قصيرة من طويلة، أنت مع من أحببت ولك ما اكتسبت، أرسلني يا أخا همدان ثم دخل القصر^(١).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): أعطيت في علي خمس خصال هي أحب الي من الدنيا وما فيها أما واحدة فهو ذاب بين يدي الله عزوجل حتى يفرغ من الحساب، وأما الثانية فلواء الحمد بيده وآدم (عليه السلام) ومن ولد تحته، وأما الثالثة فواقف على عقر حوضي يسقي من عرف من امتي، وأما الرابعة فسائر عورتي ومسلمي الى ربي عزوجل، وأما الخامسة فلست أخشى عليه أن يرجع زانيا بعد احصان ولا كافراً بعد ايمان^(٢).

وروى الخوارزمي عن ابن عباس قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): علي يوم القيامة على الحوض لا يدخل الجنة إلا من جاء بجواز من علي (عليه السلام) وعن جابر بن سمرة، قال: قيل يا رسول الله (صلى الله عليه وآله) من صاحب لوائك في الآخرة، قال: صاحب لوائي في الآخرة صاحب لوائي في الدنيا علي بن أبي طالب (عليه السلام).

وعن عبد الله بن أنس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إذا

(١) الطوسي، كتاب الأمالي، ج ١ ص ١٥٠.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار: ج ٣٩ ص ٣١٩ و ٢١٩ و ٢١٧.

٣٢٢ الامام علي (عليه السلام) من الكعبة إلى المحراب

كان يوم القيامة ونصب الصراط على شفير جهنم ولم يجز عليه الا من كان معه كتاب بولاية علي بن أبي طالب (عليه السلام)^(١).

وقال العلامة المظفر في مناقشة المفضل، لا ريب ان النبي (صلى الله عليه وآله) صاحب الحوض ولكن علياً (عليه السلام) هو المتولى عليه فهو صاحبه أيضاً كما أن لواء النبي (صلى الله عليه وآله) في الآخرة وهو لواء الحمد بيد علي (عليه السلام) أيضاً كما صرحت بهذا كله أخبار القوم فضلاً عن أخبارنا.

فمنها ما رواه الحاكم النيسابوري: المستدرک علی الصحیحین: ج ٣

ص ١٣٨.

عن علي بن أبي طلحة وصححه، أن الحسن (عليه السلام) قال لمعاوية بن خديج: أنت الساب لعلي (عليه السلام) والله إن لقيته وما أحسبك تلقاه يوم القيامة، لتجده قائماً على حوض رسول الله يزود عنه رايات المنافقين.

ومنها في الصواعق عن الطبراني، يا علي، معك يوم القيامة عصا من عصي الجنة تزود المنافقين عن الحوض^(٢).

وروى في كنز العمال، أيضاً عن الطبراني عن علي (عليه السلام) إنني أذود عن حوض رسول الله (صلى الله عليه وآله) بيدي هاتين القصيرتين الكفار والمنافقين.

(١) المظفر، دلائل الصدق: ج ٢ ص ٥٨٧ ط القاهرة.

(٢) المظفر، دلائل الصدق: ج ٢ ص ٥٨٨ و ٥٩٤.

وفيه أيضاً عن ابن عباس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعلّي أنت أمامي يوم القيامة فيدفع الي لواء الحمد فأدفعه اليك وأنت تذود الناس عن حوضي^(١).

وقال في لسان العرب في مادة (حيد) وفي الحديث أنه (صلى الله عليه وآله) قال لعلّي (عليه السلام): أنت الذائد عن حوضي يوم القيامة وتذود عنه الرجال كما يذاد البعير الصاد، يعني الذي به الصيد وهو داء يصيب الأبل في رؤوسها فتسيل أنوفها وترفع رؤوسها ولا تقدر أن تلوى معه أعناقها يقال بعير صاد، كما يقال رجل مال أي ذو مال.

وعلى أي حال تحدّث القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة عن ارتداد الناس بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وانقلابهم على أعقابهم قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾^(٢).

قال العلامة المظفر، وأما قوله تعالى: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾، فإن الاستفهام فيه ليس على حقيقته لاستلزامه الجهل فلا بد أن يراد به الإنكار أو التوبيخ وكل منهما لا يكون الا على أمر محقق بالضرورة فيكون انقلابهم بعد موت النبي (صلى الله عليه وآله) محققاً ولذا

(١) المتقي، كنز العمال: ج ٦ ص ٤٠٢ باب فضائل علي (عليه السلام).

(٢) سورة آل عمران: ١٤٤.

قال: انقلبتم، بصيغة الماضي تنبيها على تحققه^(١).

وأشار أمير المؤمنين إلى ازتداد الناس بعد رسول الله (صلى الله عليه واله) بقوله: حتى إذا قبض الله رسوله (صلى الله عليه وآله) رجع قوم على الأعقاب، وغالتهم السبل وتكلوا على الولايج ووصلوا غير الرحم وهجروا السبب الذي أمروا بمودته، ونقلوا البناء عن رص أساسه فبنوه في غير موضعه، معادن كل خطيئة وأبواب كل ضارب في غمرة، قد ماروا في الحيرة، وذهلوا في السكره على سنة من آل فرعون^(٢).

قال ابن أبي الحديد، رجعوا على الأعقاب، تركوا ما كانوا عليه، وغالتهم السبل، أهلكتهم اختلاف الآراء والأهواء، غاله كذا، أي أهلكه، والسبل، الطرق، الولايج جمع وليجة وهي البطانة يتخذها الإنسان لنفسه، ووصلوا غير الرحم، أي غير رحم الرسول (صلى الله عليه وآله) وهجروا السبب يعني أهل البيت أيضاً وهذه إشارة الى قوله النبي (صلى الله عليه وآله) خلفت فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي حبلاً ممدوداً من السماء الى الأرض لا يفترقان حتى يردا علي الحوض، فعبر أمير المؤمنين عن أهل البيت بلفظ السبب والسبب في اللغة الحبل، عني بقوله (عليه السلام): امروا بمودته، قول الله تعالى: ﴿قُلْ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾^(٣).

(١) المظفر، دلائل الصدق، ج ٢ ص ٥٠.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٥٠.

(٣) الشورى: ٢٣.

والرّض مصدر رصّصت الشيء، أي: الصقت بعضه ببعض ومنه قوله تعالى: ﴿كأنهم بنيان مرصوص﴾^(١) فبنوه في غير موضعه، ونقلوا الأمر عن أهله إلى غير أهله، ثم ذمهم (عليهم السلام) وقال: إنهم معادن كل خطيئة وأبواب كل ضارب في غمرة، الغمرة: الضلال والجهل والضارب فيها: الداخل المعتقد لها، مار يمور إذا ذهب وجاء، فكأنهم يسبحون في الحيرة كما يسبح الإنسان في الماء وذهل فلان بالفتح، يذهل على سنة من آل فرعون، أي على طريقه وآل فرعون أتباعه^(٢).

وأما الأخبار والأحاديث في ذلك فكثيرة جداً وصريحة في المقصود قوياً حتى قال العلامة المظفر، فمنها: أي الأخبار، ما هو كآية الشريفة، في الدلالة على ارتداد الأمة بعد النبي (صلى الله عليه وآله) وإن شئت زيادة توضيح في هذا الباب فراجع صحيح البخاري: ج ٨ ص ١٤٨، باب الحوض وج ٩ ص ٥٨، باب الفتن، من طبع مصر مطبعة محمد علي صبيح، وصحيح مسلم: ج ٨، باب فناء الدنيا وبيان الحشر، ص ١٥٧ ط بيروت، وهنا نشير إلى بعض الأخبار من الصحيحين باختصار.

قال (صلى الله عليه وآله): سيؤخذ ناس دوني، فأقول: يارب، مني ومن أمّتي، فيقال: هل شعرت ما عملوا بعدك والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم^(٣).

(١) الصف: ٤.

(٢) نهج البلاغة: ج ٩ ص ١٣٢.

(٣) صحيح البخاري: ج ٨ ص ١٥١ وج ٩ ص ٥٨.

وعن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: أنا على حوضي أنتظر من يرد عليّ فيؤخذ بناس من دوني فأقول: أمتي فيقول: لاتدري مشوا علي القهقري^(١).

وعنه (صلى الله عليه وآله): أنا فرطكم على الحوض من ورده شرب منه، ومن شرب منه لم يظماً بعده أبداً، ليرد على أقوام وأعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم، قال أبو حازم: فسمعني النعمان بين أبي عياش وأنا أحدثهم هذا فقال: هكذا سمعت سهلاً؟ فقلت: نعم، قال: وأنا أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته يزيد فيه، قال: انهم مني فيقال: انك لاتدري ما بدلوا بعدك، فأقول: سحراً سحراً لمن بدل بعدي^(٢).

وعن أبي سعيد الخدري عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: لتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم^(٣).

وعن النبي (صلى الله عليه وآله): لاتقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، الحديث^(٤).

وعنه (صلى الله عليه وآله): يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي فيحال بينهم وبين الحوض، فأقول: يارب أصحابي فيقول: إنك لا علم لك

(١) صحيح البخاري: ج ٨ ص ١٥١.

(٢) صحيح البخاري: ج ٩ ص ٥٨.

(٣) المصدر السابق: ص ١٢٦.

(٤) المصدر السابق: ص ١٢٦.

بما أحدثوا بعدك أنهم ارتدوا على أديبارهم القهقري^(١).

وعنه (صلى الله عليه وآله): بينما أنا قائم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم، فقلت: أين؟ قال: إلى النار والله قلت: وما شأنهم؟ قال: أنهم ارتدوا بعدك على أديبارهم القهقري.

فهذه الأخبار الصحيحة المتواترة تدلّ بكل صراحة على ارتداد الصحابة بعد وفات رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولاشك أن هولاء الذين ارتدوا بعد وفاته (صلى الله عليه وآله) لا يسقون من الحوض يوم القيامة كما دلت على ذلك الأخبار المتواترة عند الفريقين. وهنا نشير إلى بعضها من كتب العامة تذكراً لمن أراد أن يلتجأ إلى لواء أمير المؤمنين (عليه السلام) في الدنيا والآخرة ويشرب من حوضه يوم القيامة.

روى محب الدين الطبري في كتابيه ذخائر العقبى ص ٨٦ ط القدس بمصر، والرياض النضرة: ج ٢ ص ٢٠٣ ط الخانجي بمصر.

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): أعطيت في عليّ خمساً هن أحب إليّ من الدنيا وما فيها أما الواحدة فهو تكأتي بين يدي الله عزّوجلّ حتى يفرغ من الحساب، وأما الثانية فلواء الحمد بيده من آدم ومن ولده تحته، وأما الثالثة فواقف على عقر^(٢) حوضي يسقى من عرف من أمتي، وأما الرابعة فسائر عورتني ومسلمي إلى رب

(١) المصدر السابق: ج ٨ ص ١٥٠.

(٢) عقر الحوض - بالضم - موضع الشاربه منه.

عزّوجلّ، وأما الخامسة فلست أخشى عليه أن يرجع زانياً ولا كافراً بعد
إيمان^(١).

وروى القندوزي البلخي الحنفي في ينابيع المودة: ص ١٢٣ ط
اسلامبول.

عن سيد الشهداء الحسين بن علي عن أبيه (عليه السلام) قال: قال
رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا علي أنت أخي وأنا أخوك أنا المصطفى
للتبوة، وأنت المجتبي للإمامة أنا وأنت أبوا هذه الأمة وأنت وصيي ووارثي
وأبو ولدي، اتباعك اتباعي، وأولياؤك أوليائي وأعداؤك أعدائي وأنت
صاحبي على الحوض وصاحبي في المقام المحمود، وصاحب لوائي في
الآخرة كما أنت صاحب لوائي في الدنيا، لقد سعد من تولاك وشقي من
عاداك، وأن الملائكة لتتقرب إلى الله بمحبتك وولايتك، وأن أهل مودتك
في السماء أكثر من أهل الأرض يا علي أنت حجة الله على الناس بعدي
قولك قولي أمرك أمري نهيك نهي وطاعتك طاعتي ومعصيتك معصيتي
وحزبك حزبي، وحزبي حزب الله ثم قرأ ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾^(٢).

وروى البدخشي في مفتاح النجاة ص ٦٤ عن أبي سعيد أن رسول الله
(صلى الله عليه وآله) قال لعلي: يا علي أنت تغسل جثتي وتؤدي ديني

(١) رواه أحمد بن حنبل في المناقب والهندي في كنز العمال: ج ٦ ص ٤٠٣. وابن أبي

الحديد في شرح نهج البلاغة: ج ٩ ص ١٧٣.

(٢) المائدة: ٥٦.

وتوارني في حفرتي وتفي بدمتي وأنت صاحب لوائي في الدنيا والآخرة^(١).

وروى الطبري في الرياض النضرة ج ٢ ص ١٩١ ط الخانجي بمصر، قال: عن علي (عليه السلام) قال: كسرة يد علي (عليه السلام) يوم أحد فسقط اللواء من يده فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ضعوه في يده اليسرى فإنه صاحب لوائي في الدنيا والآخرة.

وروى الخطيب الخوارزمي في المناقب ص ٢٥٠ ط تبريز، بإسناده عن جابر بن سمرة قال: قيل يا رسول الله (صلى الله عليه وآله) من يحمل رايتك يوم القيامة، قال: من عسى أن يحملها إلا من حملها في الدنيا علي بن أبي طالب (عليه السلام).

وروى ابن سعد في (الطبقات الكبرى ج ٣ ص ٣٨ ط دار الصادر بمصر) بالاسناد عن بصيرة بن مريم قال: سمعت الحسن بن علي (عليه السلام) قام يخطب الناس فقال: يا أيها الناس لقد فارقكم أمس رجل ماسبقه الأولون، ولا يدركه الآخرون لقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يبعثه المبعث، فيعطيه الراية فما يرد حتى يفتح الله عليه، ان جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره ما ترك صفراء ولا بيضاء الا سبعمائة درهم فضلت من عطائه أراد أن يشتر بها خادماً^(٢).

(١) وراجع أيضاً كنز العمال للمتقي الهندي: ج ١١ ص ٦١٢ ومناقب الخوارزمي: ص ٣٢٩

والقندوزي في يتابعه: ج ٢ ص ٨٦

(٢) رواه أحمد بن حنبل (في المسند ج ١ ص ١٩٩ ط مصر). والنيسابوري في المستدرک: ج ٣

ص ١٧٢ وفي حلية الأولياء: ج ١ ص ٦٥ وخصائص النسائي: ص ٦١.

وروى الحاكم في (المستدرک ج ٣ ص ١٣٨) بأسناده وصححه عن علي ابن طلحة قال: حججنا فمررنا على الحسن بن علي (عليه السلام) بالمدينة ومعنا معاوية بن حديج فقيل للحسن (عليه السلام): إن هذا معاوية بن حديج الساب لعلي فقال: علي به فأتى به فقال: أنت الساب لعلي؟ فقال ما فعلت، فقال: والله إن لقيته وما أحسبك تلقاء يوم القيامة لتجده قائماً على حوض رسول الله (صلى الله عليه وآله) يذود عنه رايات المنافقين بيده عصا من عوسج حدثنيه الصادق المصدوق، وقد خاب من افتري^(١).

وروى أحمد بن حنبل في المناقب بأسناده عن عبدالله بن اجارة قال: سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وهو على المنبر يقول: أنا أذود عن حوض رسول الله (صلى الله عليه وآله) بيدي هاتين القصيرتين الكفار والمنافقين كما تذود السقاة غريبة الابل عن حياضهم^(٢).

روى ابن عساكر في تاريخه، عن ابن عباس عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لعلي (عليه السلام): أنت أمامي يوم القيامة فيدفع إليّ لواء الحمد فأدفعه اليك وأنت تذود الناس عن حوضي.

روى الخطيب الخوارزمي في المناقب ص ٢٠٣، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا علي سألت ربي عزوجلّ فيك خمس خصال فأعطاني أما الأول فاني سألت ربي أن تنشق

(١) وراجع أيضاً: تاريخ ابن عساكر: ج ٥٩ ص ٢٧.

(٢) وراجع أيضاً: الرياض النضرة: ج ٢ ص ٢١١ والغدير للأميني: ج ٢ ص ٣٢١.

عني الأرض وانفض التراب عن رأسي وأنت معي فأعطاني، وأما الثانية فسألته أن يوقفني عند كفة الميزان وأنت معي فأعطاني، وأما الثالثة فسألته أن يجعلك حامل لوائي وهو لواء الله الأكبر عليه المفلحون الفائزون بالجنة فأعطاني، وأما الرابعة فسألته أن تسقي أمي من حوضي فأعطاني، وأما الخامسة فسألته أن يجعلك قائد أمي إلى الجنة فأعطاني فالحمد لله الذي منَّ عليَّ بذلك^(١).

روى الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة في حديث قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): كأنني بك يا علي وأنت على حوضي تذود عنه الناس وأن عليه الأباريق مثل عدد نجوم السماء وإني وأنت والحسن والحسين وفاطمة وعقيل وجعفر في الجنة اخواناً على سرر متقابلين، أنت معي وشيعتك في الجنة^(٢).

فلا يقى يومئذ أحد أحبك يا علي إلا استروح إلى هذا الكلام وأبيض وجهه وفرح قلبه، ولا يبقى أحد ممن عاداك أو نصب لك حرباً أو جحد لك حقاً إلا أسودَّ وجهه واضطربت قدماه فبينما أنا كذلك إذ ملكان قد أقبلا إليّ أما أحدهما فرضوان خازن الجنة، وأما الآخر فمالك خازن النار فيدنو رضوان فيقول: السلام عليك يا أحمد فأقول: السلام عليك أيها الملك من أنت؟ فما أحسن وجهك وأطيب ريحك، فيقول: أنا رضوان خازن الجنة،

(١) رواه الهندي في كنز العمال: ج ٦ ص ٤٠٢ في الباب الثامن عشر.

(٢) ورواه أيضاً: الهيثمي في مجمع الزوائد: ج ٩ ص ١٧٣ والمعجم الأوسط للطبراني: ج ٧ ص

٣٤٣ والقندوزي في يناعه: ج ١ ص ٣٩٥ وابن مردويه في مناقبه: ص ٢٧١.

وهذه مفاتيح الجنة بعث بها إليك رب العزة فخذها يا أحمد فأقول: قد قبلت ذلك من ربي فله الحمد علي ما فضلني به ادفعها الى أخي علي بن أبي طالب (عليه السلام) ثم يرجع رضوان فيدنو مالك فيقول: السلام عليك يا أحمد، فأقول: السلام أيها الملك من أنت؟ فما أقبح وجهك وأنكر رؤيتك، فيقول: أنا مالك خازن النار وهذه مقاليد النار بعث بها إليك رب العزة، فخذها يا أحمد فأقول: قد قبلت ذلك من ربي فله الحمد علي ما فضلني به ادفعها الى أخي علي بن أبي طالب (عليه السلام) ثم يرجع مالك، فيقبل علي (عليه السلام) ومعه مفاتيح الجنة ومقاليد النار حتى يقف علي عجرة جهنم وقد تطاير شررها وعلى زفيرها واشتد حرها وعلي (عليه السلام) أخذ بزمامها فتقول له جهنم جرنى يا علي قد أطفأ نورك لهبي فيقول لها علي (عليه السلام): قري يا جهنم خذي هذا وأتركي هذا خذي هذا عدوي، وأتركي هذا وليي، ولجهنم يومئذ أشد مطاوعة لعلي فيما يأمرها به من جميع الخلائق.

وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله الطاهرين.

إلى هنا قد تمّ الجزء الأول من كتاب علي (عليه السلام) من الكعبة

الى المحراب وسيصدر بأذن الله تعالى الجزء الثاني والحمد لله ربّ العالمين.

الفاني خضر السيد لطيف الموسوي

مصادر الكتاب العامة

١. إمتاع الأسماع، المقرئزي
٢. الاستيعاب، ابن عبد البر
٣. اسد الغابة، ابن الأثير
٤. الاصابة، ابن حجر
٥. البحر المحيط، أبو حيان
٦. البداية والنهاية، ابن كثير
٧. تاريخ ابن كثير، ابن كثير
٨. تاريخ الطبري، الطبري
٩. تاريخ دمشق، ابن عساكر
١٠. تذكرة الخواص، ابن الجوزي
١١. تفسير البغوي، البغوي
١٢. تفسير البيضاوي، البيضاوي
١٣. تفسير الثعلبي، الثعلبي
١٤. التفسير الكبير، الرازي
١٥. تفسير روح المعاني، الألوسي
١٦. جامع البيان، الطبري

١٧. حلية الأولياء، أبو نعيم
١٨. خصائص أمير المؤمنين، النسائي
١٩. الدر المنثور، السيوطي
٢٠. ذخائر العقبى، الطبري
٢١. ربيع الأبرار، الزمخشري
٢٢. سبل الهدى والرشاد، الشامي
٢٣. سنن الترمذي، الترمذي
٢٤. السنن الكبرى، النسائي
٢٥. سيرة ابن هشام، ابن هشام
٢٦. السيرة الحلبية، الحلبي
٢٧. شرح المقاصد، التفتازاني
٢٨. شرح معاني الآثار، محمد ابن سلمه
٢٩. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد
٣٠. شواهد التنزيل، الحسكاني
٣١. صحيح ابن حبان، ابن حبان
٣٢. صحيح البخاري، البخاري
٣٣. صحيح الترمذي، الترمذي
٣٤. صحيح مسلم، مسلم
٣٥. الصواعق المحرقة، ابن حجر
٣٦. الطبقات الكبرى، ابن سعد

٣٧. فتح الباري، ابن حجر
٣٨. الفصول المهمة، المالكي
٣٩. فضائل الصحابة، النسائي
٤٠. كفاية الطالب، الشافعي
٤١. كنز العمال، المتقي الهندي
٤٢. مجمع الزوائد، الهيثمي
٤٣. مروج الذهب، المسعودي
٤٤. المستدرک علی الصحیحین، النیسابوری
٤٥. مسند أبي يعلى، أبي يعلى
٤٦. مسند أحمد، أحمد بن حنبل
٤٧. مطالب السؤول، الشافعي
٤٨. المعجم الكبير، الطبراني
٤٩. مقاتل الطالبين، الاصفهاني
٥٠. المناقب، ابن المغازلي
٥١. المناقب، ابن مردويه
٥٢. المناقب، الخوارزمي
٥٣. مودة القربى، الشافعي
٥٤. نزهة المجالس، البغدادي
٥٥. نظم درر السمطين، الحنفي
٥٦. ينابيع المودة، القندوزي

٧٦. من اهل البيت

٧٧. من اهل البيت

٧٨. من اهل البيت

المصادر الخاصة

٧٩. من اهل البيت

٨٠. من اهل البيت

٨١. من اهل البيت

٨٢. من اهل البيت

٨٣. من اهل البيت

٨٤. من اهل البيت

٨٥. من اهل البيت

٨٦. من اهل البيت

٨٧. من اهل البيت

٨٨. من اهل البيت

٨٩. من اهل البيت

٩٠. من اهل البيت

٩١. من اهل البيت

٩٢. من اهل البيت

٩٣. من اهل البيت

٩٤. من اهل البيت

٥٧. الاحتجاج، الطبرسي

٥٨. أمالي الصدوق، الصدوق

٥٩. أمالي المفيد، المفيد

٦٠. الارشاد، المفيد

٦١. احقاق الحق، التستري

٦٢. الاختصاص، المفيد

٦٣. أعيان الشيعة، السيد الأمين

٦٤. اعلام الوري بأعلام الهدى، الطبرسي

٦٥. اقسام المولى، المفيد

٦٦. بحار الأنوار، المجلسي

٦٧. بشارة المصطفى، محمد ابن علي الطبري

٦٨. بيت الأحزان، القمي

٦٩. تأويل الآيات، شرف الدين

٧٠. تفسير البرهان، السيد البحراني

٧١. تفسير البيان، الخوئي

٧٢. تفسير الصافي، الفيض الكاشاني

٧٣. تفسير العياشي، العياشي
٧٤. تفسير القمي، القمي
٧٥. تفسير نور الثقلين، الحويزي
٧٦. توحيد الصدوق، الصدوق
٧٧. جامع الأحاديث الشيعة، البروجردي
٧٨. جامع السعادات، النراقي
٧٩. الجواهر السنية، الحر العاملي
٨٠. حلية الأبرار، البحراني
٨١. الخصال، الصدوق
٨٢. دلائل الامامة، محمد ابن رستم الطبري الشيعي
٨٣. دلائل الصدق، المظفر
٨٤. روضة الواعظين، النيسابوري
٨٥. زبدة البيان، الأردبيلي
٨٦. سفينة البحار، القمي
٨٧. العمدة، ابن بطريق
٨٨. عيون أخبار الرضا، الصدوق
٨٩. غاية المرام، البحراني
٩٠. الغدير، الأميني
٩١. الفضائل، ابن شاذان
٩٢. قصص الأنبياء، الراوندي

٩٣. الكافي، الكليني
٩٤. كتاب سليم ابن قيس، سليم ابن قيس
٩٥. كشف الغمة، الأربلي
٩٦. كشف اليقين، ابن طاووس
٩٧. المناقب، ابن شهر آشوب
٩٨. مجمع البيان، الطبرسي
٩٩. المختصر، الحلبي
١٠٠. مدينة المعاجز، السيد البحراني
١٠١. مستدرك الوسائل، الميرزا النوري
١٠٢. معارج اليقين في أصول الدين، السبزواري
١٠٣. من لا يحضره الفقيه، الصدوق
١٠٤. مواقف الشيعة، الميانجي
١٠٥. الميزان، الطباطبائي
١٠٦. الوافي، الفيض الكاشاني
١٠٧. وسائل الشيعة، الحر العاملي

الفهرس

- مقدمة سماحة آية الله العظمى السيد محمد صادق الروحاني حفظه الله ... ٥
- المقدمة ٧
- الفصل الأول: تاريخ ولادته وحليته وشمائله (عليه السلام) ١١
- وأما نسبه الشريف ١٢
- كنيته ١٩
- بوابه ٢١
- شاعره ٢١
- نقش خاتمه ٢٢
- زوجاته ٢٢
- أولاده ٢٣
- صفته عليه السلام في أخلاقه وأطواره وسيرته ٢٥
- الفصل الثاني: مبلغ سنه ووقت إسلامه ٣٥
- ملازمته النبي صلى الله عليه وآله ٣٧
- في حصار الشعب ٣٨
- خبره مع أبي ذر عند إسلامه ٣٨
- صعوده على منكب النبي (صلى الله عليه وآله) والقاؤه الصنم عن الكعبة ٤٠
- وأما وصية أبيه له عند وفاته ٤١

٣٤٠ الامام علي (عليه السلام) من الكعبة إلى المحراب

٤١ ما جرى له بعد وفاة أبي طالب

٤٢ تعداد مناقبه وفضائله عليه السلام

٤٩..... الفصل الثالث: تذكّر نبذة يسيرة من الأخبار في شأن أمير المؤمنين عليه السلام

٥٣ الأخبار الواردة في فضل علي وفضائله

٦١ الفصل الرابع: في وجوب العصمة

٨٤ الفصل الخامس: في مناقبه صلوات الله عليه وهي كثيرة

٩٤..... الفصل السادس: علي في مواقفه مع النبي (صلى الله عليه وآله) في جميع الحروب

١٠٨..... الفصل السابع: في معركة أحد

١٢٤..... الفصل الثامن: في غزوة الأحزاب

١٣٥..... الفصل التاسع: في الحديدية

١٣٥..... وأما علي (عليه السلام) في الحديدية

١٥٢..... الفصل العاشر: دور علي في فتح مكة

١٥٦..... وأما موقف علي في حنين

١٦١..... وأما موقف علي في غزوة تبوك

١٦٥..... وأما موقف علي (عليه السلام) في غزوة ذات السلاسل

١٦٩..... الفصل الحادي عشر: سورة براءة

١٧٥..... الفصل الثاني عشر: زواج فاطمة من علي (عليهما السلام)

١٩١..... وأما مصحف فاطمة (عليها السلام)

١٩٦..... الفصل الثالث عشر: في أسمائهم (عليهم السلام) المكتوبة على العرش والكرسي

٢٠٧..... الفصل الرابع عشر: علي في حجة الوداع

٢٤١	الفهرس
٢٢٢	الفصل الخامس عشر: على (عليه السلام) بعد البيعة
٢٤٨	الفصل السادس عشر: في آية الشهادة
٢٥٠	ومعنى شهادة من عنده علم الكتاب
٢٦٤	الفصل السابع عشر: آية خير البرية في على أمير المؤمنين (عليه السلام)
٢٨٤	الفصل الثامن عشر: في شجاعته
٢٩٤	الفصل التاسع عشر: في عدله وفيه أبواب
٣٠٦	الفصل العشرين: في حقيقة الصراط ومنزلة علي وأولاده (عليهم السلام)
٣١٨	الفصل الواحد والعشرون: في صفة الحوض ومنزلة أمير المؤمنين عنده
٣٣٣	مصادر الكتاب العامة
٣٣٦	المصادر الخاصة
٣٣٩	الفهرس

كتب مطبوعة للمؤلف

- ١- صوت الحق، ثلاث مجلدات
- ٢- سُبُل الراغبين، مجلدين
- ٣- بيان الحق، مجلد واحد
- ٤- الحسين (عليه السلام) معراج البطولة، مجلد واحد
- ٥- أسرار الزكاة، مجلد واحد
- ٦- العلم في القرآن، المجلد الأول
- ٧- علي من الكعبة الى المحراب، الكتاب الحاضر
- ٨- الحق المبين في معرفة سيد المرسلين، جاهز للطبع

